

محمود صافي

سوريا

من فيصل الأول إلى حافظ الأسد

١٩١٨ - ٢٠٠٠

محمود صافي/ سوريا ـ من فيصل الأوّل إلى

حافظ الأسد ١٩١٨ـ٢٠٠٠

تمّت الطباعة في الدار التقدّمية
المختارة ـ الشوف ـ لبنان
هاتف: ٣١٠٥٥٥/ ٥ـ ٩٦١ـ ٣١١٥٥٥/ ٥ـ ٩٦١
E-mail: moukhtarainf.terra.net.lb
http://www.daraltakadoumya.com

الطبعة الأولى، أيّار ٢٠١٠

محمود صافي

سوريا
من فيصل الأوّل إلى حافظ الأسد
١٩١٨ - ٢٠٠٠

الدار التقدّمية

تمهيد

ماهيّة العلاقة بين السياسة والانقلابات العسكرية في سوريا؟

لا أريد أن أذهب بعيدًا مع الغلاة العسكريين وذوي الخيال الاجتماعي والشعبي والعسكري الخصب، في تصوير الإمساك بمقاعد المسؤوليّات يعني الإمساك بالسلطة وبعبارة أكثر وضوحًا في مجرى الانقلابات العسكرية، ثمّة سؤال يتبادر إلى الذهن هو: هل كان لبعض الدول الكبرى دور في التخطيط والإعداد لهذه الانقلابات ودعمها؟ وخصوصًا بعد ظهور الأحزاب النازية والفاشية التي انتشرت قبل وبعد الحرب العالمية الأولى ولقيت تأييدًا كأحزاب مستبدّة وعادلة، تحت قيادة الزعيم أو القائد الملهم، القيادة التي تتجسّد فيها آمال الأمّة باستخدام القوّة والعنف، وهذا ما لم تتقبّله الشعوب في ذلك الوقت وفي عصرنا الحاضر. وممّا لا شكّ فيه أنَّ العسكريين كفئة من فئات الشعب تنعكس عليهم آلام الشعب وآماله، وهذا ممّا لم يحصل على الإطلاق بسبب عدم الرؤية السياسية والاجتماعية الواضحة عند العسكريين فعقيدة البندقية والمدفع نادرًا ما تكون في خدمة الديمقراطية السياسية والاقتصادية والاجتماعية. ويبدو من المطالعة الجدّية في تاريخ قادة الانقلابيين العسكريين، أنَّ الاستعمار الغربي في البلاد لم يكن ليخشى الانقلابات العسكرية بصورة عامّة، لأنّه كان يرى الحصيلة النهائية، للمدى القريب والبعيد، يهدّد ويسيء لمصالحه المبرمجة ولا يخشاها لأنّها لا تملك دراسات موضوعية، ولا

معرفة علمية، ولا يوجد لديها حلّ للمشاكل والصعوبات الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والسياسية ولا يعتمدون على منظّمة شعبية واحدة. ومهما يكن من أمر فإنّني أسرد الوقائع بكلّ دقّة وأمانة. وإنّي لا أريد أن أتوقّف طويلاً عند هذا الموضوع الشائك لأنّه يتطلّب اطّلاعًا منّي للحصول على الكثير من الوثائق والتفاصيل وخفايا الأمور السياسية المحلّية والدولية، وهذا ما ليس متاحًا لي، فيما خلا الخطوط العريضة التي جرت على الواقع الجغرافي السياسي. الخلاصة هي أنَّ التربية العسكرية قائمة على طاعة المرؤوس لرئيسه، طاعة عمياء، وتنفيذ الأوامر دون نقاش أو اعتراض، واحترام رابطة السلاح، وتمجيد التقاليد والقوّة العسكرية ولكن كانت تظهر بعض الطفرات العسكرية لأنّها كانت تعتبر نفسها أنّها تمّت في بيوتات الزعامات السياسية القبلية أو العشائرية. فأيّ قوّة سياسية وإن كانت فعّالة ومهما أوتيت من قوّة عسكرية لا تستطيع أن تعيش طويلاً، إذا بقيت بعيدة عن الشعب، وعن عدم تحقيق مطالبه وآماله.



مقدّمة

قد يكون عدم الاستقرار السياسي ناجمًا عن سوء إدارة الحكم، أو من جرّاء عوامل خارجية، تحرِّك حسب مصالحها واقع الحال، في أيّ بلدٍ كان، وقد تعيّن مصائرها، وقد ينجم الاضطراب السياسي عن عوامل داخلية صرفة، تحدث كما البراكين في باطن الأرض.

فأيّة عوامل هي تلك التي أدّت إلى نشوء اضطرابات وانقلابات شهدتها سوريا ما بين عامَي ١٩١٨ و١٩٧٠؟ هذا ما تحاول أن تجيب عليه صفحات هذا الكتاب الذي يستعرض واقع التقلّبات الرئاسية وما رافق الحياة السياسية من وجوه كان لها كبير الأثر في الحياة السياسية في سوريا، منذ الحرب العالمية الأولى حتّى أواخر القرن التاسع عشر.

بعد الحرب العالمية الأولى برز واقع جديد في العالم، وخصوصًا في العالم العربي، وظهرت الفاشية والنازية في أوروبا، وانتشرت بعض مفاهيم الحزب الواحد، أو مقولة الرجل المستبدّ بآرائه وأفكاره، تحت شعار "الزعيم" أو القائد الذي يدّعي حمل هموم الشعب وآمال الأمّة... وكلّ هذه الشعارات أوصلت إلى سياسة التفرّد والعنف واستعمال القوّة.

أدّت هذه المفاهيم في بعض الدول إلى الوصول إلى الفوضى والانقلابات العسكرية والانقلابات المضادّة، والمثال الشاهد على ذلك حدث في سوريا حيث وَقَعَ أكثر من خمسة عشر انقلابًا ابتداءً من عام

١٩٤٨ لغاية عام ١٩٧٠، كما وقع حوالي عشرة انقلابات في العراق بعد ثورة رشيد عالي الكيلاني التي لم تتوفّر لها ظروف النجاح.

بالنسبة للانقلابات نرى أنَّ هناك فروقات بين انقلاب وآخر، وبلد وآخر. ولكن مضمون هذا الكتاب هو إظهار صورة الحياة السياسية، وتعاقب الرؤساء، وتواليهم العشوائي حينًا والمنظّم حينًا آخر، وعددهم الكبير نسبةً إلى ما يزيد قليلاً على نصف قرن (٥٢ عامًا فقط) من الحكم في سوريا، أي ما بين عامَي ١٩١٨ و١٩٧٠، عام الهدوء والاستقرار، سواء أكان ذلك الهدوء ناتجًا عن إحكام السيطرة على البلاد أم عن حسن السياسة، فذلك شأن آخر.

في ضوء ذلك الواقع، عملنا في هذا الكتاب على تحديد أسماء الإنقلابيين، ومنهم هؤلاء الذين بقوا في حياتهم العسكرية، ودخلوا المعترك السياسي وسعوا وراء حبّ السلطة ومظاهرها وغلوائها، وضلّوا الطريق وجلبوا الويل لهم وللشعب.

إنَّ أولئك العسكريين كانوا ينطلقون بالسياسات الداخلية والخارجية التي كانت تحيط بهم من جيرانهم ومن تأثير الدول في العالم.

لم يكن للانقلابات في ذلك الزمان من مؤيّدين في أوساط الشعب لأنَّ معظم هؤلاء القادة الانقلابيين كانوا لا يحملون أفكارًا ذات منفعة شعبية ووطنية استقلالية ولا مشاريع اقتصادية اجتماعية.

هنا نتساءل، هل هذا يعني أنَّ لقمة العيش، وهي أزمة كانت مستفحلة في سوريا، هي التي أنتجت الحركة السياسية؟ أم أنَّ الوضع

السياسي هو الذي فاقم الأزمة الاقتصادية؟! سؤال يجيب عنه البحث في كيفية إدارة الحكم.

إلاّ أنّنا هنا نعود للعوامل الغربية، فالاستعمار الغربي تحديدًا كان متربّصًا للمنطقة العربية، ولم يكن ليخشى الانقلابات العسكرية، لأنَّ الشعب كان يئنّ من وطأة تسلّط الحكّام. وهذا كان يستند إلى الدراسات الموضوعية ومعرفة عميقة لمشاكلِ الشعب والصعوبات العسكرية، والشخصيات المتناحرة، والسياسة المتداخلة التي تواجه الانقلابيين لبعدهم عن الشعب.

تمكّن الاستعمار ورجاله في الداخل مع ما ينتج من السياسة الفوضوية من المحافظة على مصالحه ولو لفترة قصيرة أو طويلة من الوقت. والمعروف أنَّ التربية في الجيوش هي ذات اتّجاه واحد في السلوك. وتصبح مفاهيم الجندية والتراتبية ذات شأن، خصوصًا عندما تصل الفئات العسكرية إلى السلطة بانقلاب ناجح بين ليلة وضحاها. عدا ذلك فقد بدأ حزب البعث العربي الاشتراكي ينمو في أوائل الخمسينيات، من دون وزن أو قاعدة سياسية أو اجتماعية ولا حزبية، في المؤسّسة العسكرية، وفي أوساط الشعب وخصوصًا بين الطلاّب، لتنمية الوعي الطبقي والسياسي، وكان الجوّ العام ضبابيًّا في ذلك الحين، وبدأ الحزب يضمّ إلى صفوفه بعض الشباب ذوي النضج الفكري، وبدأ تلقينهم الأفكار في حلقات تنظيمية وبطرح القضايا الاشتراكية والقومية بعد حرب فلسطين عام ١٩٤٨. وخلق قادة الحزب مناخًا ضيّقًا في ظروف صعبة،

وكان هذا الحزب له تأثير قوي في استقطاب الشعب وخصوصًا في المؤسّسة العسكرية، وتوصّلوا بعد ذلك إلى انفصال الوحدة بين سوريا ومصر. وكان للحزب يدّ طولى عام ١٩٦١، ولا يستطيع أحد أن يحدّ من سيطرة الحزب على الحكم، مع العلم أنّه حصل خضّات سياسية وعسكرية في داخل صفوفه أدّى في بعض الأحيان إلى إراقة الدماء. وأخيرًا، بعد إعلانِ الحركة التصحيحية في الحزب والسلطة، وصل الفريقِ حافظ الأسد عام ١٩٧٠ برئاسة الجمهورية إلى الهدوء السياسي والاستقرار الاجتماعي، واستطاع أن يتغلّب على معارك خاضها الحزب بعد انفصال الوحدة حتّى يومنا هذا عام ٢٠١٠ في عهد الرئيس بشّار حافظ الأسد.

وهكذا وصلت القيادات التي تحمل أفكارًا عقائدية إلى سدّة الرئاسة وإلى قيادة الشعب، وتوجيهه بالقدرة على ترسيخ الاستقرار والهدوء، وعلى ولاء الشعب لدولته وقيادته.

وتتعاقب على الأحداث الأيام والأعوام، فتنأى جانبًا لكنّها لا تُطمس، والشخصيات الوطنية والشخصيّات التي لها ارتباطات خارج الوطن والشعب لا يستطيعون وإن اجتمعوا على حفظ وتدوين الأحداث وخصوصًا إذا كان الشعب في خضمّ الأحداث، ويغفل ذوو الشأن تدوينها وتسقط من الذاكرة. ويعود إليها من يؤرّخ أحداثها ولو بعد فترة من الزمن، ويجوز أن يقع المؤرّخ في الزيادة أو النقصان وذلك حسب المصادر، وأمّا التوثيق فهو أهمّ ما في التاريخ.

بعد تردّد طويل، هبّ الشعب السوري العربي، فدوّى صوت الجهاد العربي إلى جانب الصوت القومي، وكانت الطلقة الأولى لانطلاق الضمائر توقظ وتضيء. وكانت سوريا تردّد صدى الكفاح بشيء من الرهبة والرجاء، وكانت الجماهير تتحرّك خلسة خوفًا من سيف السفّاح جمال باشا، ومن تعليق الرقاب على أعواد المشانق في بيروت ودمشق.

ومن ثمّ دخلت الجيوش العربية دمشق تتقدّم جيوش الحلفاء ولاحقت ملوك الجيش التركي حتّى حلب، عندها رُفع العلم العربي على سواري دمشق وحلب وبيروت مرفرفًا، وفي كلّ مكان على الأراضي السورية. وعندها غمرت جميع النفوس نكهة الحرّية والاستقلال والسيادة، وكانت ثورة الأحرار في سوريا ضدّ الانتداب الفرنسي – والثورة السورية الكبرى من سنة ١٩٢٥ لغاية ١٩٢٧.

تلك هي الصفحات الرائعة من تاريخ سوريا، كُتبت عليها طرائق استرداد الحقوق لا استجداؤها.

المؤلِّف

* * *

خروج السلطنة العثمانية
من البلاد العربية

منذ مطلع القرن العشرين تتالت الأحداث العالمية، وخصوصًا أنَّ (الرجل المريض) كان قد بدأ بالاحتضار أي السلطة العثمانية على حدّ ما وصفها السّاسة في أوروبا وقتئذ، وخصوصًا عندما شعرت البلاد العربية التي كانت تحت الحكم العثماني بضرورة الاستقلال، ووقعت الحروب ما بين إيطاليا وتركيا عام ١٩١١ ممّا دفع بتركيا إلى الانسحاب من طرابلس الغرب الليبية، وحرب دول البلقان عام ١٩١٢ التي أدّت إلى مزيد من انكماش حكم السلطنة العثمانية على دول أوروبا الشرقية. كلّ هذا دفع بالبلاد العربية التي كانت تحت حكم السلطنة إلى التفكير في مصيرها، فاندفعت تطالب باللامركزية، وكان المشجّع لها نفوذ بعض الدول الأوروبية في لبنان حسب ما نصّ عليه بروتوكول عام ١٨٦٣ الذي أعطى لبنان استقلاله، وكان من أبرز الحركات التي نادت بالإصلاح عام ١٩١٢، التي انطلقت من ولاية بيروت وسادت أجواء سوريا والعراق، وكانت بعد ذلك مشجّعة للشباب العربي على عقد مؤتمرهم في باريس عام ١٩١٣.

ولمّا انتهت الحرب العالمية الأولى التي بدأت عام ١٩١٤ وانتهت في ٧ تشرين الثاني عام ١٩١٨ بانتصار الحلفاء على دول المحور، وبدخول لبنان وولاية بيروت ضمن الحكم العسكري الفرنسي حَسْبَ مهمّة

توزيع الانتدابات، كانت سوريا ولبنان من عداد الدول التي كانت تحت الانتداب الفرنسي وذلك بموافقة بريطانيا، وفلسطين والعراق والأردن تحت حكم الإنكليز.



المجلس التأسيسي للمملكة السورية المتّحدة
انتخاب أعضائه في بيروت ومقرّراته

ورد في كتاب الأستاذ محمَّد جميل بيهم العهد المخضرم في سوريا ولبنان:

"في أواسط شهر حزيران من عام ١٩١٩ دعا السيِّد عارف الكنفاني نخبة من شباب بيروت إلى اجتماع يُعقد في داره للتداول بشأن اختيار مندوبي بيروت للمؤتمر السوري المنوي عقده بدمشق لمناسبة مجيء اللجنة "الأميركية" المعروفة بأسم لجنة "كينك كراين" إلى سوريا للاستفتاء على حدود سوريا الجغرافية، ومجابهة اللجنة برفض الانتداب، ومطالبة الحلفاء المنتصرين في الحرب العالمية الأولى بالوفاء بعهدهم " للشريف حسين" قائد الجيوش العربية بتقرير المصير.

ووُجّهت الدعوة إلى الشيوخ والشباب، وانتخب المجتمعون بالاقتراع السرّي مرشّحي الشباب. ففاز كلّ من عارف النعماني، توفيق فايد، محمَّد جميل بيهم والدكتور حليم قدورة، وكانت مهمّة هذه اللجنة وضع برنامج".

وفي يوم ٢ تمّوز عام ١٩١٩ اجتمع المنتخبون في دار السيِّد سليم الطيّارة بدعوة منه وانتخبوا بالاقتراع السرّي عشرة أعضاء من بيروت للمؤتمر السوري وهم محمَّد جميل بيهم، رضا الصلح، محمَّد اللبابيدي، الدكتور فريد كسّاب، عارف النعماني، جان تويني، سليم علي

سلام، أحمد مختار بيهم، جرجي حرفوش ومحمَّد الفاخوري. وكذلك انتخبت المدن الأخرى مندوبيها، ففاز السادة توفيق البيسار وسعيد طليع عن طرابلس، رياض الصلح عن صيدا، عفيف الصلح عن صور، سعيد حيدر والدكتور محمَّد علي حيدر عن بعلبك، ابراهيم الخطيب عن إقليم الخروب، تامر حمادة عن الهرمل، رشيد نفّاع عن المتن، توفيق مفرج عن الكورة، مراد غلميّة عن راشيا والأمير محمود الفاعور عن القنيطرة، كما التحق أيضًا الشيخ رشيد رضا والخوري أصطفان بالمؤتمر، الأوّل بصفته مندوبًا عن بيروت والثاني بوصفه مندوبًا عن جبل لبنان مع العلم أنَّ المفوّضية الفرنسية قد حاولت جهدها أن تحول دون هذا الانتخاب.

وذهبوا في القطار إلى دمشق ولمّا هبطوا وجدوها شعلة من نور تحلم بتحقيق الآمال بالاستقلال والحرّية. وقد اشتركوا في المؤتمر مع مندوبي فلسطين والأردن وأنطاكية والإسكندرونة.



المؤتمر السوري العامّ في دورته الثانية تتخلّله النكسات

أمّا بالنسبة للبلاد العربية المنسلخة عن تركيا في أعقاب الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ – ١٩١٨ حيث إنَّ الحلفاء المنتصرين كانوا قد عقدوا فيما بينهم اتّفاقيّات ومعاهدات على تقسيم الأقطار على أساس الانتداب، فيقول السيِّد محمَّد جميل بيهم: "ولمّا لبّى الدكتور ويلسون رئيس جمهورية الولايات المتّحدة الأميركية دعوتهم إلى مؤتمر الصلح في باريس عام ١٩١٩ أصيب بنكسة إذ وجدهم يقصّرون فيما كانوا قد وعدوا به بكرم، فما وَسِعَ الرئيس ويلسون الأميركي إلاّ أن يحاربهم مكتفيًا بتقرير ما كان قد طلب منهم إنشاء عصبة الأمم للإشراف على تنفيذ الانتداب وعلى تحرير العناصر تدريجيًّا".

وكان مؤتمر "سان ريمون" على وشك الانعقاد في نيسان عام ١٩٢٠ لتوزيع الانتدابات، فرأت سوريا أن تستبق هذا التوزيع بدعوة من المؤتمر السوري العامّ للاجتماع بدمشق خلال شهر آذار عام ١٩٢٠ وذلك لإعلان الملكية والاستقلال على أمل أن تواجه مؤتمر "سان ريمون" بالأمر الواقع.

ولمّا تلقّى الوفد اللبناني الدعوة إلى المؤتمر، كان رئيسه محمَّد فوزي العظم قد لاقى وجه ربّه، وانتخب خلفًا له السيِّد هاشم الأتاسي وعيّن الملك فيصل رضا الصلح وزيرًا للداخلية، وهو لبناني.

وفي دورته الثانية قرّر المؤتمر حسب ما أورده محمَّد جميل بيهم في كتابه ما يلي: "اجتمع المؤتمر السوري العامّ في دمشق يوم ٧ آذار عام ١٩٢٠، فقرّر إعلان الاستقلال التامّ وإنشاء مملكة سوريا المتّحدة على أن يكون سموّ الأمير فيصل بن الحسين ملكًا عليها يحمل لقب فيصل الأوّل ملكًا لسوريا".

وهذا نصّ القرار: "إنّ الأمّة العربية ذات المجد القديم والمدنية الزاهرة لم تقم جمعيّاتها وأحزابها السياسية في زمن الترك بمواصلة الجهاد السياسي، ولم ترق دم شهدائها الأحرار وتثر على حكومة الأتراك إلاّ طلبًا للاستقلال التامّ والحياة الحرّة بصفتها أمّة ذات وجود مستقلّ وقومية خاصّة لها الحقّ في أن تحكم نفسها بنفسها إسوة بالشعوب الأخرى التي لا تزيد عليها مدنية ورقيًّا. وقد اشتركت في الحرب العامّة مع الحلفاء استنادًا إلى ما جهروا به من الوعود الخاصّة والعامّة في مجالسهم الرسمية وعلى لسان ساستهم ورؤساء حكوماتهم وما قطعوه خاصّة من العهود مع جلالة الملك حسين بشأن استقلال البلاد العربية، وما جهر به الرئيس الأميركي ويلسون من المبادئ السامية القائلة بحرّية الشعوب الكبيرة والصغيرة واستقلالها على مبدأ المساواة في الحقوق وإنكار سياسة الفتح والاستعمار وإلغاء المعاهدة السرّية المجحفة بحقوق الأمم وإعطاء الشعوب المتحرّرة حقّ تعيين مصيرها التي وافق عليها الحلفاء رسميًّا، كما جاء في تصريحات المسيو بريان رئيس نظّار فرنسا بتاريخ ٢ نوفمبر عام ١٩١٥ أمام مجلس النوّاب، واللورد جراي وزير خارجية

بريطانيا العظمى في ٢٣ أكتوبر عام ١٩١٦ أمام لجنة الشؤون الخارجية وتصريح الحلفاء في جوابهم على مذكّرة الدول الوسطى التي رفعها المسيو بريان بواسطة السفير الأميركي في باريس، وجواب الحلفاء على مذكّرة الرئيس ويلسون بتاريخ ١٠ كانون الثاني عام ١٩١٧، وتصريح المسيو رينو رئيس نظّار فرنسا بتاريخ ٢٢ آذار عام ١٩١٧ أمام مجلس النوّاب، وبيان مجلس الشيوخ بتاريخ ٦ آذار عام ١٩١٧. وما جاء أيضًا في الخطاب الذي ألقاه المستر لويد جورج في غلاسكو بتاريخ ٢٩ حزيران عام ١٩١٧.

وبعد المطالبة بالاستقلال التامّ حسب قرار المؤتمر السوري العامّ في دمشق يوم ٧ آذار عام ١٩٢٠ المبيّن أعلاه، ولم يؤخذ به، بعد مرور عام ونصف والبلاد لا تزال رازحة تحت الاحتلال والتقسيم العسكري الذي ألحق بسوريا أضرارًا عظيمة، وأوقف سير أعمالها ومصالحها الاقتصادية وأوقع الريبة في نفوس أبنائها. اندفع الشعب في كثير من أنحاء البلاد وقام منتفضًا على الحكم العسكري الغريب، ومطالبًا باستقلال البلاد بكاملها.

ويقول السيّد بيهم: "إنّ أعضاء المؤتمر الممثّلين للأمّة السورية في جميع أنحاء القطر السوري، نجهر بآرائنا ونعمل على وجوب الخروج من هذا الموقف الحرج استنادًا إلى حقّنا الشرعي والطبيعي في الحياة الحرّة وإلى دم شهدائنا المراق، وإلى عزم الأمّة الثابت المطالبة بحقّها ووحدتها، والوصول إلى ذلك بكلّ الوسائل فأعلنّا بإجماع الرأي استقلال بلادنا

سوريا بحدودها الطبيعية ومنها فلسطين استقلالاً تامًّا لا ثنائيّة فيه على الأساس المدني النيابي وحفظ حقوق الأقلّية ورفض المزاعم الصهيونية في جعل فلسطين وطنًا لليهود أو محلّ هجرة لهم.

ولقد اخترنا سموّ "الأمير فيصل بن جلالة الملك حسين" الذي واصل جهاده في سبيل تحرير البلاد وخير الأمّة ترى فيه رجلها العظيم فملكًا دستوريًّا على سوريا بلقب صاحب الجلالة الملك فيصل الأوّل".

وهذا إن دلّ على شيء فهو يدلّ على أنَّ الشعب العربي بشكل عامّ والسوري بشكل خاصّ ناضل وقاتل في سبيل تحرير البلاد من الاستعمار ومن الانتدابات العسكرية وفي نهاية المطاف بعد أمد طويل حقّق ما يريد، ولكنّه لم يعرف حصاد النضال بتحقيق وحدته في الآمال والأماني، يجب دراسة العوامل التاريخية والاقتصادية وحتّى العوامل الشخصية.



الصراع بين سلطتي بيروت ودمشق وخروج الملك فيصل من دمشق

دخل الأمير فيصل بن الملك حسين إلى سوريا أميرًا ومن ثمَّ ملكًا وبدأ حكمه مناضلاً يتحلّى بصفات القيادة وحسن التدبير. وصل إلى دمشق في ١٠ تشرين الأوّل عام ١٩١٨ فاتحًا، بأسم أبيه ملك العرب، وكان قد قضى عامين في الصحراء بين سوريا والحجاز يحارب السلطنة العثمانية إلى جانب الحلفاء. وكانت آماله مشبعة بالعنفوان استنادًا إلى العهود التي تلقّاها والده الملك حسين من الإنكليز والحلفاء في غضون الحرب العالمية الأولى، ويقول السيِّد بيهم: "لم يكن الأمير فيصل ولا والده الملك حسين يعلمان أنَّ حليفته الكبرى إنكلترا قد أبرمت مع فرنسا اتّفاق "سايكس بيكو" في نفس السنة التي أعلن فيها والده الثورة العربية من مكّة سنة ١٩١٦، وذلك الاتّفاق الذي يقضي بتقسيم بلاد العرب بينهما بعد النصر على تركيا، كما أنّهما لم يكونا يعلمان شيئًا عمّا أعطى بلفور من الوعد للصهيونيين سنة ١٩١٧ في صدد إقامة وطن قومي لهم بفلسطين. ذلك بأنَّ التحفّظ الذي جاء في كتاب "مكماهون" المؤرّخ في ٢٥ تشرين الأوّل سنة ١٩١٥ والموجّه إلى الشريف حسين الذي وعدته فيه إنكلترا باستقلال العرب اعتبره الشريف تحفّظًا يقتصر على المنطقة الواقعة غربي سنجق دمشق فقط. وقد فهمه الشريف حسين

وأولاده وقتئذٍ تحفظًا لا يتعدّى متصرّفية لبنان التي ستكون بعد الحرب من نصيب فرنسا".

إنَّ اتّفاق "سايكس بيكو" ووعد "بلفور" الذي أبرمه الحلفاء إبّان الحرب كان مجهولاً لدى العرب، ولم يُعلم إلاّ بعد أن أعلنتها الصحف الشيوعية الصادرة في روسيا. ولم تصل إلى مسمع الأمير فيصل إلاّ بعد دخوله إلى سوريا سنة ١٩١٨. وهنا بدأ الأمير فيصل يفكّر بحسابات لمواجهة ما سيأتي به الزمن وبقي عاقدًا العزم على المواجهة والكفاح في سبيل تحقيق استقلال العرب وأمانيهم.

ولمّا تقرّر عقد مؤتمر الصلح في حزيران سنة ١٩١٩ طلب الشريف حسين من ولده الأمير فيصل الذهاب إلى باريس لتمثيله في المؤتمر الذي عُقد في قصر فرساي. وكانت تجري خلوات سرّية بين وزراء خارجية الدول التالية إنكلترا وفرنسا وإيطاليا وهم: لويد جورج وكليمنصو وأورلاندو للاتّفاق على صورة تنفيذ مقرّرات اتّفاق "سايكس بيكو" يرضى عنها الرئيس الأميركي الذي كان يصرّ على بنوده الأربعة عشر الداعية إلى تحرير العناصر وإلى منحها حقّ اختيار المصير.

ويقول السيِّد بيهم: "إنَّ دور أورلاندو الإيطالي ثانويًّا في المحادثات، فاختار لويد جورج وكليمنصو طريقة الانتداب تحت إشراف عصبة الأمم كحلّ للتوفيق بين متابعة الاستعمار وبين رغبات الرئيس الأمير".

وفي ٣١ تشرين الأوّل عام ١٩١٨ بمقتضى معاهدة "سايكس بيكو" توزّعت مناطق الاحتلال على الوجه التالي:

أوّلاً – المنطقة الجنوبية (فلسطين) تحت سيطرة الجيش الإنكليزي.

ثانيًا – المنطقة الغربية: ولاية بيروت ومتصرّفية جبل لبنان وكليكيا للجيش الفرنسي.

ثالثًا – المنطقة الشرقية: دمشق وحلب للجيش العربي.

ولكن بقي هذا الوضع على حاله لغاية ١٥ أيلول عام ١٩١٩ حيث بقيت إنكلترا محتلّة فلسطين والعراق، وسحبت جيوشها من كلّ باقي المناطق تاركة إيّاها للجيش الفرنسي.

ويقول السيِّد بيهم في كتابه: "إنَّ الأمير فيصل بموجب الاتّفاق ظلّ يحكم سوريا الداخلية. ولكن نظرًا لهذا التباين في تفسير الأوضاع حصل الاحتكاك بين حكومة الأمير فيصل وبين الفرنسيين في بيروت الذي أدّى إلى الثورات في وجه الفرنسيين وخصوصًا على الحدود". وكلّ الذي حصل جعل الرئيس الأميركي ويلسون يرسل لجنة إلى سوريا ولبنان وفلسطين برئاسة شارل كرين وعندما وصلت سوريا، قام الأمير فيصل وحكومته داعيًا أهالي سوريا ولبنان وفلسطين إلى مؤتمر يُعقد في دمشق للتأكيد على المطالب والرغبات عند الشعب السوري لمجابهة اللجنة عند وصولها.

وعُقد المؤتمر في النادي العربي في ٢ تمّوز عام ١٩١٩ وافتتحه الأمير فيصل صاحب الدعوة بالخطاب التالي:

"إخواني، لا شكّ أنَّ هذا الاجتماع تاريخي بالنسبة للتاريخ العربي المستقبلي. وإنّي أعتني أن تكون هذه الهيئة مفتاح التاريخ العربي الجديد فنضع أوّل حجر في الديمقراطية العربية.

قصدت عقد هذا الاجتماع في دار الحكومة ولكن أشار البعض بالعدول عن هذا الفكر خوفًا من حمل هذا العمل على محمل ليس بصحيح ولئلاً يظنّ بعض الناس أنَّ الهيئة مجبرة على قبول رأي الحكومة أو تحت تأثير شخص. فالاجتماع في مكان آخر حرّ بدون أن يكون علاقة للحكومة به، يكون له أعظم تأثير. ولذلك اخترت أن يكون الاجتماع هنا في النادي العربي ليكون حرًّا تمام الحرّية وأحببت أن أكون حاضرًا بين يديكم وأتكلّم كلمتين فأقول:

إخواني، إنَّ السبب الذي حملني على جمعكم من جميع الأنحاء السورية بصفتكم مندوبين تمثّلون الأمّة السورية، وجعلنا نكتفي بالمنتخبين الثانويين هو ضيق الوقت ولأنّه صار من الواجب إحضار هيئة تمثّل عموم أهالي سوريا أمام اللجنة.

إخواني، إنَّ مهمّتكم هذه تنحصر بأمرين عظيمين.

الأوّل: تمثيل الأمّة السورية أمام اللجنة وعرض أمانيها ومطالبها لتقدّمها إلى مؤتمر السلام.

الثاني: سنّ قانون أساسي يكون دستور أعمال الأمّة في المستقبل، ويحفظ حقوق الأقلّيات في البلاد لأنكم تعلمون أيّها الإخوان أنَّ الأتراك هضموا حقوق الأقلّية فيجب علينا نحن مراعاة هذه النقطة وتنظيم قانون

أساسي تسري عليه جميع الأمّة السورية بشرط المحافظة على حقوق الأقلّية. واعلموا أيّها الإخوان أنَّ الأمم تنظر إلينا وتترقّب كلّ بادرة نأتي بها والوقت ضيّق لا يجوز إضاعته. وجب عليكم أن تباشروا في إعداد الذي تنتظره اللجنة فابدأوا بعملكم، هيّأ الله من أمركم رشدًا".

وفي هذا الخطاب نرى أنَّ الأمير فيصل رجل دولة من الطراز الرفيع ويتحلّى بروحية شعبية مجرّدة من أيّ غاية شخصية ويستشف أنَّ الواقع المراد منه الدعوة هو حقًّا مجابهة الدول المعنيّة، وهو رجل شجاع ذو حنكة سياسية وطنية عربية لا يعرف في تاريخه اللفّ والدوران كما سجّل له التاريخ ليصبح بحقّ بطلاً من أبطال التاريخ العربي المارّ وحتّى الحاضر.

ولنعد إلى لجنة "كينغ كراين" عندما وصلت إلى دمشق واجهت مقرّرات المؤتمر السوري الذي انعقد في النادي العربي بأسم مناطق سوريا الثلاث، وقد ورد في المادّة السادسة منه ما يلي: "لا نعترف بأيّ حقّ تدّعيه الحكومة الفرنسية في أي شطر من بلادنا السورية مهما يكن ونرفض مساعدتها أو أن يكون لها يد في بلادنا، وفي أيّ حال وفي أيّ مكان".

وبعد مغادرة اللجنة دمشق زارت لبنان وفلسطين وبقيّة المدن السورية واستمعت إلى الهيئات الرسمية ورجال الدين والأعيان، وتلقّت ١٨٦٣ عريضة مختلفة الأفكار، ولمّا عادت إلى الولايات المتّحدة الأميركية رفعت تقريرها إلى الرئيس ويلسون. ومن العرائض التي حملتها

اللجنة هناك ١٠٧٣ عريضة في سوريا تطلب وصاية بريطانيا العظمى إذا لم تقبل الولايات المتّحدة الأميركية بالوصاية. وكان هناك ما يقارب ٦٠% من العرائض ترفض وصاية فرنسا مباشرة.

وهذا بعد عودة لجنة كينغ كراين إلى واشنطن مارّة بباريس حيث اطّلع على تقريرها الأقطاب الأربعة وهم: ويلسون، لويد جورج، كليمنصو وأورلاندو حيث تفاقمت الأزمة بين حكومة الأمير فيصل وبين الجنرال غورو المندوب السامي الفرنسي بسبب دعوة المؤتمر السوري.

وبعد المباحثات في باريس، بناء على نصيحة من لندن بأن يتفاهم الملك فيصل مع كليمنصو وزير خارجية فرنسا. تمّ الاتّفاق بينهما على اعتراف الجمهورية الفرنسية به حاكمًا على سوريا الداخلية لقاء اعترافه بانتدابها على كلّ سوريا داخلها وساحلها باستثناء فلسطين التي كانت تحت حكم السلطات الإنكليزية.

وفي ٨ كانون الثاني ١٩٢٠ روت صحيفة ليطان الفرنسية الاتّفاق:

"وافق الأمير فيصل، منسجمًا مع فرنسا، على انتدابها على سوريا كافّة. ولقاء ذلك فإنَّ فرنسا رضيت بقيام منطقة عربية تشمل المدن الأربعة: دمشق، حمص وحلب على أن تكون تحت سوريا ولبنان، وإنَّ الأمن سيعهد إلى رجال الدرك العربي".

ولكن ما إن وصل الأمير فيصل إلى بيروت في ١٩٢٠/١/١٤ حتّى احتفل بقدومه احتفالاً شعبيًا برضاء السلطة. ولكنّه عندما وصل إلى العاصمة دمشق، وأخذت تتسرّب أخبار الاتّفاق مع السيِّد كليمنصو

وزير خارجية فرنسا إلى الأوساط الشعبية فقامت القيامة بسبب الاتّفاق مع فرنسا والقبول بانتدابها. "هذا لن يكون أبدًا" كما هتف الشعب.

وبعد الغضب الذي عمّ سوريا فأرسلت في ٢٠ تمّوز عام ١٩٢٠ هذا الإنذار إلى دمشق بعد إطلاع بريطانيا عليه:

أولاً–أن تقبل حكومة الأمير فيصل أن تخلي الجنود العربية سكّة الحديد السوريّة من رياق إلى حلب.

ثانيًا–أن تحتلّ الجنود الفرنسية محطّات حمص، حماه وحلب احتلالاً عسكريًّا.

ثالثًا–أن تقبل البلاد الخاضعة لحكم الأمير فيصل التعامل بالورق السوري النقدي.

رابعًا–أن تقبل الحكومة التشريعية انتداب فرنسا على بلادها.

خامسًا–أن تعاقِب الثائرين في مذابح مرجعيون التي وقعت سنة ١٩٢٠.

سادسًا–أن تمنع التجنيد الإجباري.

ويضيف السيِّد بيهم: "على الرّغم من أنَّ الإنذار أعطى مهلة ٤٨ ساعة إلى حكومة دمشق برئاسة هاشم الأتاسي، فقد زحفت القوّات الفرنسية على سوريا بقيادة الجنرال غارتيه بثلاث فرق عسكرية، الأولى من وادي التيم إلى حوران وجبل الدروز، والفرقة الثانية نحو طريق حمص وحماه والفرقة الثالثة إلى دمشق بطريق وادي الحرير".

وصادف في تحرّك العسكر الفرنسي أنَّ عددًا من البدو ومعهم فصيلة من الجنود السوريين هاجموا قوّة فرنسية مرابطة في تل كلخ بين طرابلس وحمص. فاتّخذ من هذا الهجوم الجنرال غورو مبرّرًا له لمتابعة التقدّم نحو دمشق. ولكن سوريا خلال العهد الفيصلي لم تكن مجهّزة بجيش منظّم للدفاع عن نفسها ولكنّها تصدّت بقواها العسكرية الضعيفة في ساحة الوغى، بقيادة وزير الحرب السوري البطل يوسف العظمة، وبقيت المعركة ثماني ساعات في ميسلون واستشهد البطل يوسف العظمة في ميسلون وسيطر الجيش الفرنسي.

وبعد هذه المجابهة، أصدر الفرنسي الجنرال غورو إلى الملك فيصل أمرًا بمغادرة دمشق فامتثل الملك وغادرها في ١ آب عام ١٩٢٠ إلى فلسطين ومنها إلى أوروبا متألّمًا من ألاعيب الحلفاء.



الصراع في لبنان بين المطالبين بالوحدة مع سوريا، والذين يريدون الانفصال عنها

سمحت السلطة البريطانية للأمير سعيد الجزائري، في منتصف عام ١٩١٩، بمغادرة منفاه في مدينة حيفا بفلسطين، فتوجّه إلى بيروت التي كانت تحت احتلال جيوش الحلفاء، وكانت متصرّفية جبل لبنان وسائر الساحل السوري من ولاية بيروت التي تبدأ من مدينة القدس بفلسطين حتَّى حدود الإسكندرون في سوريا أيضًا تحت الاحتلال. وكان الجميع ينتظرون ما سيقرّره مؤتمر الصلح المنعقد في (باريس) فرنسا الذي كان يدرس مصير البلاد العربية بعد استقلالها عن السلطنة العثمانية. وفي هذا الوقت كانت أكثريّة سكّان ولاية بيروت تطالب بالانضمام إلى الدولة السورية، أمّا في جبل لبنان فقد كانت الأكثرية تصرّ على الاستقلال عن الدولة السورية وتطالب بشدّة أن يشمل وطنهم مدينة بيروت والأقضية التي كانت تابعة لدولة سوريا.

وفي فترة الصراع الذي أخذ يشتدّ بين الوحدة وبين الاستقلاليين، انتدب مجلس إدارة لبنان في شهر كانون الثاني عام ١٩١٩ وفدًا للذهاب إلى مؤتمر الصلح حاملاً المطالب التالية:

١- توسيع حدود لبنان ليشمل جميع الأنحاء التي سُلخت منه في عهد حكم السلطنة العثمانية.

٢- الاعتراف باستقلال لبنان وحقّه في اختيار نوع الحكم الذي يلائمه.

٣– إنشاء مجلس نوّاب مُنتخب على قاعدة التمثيل النسبي.
٤– معاونة فرنسا للبنان، ومساعدة حكومته، وتأييد استقلاله.

وإذ بالأمير فيصل بن حسين بدمشق يمثّل الفئة الوحدوية من سكّان ولاية بيروت ومتصرّفية جبل لبنان، وكان يأمل الأمير بأن يعترف الحلفاء بهاتين المنطقتين من عداد البلاد العربية التي تعهّدت بريطانيا لأبيه الملك حسين بالتخلّي عنهما له. سافر الأمير فيصل إلى مؤتمر الصلح في ٣ شباط عام ١٩١٩ وقدّم مذكّرة، على اعتبار مطلب الوحدة هو مطلب البلاد العربية.

وكانت النتيجة أنَّ مؤتمر الصلح لم يقرّر شيئًا في هذا الخصوص، فعقدت مباحثات ما بين الأمير فيصل وبين كليمنصو رئيس وزراء دولة فرنسا، واتّفقا على أنَّ الوفد اللبناني فشل في مهمّته.

وهذا الاتّفاق بين الأمير فيصل وكليمنصو كانت نتيجته أنَّ فرنسا تعترف بحكم الأمير فيصل على سوريا، مقابل اعترافه بالانتداب الفرنسي، وإيقاف الثورات ضدّ فرنسا.

أمّا الوفد اللبناني فقد لاقى صدمة إثْر الاتّفاق الذي تمَّ بين الأمير فيصل ومسيو كليمنصو وحاول الفرنسيون إقناعهم بوجوب الانضمام إلى سوريا، فعاد الوفد بخيبة الآمال.

ولكنَّ الاتّفاق بين الأمير فيصل وكليمنصو لم يُكتب له النجاح لأنّه قوبل بمعارضة السوري واللبناني، وكاد السوريّون يثورون على حكم الأمير فيصل حتّى تراجع عنه. أمّا الجمعيات اللبنانية في مصر وأميركا

فعمدت إلى تقديم الاحتجاج على مؤتمر الصلح، أمَّا في بيروت فقد حمل ممثّل الحكومة الفرنسية البطريرك الماروني "الياس الحويك" على التسليم بإلحاق لبنان بسوريا، أجاب غبطته يقول: "إنَّ الموت في ظلّ صخورنا خير لنا من الإنضمام إلى دمشق". وفي عام ١٩١٩ صيفًا سافر البطريرك الياس الحويك إلى العاصمة الفرنسية "باريس" على رأس وفد لبناني، وفي ٢٥ تشرين الأوّل قدّم مذكرة مطالب إلى مؤتمر الصلح بأسم اللبنانيين حكومة وشعبًا يطالب باستقلال لبنان على النحو التالي:

١- الاعتراف باستقلال لبنان الذي أعلن في ٢٠ أيّار عام ١٩١٩ من قِبَل الحكومة والشعب اللبناني.

٢- إعادة الكيان اللبناني إلى حدوده التاريخية والطبيعية، وذلك بإعادة الأراضي التي سلختها تركيا منه وإعادتها إليه.

٣- تطبيق القانون بحقّ الترك والألمان الذي حرّكوا أو نفّذوا المظالم التي وقعت في لبنان خلال الحرب، والتعويض على اللبنانين المنكوبين من الاعتداء.

٤- إنَّ معاهدة الصلح في "فرساي" الموقّعة في ٢٨ حزيران عام ١٩١٩ قد وضعت مبادئ الانتداب، على أن لا تكون معارضة لحقّ لبنان في حكم نفسه.

وإذ جاءت هذه المذكّرة بعد فشل الأمير فيصل بإقناع السوريين بقبول اتّفاقه مع مسيو كليمنصو، فهي قد أفسحت المجال أمام البطريرك

الياس الحويك لنجاح مهمّته وفي ١٠ تشرين الثاني عام ١٩١٩، فكتب مسيو كليمنصو رئيس وزراء فرنسا إلى غبطة البطريرك ما يلي:

أيّها السيد البطريرك،



"إنَّ المفاوضات التي جرت منذ وصول غبطتكم إلى باريس في ما بينكم وبين وزير الخارجية وبيني قد وطّدت دون أدنى شكّ فيكم الاعتقاد بأنَّ حكومة الجمهورية متمسّكة تمسّكًا لا تنفصم عراه بتقاليد الوِداد المتبادل القائم منذ قرون بين فرنسا ولبنان. تلك المفاوضات إنّما هي حلّ المشكَل الذي نسعى إلى حلّه في مؤتمر الصلح على وجه الإجمال مطابقًا لأماني الشعب الذي أنت ممثّله السامي.

إنَّ رغبة اللبنانيين في المحافظة على حكومة ذاتية ونظام وطني مستقلّ، تتّفق كلّ الاتفاق مع تقاليد فرنسا ومؤازرتها وذلك بالاستقلال عن كلّ مجموع حزبي أيًّا كان، كما أنَّ اللبنانيين يحفظون ويوسعون نطاق أنظمتهم السياسية والإدارية، ويرغبون بأن يستعجلوا بأنفسهم زمن الانتفاع التامّ من مرافق بلادهم، ومن ثمَّ كيف يتأهّب أولادهم بمدارسهم للانتفاع من الوظائف العمومية.

وإنَّ فرنسا التي ترغب في تحسين العلاقات الاقتصادية بين البلاد الموضوعة تحت وصايتها ستنظر أيضًا بعين العناية، عند تحديد تخوم لبنان في أمر ضرورة تخويل الجبل الإفادة من الأراضي السهلية والمرافئ

اللازمة له. وإنّني على ثقة أنَّ التأكيدات التي أبديها لغبطتكم تتّفق مع العواطف التي حملت الشعب اللبناني في هذه المرّة أيضًا على طلب وصاية فرنسا على بلاده. ولي الأمل أنَّ الحلّ النهائي الذي سيدركه مؤتمر الصلح في المسألة السورية سيفسح المجال للحكومة الفرنسية كي ما تحقّق كلّ التحقيق أماني هذا الشعب الباسل. (تنازل يا صاحب الغبطة واقبلِ فائقِ اعتباري)".

ج. كليمنصو
فرنسا

والمهمّ أنَّ هذه الرسالة، رسالة مسيو كليمنصو كانت حجر الزاوية في بناء الكيان اللبناني، كما أراد غبطة البطريرك الياس الحويك. وفي ٢٥ نيسان عام ١٩٢٠ وقعت معاهدة من سان ريمو تتضمّن انتداب فرنسا على دولة سوريا. وفي نفس الوقت أوفدت فرنسا الجنرال غورو لتحقيق استقلال لبنان الكبير في مدينة بيروت، وذلك يوم ٣١ آب عام ١٩٢٠.

وفي تلك الفترة المشحونة ضدّ الفرنسيين، جاء الأمير سعيد الجزائري إلى بيروت عاصمة لبنان، وكان الخصم للإنكليز الذين طردوه من دمشق ونفوه. كان الأمير سعيد ناقمًا على الأمير فيصل بتهمة قتل أخيه الأمير عبد القادر الجزائري بالاشتراك مع الإنكليز.

عاش الأمير سعيد معزّزًا مكرّمًا من قِبَل اللبنانيين والفرنسيين في بيروت لعدّة شهور. وكان له في بيروت منافس وحيد هو "أحمد نامي بك" وهو ابن فخري بك الجركسي الأصل المصري الجنسية.

وفي أواخر شهر تمّوز عام ١٩٢٠ دخلت الجيوش الفرنسية دمشق وطردت الملك فيصل الأوّل منها. وفي ٣١ آب عام ١٩٢٠ عاد الأمير سعيد إلى منزله في دمشق وعاش محافظًا على كرامته دون العمل في السياسة ولم يتسلّم أي مسؤوليّة. أمّا أحمد نامي بك فكان صاحب حظّ فقد ساعده عامل الزمن. ففي أواخر أيّام الثورة السورية الكبرى (١٩٢٥–١٩٢٧) عيّنته حكومة فرنسا رئيسًا للدولة السورية حتّى هدأ الوضع، وعاد إلى منزله في بيروت.



الأمير سعيد الجزائري



استلم الأمير سعيد الجزائري الحكم في سوريا من الشريف ناصر بن راضي، وأعلن استقلاله عن الأتراك وممارسة الحكم، حتَّى يصل الأمير فيصل بن الحسين في ٧ تشرين الأوّل عام ١٩١٨م. دخل الأمير فيصل إلى دمشق في ١٠ تشرين الأوّل ١٩١٨م، وكلّف الأمير سعيد الجزائري شكري الأيوبي بالذهاب إلى بيروت لاستلام الحكم بأسمه. وبعد خمسة أيّام وصل شكري الأيوبي إلى بيروت واستلم زمام الحكم ورفع العلم العربي على الثكنة العسكرية التي أصبحت في عهد الاستقلال مقرًّا لدار الدولة اللبنانية على أنَّ حكم شكري الأيوبي لم يدم سوى أيّام قليلة، حيث عمد الفرنسيون إلى محاولة تنحية شكري ومنعوه من الذهاب من الفندق الذي يقيم فيه، وذلك صباح (١٨ تشرين الأول ١٩١٨)، وتولّى مكانه الكولونيل دي بياباب الفرنسي، على أن يبقى جميل الألشي الذي كان يرافق شكري الأيوبي.

ويقول محمّد جميل بيهم في مذكّراته حول رئاسة المؤتمر وتأليف الوزارة: "تلقّينا الدعوة إلى المؤتمر السوري في دورته الثانية وكان رئيسه محمّد فوزي المعظم قد أدركه الأجل، ترشّح اثنان هما السيّدان سليم علي سلام ورضا الصلح. ولكنّنا أدركنا أنَّ المؤتمر في دمشق اختار السيّد هاشم الأتاسي.

- مقرّرات المؤتمر في دورته الثانية

اجتمع المؤتمر السوري العام المنعقد في دمشق يوم ٧ آذار ١٩٢٠ فقرّر في هذه الجلسة التاريخيّة إعلان الاستقلال التامّ، وإنشاء مملكة سورية المتّحدة على أن يكون سموّ الأمير فيصل بن الحسين ملكًا عليها بلقب فيصل الأوّل ملكًا على سوريا. وهذا نصّ القرار "إنَّ المؤتمر السوري العامّ الذي يمثّل الأمّة السورية العربية في مناطقها الثلاث الداخلية والساحلية والجنوبية (فلسطين) وذلك في ليلة الإثنين الموافق في ٧ آذار ١٩٢٠. وخلاصة المؤتمر ما يلي: "نحن أعضاء المؤتمر رأينا بصفتنا الممثّلين للأمّة السورية في جميع أنحاء القطر السوري تمثيلاً صحيحًا نتكلّم بلسانها، ونجهر بآرائها، وجوب الخروج من هذا الموقف الحرج استنادًا إلى حقّنا الطبيعي والشرعي في الحياة الحرّة وإلى دم شهدائنا المُراق، وجهادنا المديد في السبيل المقدّس وإلى الوعود والعهود والمبادئ السامية، وإلى ما شاهدناه ونشاهده كلّ يوم من عزم الأمّة الثابت على المطالبة بحقّها ووحدتها، والوصول إلى ذلك بكلّ الوسائل فأعلنّا بإجماع الرأي استقلال بلادنا سوريا بحدودها الطبيعية ومنها فلسطين استقلالاً تامًا لا شائب فيه على الأساس المدني النيابي وحفظ حقوق الأقلّية، ورفض مزاعم الصهيونية في جعل فلسطين وطنًا لليهود، أو محلّ هجرة لهم. وقد اخترنا سموّ الأمير فيصل بن جلالة الملك حسين الذي واصل جهاده في سبيل تحرير البلاد، وخير الأمّة ترى فيه رجلها العظيم فملكًا دستوريًا على سوريا بلقب صاحب الجلالة الملك فيصل

الأول. وأعلنّا انتهاء الحكومات الاحتلالية الحاضرة في المناطق الثلاث على أن يقوم مقامها حكومة ملكيّة نيابيّة مسؤولة حيال هذا المجلس في كلّ ما يتعلّق بأساس استقلال البلاد التامّ إلى أن تتمكّن الحكومة من جمع مجلسها النيابي".

وأخيرًا دخل الشريف فيصل بن حسين دمشق أميرًا، وخرج منها ملكًا. دخل في ١٠ تشرين الأوّل سنة ١٩١٨ فاتحًا بأسم أبيه ملك العرب.



محمَّد سعيد الجزائري

هو حفيد المناضل الجزائري الشهير عبد القادر الجزائري الذي عاش وأقام في سوريا وجاء بعد رضا الركابي.

عقب انسحاب العثمانيين من دمشق، تحرّك محمَّد الجزائري وأعلن نفسه رئيسًا للحكومة العربية في سوريا بأسم الشريف حسين بن علي قائد الثورة العربية الكبرى، واستمرّ في منصبه أيّامًا قليلة انقضت بدخول فيصل بن الحسين إلى دمشق حيث قام بإقالة الأمير الجزائري ونصّب مكانه رضا الركابي الذي قام بإرسال شكري الأيوبي إلى بيروت على رأس كتيبة من الجنود ليكون حاكمًا عامًا عليها تابعًا للحكومة المركزية في دمشق.



علي رضا الركابي



أبصر علي رضا الركابي النور بدمشق في عام ١٨٨٦، وهو ينتمي إلى أسرة دمشقية عريقة، تُعرف بالاستقامة والتقوى. تلقّى تعليمه الابتدائي في المدرسة الرشدية العسكرية. وانتقل منها إلى المدرسة الإعدادية. ولأنه كان متفوّقًا على جميع أقرانه، وتقديرًا لعلامات النبوغ والعبقرية لديه، فقد أرسل إلى المدرسة الحربية في الأستانة، حيث درس فيها الشؤون العسكرية. وتخرّج منها حاملاً رتبة "رئيس أركان حرب". بعد تخرّجه من المدرسة الحربية عُيّن قائدًا للجيش التركي في القدس، ووكيلاً لمتصرّفها. عندما أعلن الدستور العثماني، عُيّن رئيسًا للشعبة الخاصّة في الأستانة. ونُقل منها إلى المدينة المنوّرة حيث عُيّن محافظًا فيها وقائدًا لجيشها، وذلك بعد أن جرت ترقيته إلى رتبة أمير لواء. رحل إلى العراق حيث تسلّم قيادة الجيش في بغداد والبصرة.

- تشكيل أول وزارة سورية

عقب إعلان الثورة العربية الكبرى، ودخول الجيش العربي دمشق، عُيّن رضا الركابي حاكمًا عسكريًّا للمنطقة الشرقية. وعندما أعلن المؤتمر السوري استقلال سوريا، في الثامن من آذار ١٩٢٥، وتسلّم الأمير فيصل بن الحسين زمام الحكم ، ونودي به ملكًا على سوريا، عهد إليه بتشكيل أول وزارة عربية، فتسلّم الركابي زمام الأمور، وشكّل

الوزارة، ولُقِّب بالحاكم العسكري. بعد معركة ميسلون غير المتكافئة ـ والتي استُشهد فيها يوسف العظمة ـ ودخول القوّات الفرنسية إلى دمشق، وانتهاء العهد الفيصلي، رحل رضا الركابي إلى مصر وانتقل منها إلى الحجاز، وهناك كلّفه الشريف حسين بالذهاب إلى الأردن، لمساعدة ولده الأمير عبد الله بتأسيس وإدارة دولة شرقي الأردن.

ـ رضا الركابي في الأردن

عُهد في عمان إلى الركابي في الثاني عشر من آذار ١٩٢٢ أمر الحكومة الأردنية الأولى. وعمل على وضع القوانين والأنظمة المناسبة للدولة الأردنية الجديدة، ولا سيّما في نطاق الأنظمة المالية والجهاز الإداري. وفي الثالث من تشرين الأول عام ١٩٢٢ دعاه الأمير عبد الله إلى مرافقته في رحلة إلى لندن، لعقد معاهدة بين الأردن وبريطانيا، وبحث الشؤون العربية هناك.

وكان الركابي وهو رئيس للوزراء في الأردن، يدعم الثورة السورية بكلّ إمكاناته سرًّا، ويذكي روح المقاومة بين صفوف الثوّار. ومن أجل هذا، لم يستطع عقب استقالته من رئاسة الوزارة العودة إلى أرض الوطن، بل آثر الإقامة في فلسطين، إلى أن انتهت الثورة، وصدر العفو العام على كلّ من شارك بالثورة. وكان خلال إقامته في الأرض الفلسطينية يعيش عيش الكفاف، بسبب فقره وضيق ذات يده. بعد عودته إلى دمشق ووفاة الملك الهاشمي فيصل الأوّل اعتزل الرجل، النزيه، المستقيم، العمل السياسي ولزم بيته، وانقطع عن الناس.

رحل رضا الركابي إلى جوار ربّه، يوم الإثنين في الخامس والعشرين من أيّار عام ١٩٤٢، بعد أن عانى من المرض طويلاً، وأصيب بالشلل.



فيصل الأول



الشريف فيصل الهاشمي (٢٠ مايو ١٨٨٣ـ ٨ سبتمبر ١٩٣٣) وُلد في مدينة الطائف التابعة لإمارة مكّة إحدى إمارات ولاية الحجاز التابعة للدولة العثمانية، وكان الإبن الثالث لشريف مكّة الشريف حسين بن الشريف علي بن الشريف محمَّد بن عبد المعين بن عون الهاشمي. في عام ١٩١٣ اختير ممثّلاً عن جدّه في البرلمان العثماني. كان ملك العراق من ١٩٢١ إلى ١٩٣٣ وكان لفترة قصيرة ملك سوريا (في عام ١٩٢٠). تزوّج مرّتين وله ابنان: غازي ومحمَّد، وثلاث بنات: رفيعة وعزة وراجحة.

ـ نبذة تاريخيّة

كان الشريف حسين بن علي حاكمًا من قبل الخلافة العثمانية على مكّة المكرّمة. وفي مسعى بريطانيا لتفويض أركان الخلافة العثمانية تمهيدًا لإقامة الدولة اليهودية على أرض فلسطين استخدمت النزعة القومية لتحقيق هدفها فشجّعت على إنشاء جمعيّة الاتّحاد والترقّي في تركيا والتي تنادي بتفوّق الأتراك وفصلهم عن العالم العربي. أقام الزعيم الإنكليزي مكماهون مراسلات حسين مكماهون انتهت سنة ١٩١٥ باتّفاقية مع الشريف حسين بتدبير من ضابط المخابرات الإنكليزي لورنس، ووعدوه بإنشاء مملكة للعرب يكون الشريف حسين ملكًا عليها، تضمّ الحجاز

والعراق وسوريا والأردن وعاصمتها مكّة المكرّمة باستثناء فلسطين والإسكندرونة في سوريا أهديت بعد ذلك لتركيا، ولبنان وأقامت فيها فرنسا دولة للموازنة على أن تتعاون إنجلترا اقتصاديًّا وعسكريًّا مع المملكة الناشئة خلال الحرب العالمية الأولى على الخروج على دولة الخلافة العثمانية وضربها من الجنوب في الوقت الذي كانت تقاتل فيه روسيا القيصرية شرقًا وأوروبا الشرقية وإنجلترا وفرنسا وإيطاليا غربًا وشمالاً. فسمّي هذا الخروج "الثورة العربية الكبرى" وكان على رأس جيش الشريف حسين ابنه الأمير فيصل حيث تولّى قيادة الجيش الشمالي إلى جانب القوّات البريطانية ودخل سوريا سنة ١٩١٨م بعد جلاء الأتراك عنها.

في سنة ١٩١٦، وبعد شهور قليلة من اتّفاقية مكماهون مع الشريف حسين، أقامت إنجلترا وفرنسا معاهدة سرّية وهي معاهدة سايكس بيكو في بطرسبرغ بروسيا اتّفقوا فيها على تقسيم أملاك الخلافة العثمانية بينهما بعد انتهاء الحرب العالمية على أن تفرض إنجلترا حمايتها على العراق والأردن، وتفرض فرنسا حمايتها على سوريا ولبنان بينما تصبح لفلسطين إدارة دولية تحت إشراف روسيا وهي البلاد التي وعدوا بإعطائها للشريف حسين وسرّبت روسيا أخبار المعاهدة إلى الشريف حسين الذي انزعج جدًّا واتّصل بإنجلترا إلاّ أنّهم نفوا حينذاك خبر المعاهدة وطمأنوا الشريف حسين على وفائهم بالاتّفاق معه. وجاء بعدها وعد بلفور في ١٩١٧ ببناء وطن قومي لليهود في فلسطين بعد تفويض الخلافة

العثمانية بمساعدة حزب الاتحاد والترقي في تركيا والشريف حسين من العرب.

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٧ بدأت إنجلترا وفرنسا تقسيم أملاك الخلافة العثمانية أو تركة الرجل المريض كما أسموها، وطبّقوا اتفاقية سايكس بيكو مع تعديل، بجعل فلسطين تحت الانتداب الإنجليزي فقط بدل الإشراف الدولي مقابل إطلاق يد فرنسا في الجزائر وتونس ووزّعوا البلاد التي وعدوا بها الشريف حسين، فثار عليهم فاعتقلوه ونفوه إلى قبرص وجعلوا ابنه فيصل الأول حاكمًا على العراق وابنه عبد الله بن الحسين حاكمًا على الأردن.

في سنة ١٩١٩ عُقد مؤتمر للسلام في باريس للدول المتصارعة في الحرب العالمية الأولى وحضره الأمير فيصل ممثّلاً عن العرب ولم يتكلّم فيه إلاّ مرّة واحدة قال فيها: "أطالب باستقلال البلدان العربية مع ترك فلسطين جانبًا بالنظر إلى طابعها العالمي" وأرسل بعدها رسالة إلى فرانكفورتر الزعيم الصهيوني الأمريكي قال فيها: "نحن العرب وخاصّة المثقّفين ننظر برغبة شديدة إلى النهضة الصهيونية ولسوف نعمل ما في وسعنا لمساعدة اليهود أبدًا. ونتمنّى لهم وطنًا ينزلون فيه على الرحب والسعة. وإنّني أتطلّع وشعبي إلى مستقبل نستطيع فيه أن نتبادل التعاون لتصبح البلاد التي نشترك في الاهتمام بها ذات مركز بين الأمم المتمدّنة في العالم" ولكن لم ينل الأمير فيصل ما أراده من المؤتمر كما أنَّ لورنس حاول توريط فيصل بمعاهدة مع (حاييم وايزمن) إلاّ أنَّ فيصل

كتب تحفّظًا في أسفل الوثيقة المقدّمة إليه جعلها غير مفيدة. كما أنَّ الدكتور أحمد قدري أكّد أنَّ لورنس وضع هذه الاتّفاقية بدون علم فيصل، وكان هذا آخر عهد لورنس بفيصل، ولم يلتقيا إلاّ بعد سنوات، وكان لورنس قد غيّر هويّته وأصبح في القوّة الجوّية البريطانية.

بعد مبايعته ملكًا على العراق وفي عام ١٩٣٠ عقد الأمير فيصل معاهدة مع بريطانيا سمّيت بمعاهدة ١٩٣٠ أقرّت بموجبها بريطانيا استقلال العراق عن التاج البريطاني وإنهاء حالة الانتداب، وضمّنت الاتّفاقية أيضًا بعض التسهيلات لبريطانيا في مجال تسهيل مرور القوّات البريطانية في أوقات العمليّات الحربية، والتعاون في المجالات الاقتصادية.

وفي عام ١٩٣٠ أيضًا عقد الأمير فيصل معاهدة تعاون مع المملكة المتوكّلية اليمنية على عهد إمام اليمن الإمام "يحيى حميد الدين"، اعترفت بموجبه المملكتان ببعضهما، وضمنت إقامة دورات تدريبية للجيش اليمني يقيمها الجيش العراقي.

ـ وفاته

توفّي فيصل الأوّل في ٨ سبتمبر من عام ١٩٣٣م إثر أزمة قلبية ألمّت به عندما كان موجودًا في بيرن بسويسرا، وقيل بإنَّ للممرّضة التي كانت تشرف على علاجه علاقة بموته حيث أشيع بأنّها قد قتلته بدسّ السمّ في الإبرة التي أوصى الطبيب بها علاجًا. وتولّى من بعده ولده

الأكبر "غازي" الذي حكم العراق. وقد قال قبل وفاته: "أنا مرتاح. قمت بواجبي. خدمت الأمّة بكلّ قواي ليسير الشعب بعدي بقوّة واتّحاد".

تشييع جثمان الملك فيصل في بغداد



إنّ حكم الملك فيصل الأوّل على سوريا استمرّ عامًا واحدًا إلاّ أسبوعًا ابتداءً من ٣١ تمّوز عام ١٩١٩ لغاية ٢٤ تمّوز عام ١٩٢٠. كان حكمه كلّه آمال مع أنّه كان مليئًا بالأحداث حيث إنّ ذكريات الملك فيصل ستبقى في ذاكرة التاريخ خالدة. كان زعيمًا عربيًّا مخلصًا لعروبته وكرامة الشعوب العربية.

قال أحد عارفيه السيِّد محمَّد جميل بيهم بعد وفاته: "كان الملك فيصل رحمه الله ذكيًّا، شجاعًا ومخلصًا كلّ الإخلاص للقضية العربية وكان إلى ذلك متّزنًا متواضعًا لا يستبدّ برأيه".

استمرّت سوريا بين سنة ١٩٢٧ وسنة ١٩٧٠ تشهد الفوضى والانقلابات العسكرية داخل الصفّ الواحد، وسنعمل على شرح هذه الأحداث بشكل تفصيلي.

ممّا لا شكّ فيه أنّ تاريخ سوريا صاخب حيث كانت تتعدّد الحركات داخل كلّ حكم فيها وخارجه، وعلى ضوء هذه الصراعات التي كانت تدور في تلك السياسة وحولها، شهدت سوريا في بداية القرن العشرين أحداثًا متسارعة. كلّ هذا كان ينطوي على شيء كبير من الذهول لهول ما عانى الشعب السوري من هزّات سياسية، عسكرية دموية أرهقته. منذ عام ١٩٢٧ لغاية ١٩٧٠ اليوم الذي استقرّ فيه الحكم في عهد الرئيس حافظ الأسد " البعثي العربي الاشتراكي". وهذا ما معناه أنّ البعثيين لعبوا دورًا بارزًا في التغيّرات وذلك منذ أوائل الخمسينيّات لغاية أواسط الستّينات. وجهة النظر هذه ليست ابنة اليوم أو البارحة، إنّما هي نتاج وحصيلة تجربة تجاوزت عقدين من الزمان، وهي تجربة حزبية شبابية منظّمة أغنتها الروابط الحزبية والعسكرية في التنظيم داخل الجيش السوري، مع العلم أنّ الذي تابع تلك المرحلة كان يرى أنه كانت هناك أيضًا معاناة داخلية ضمن حزب البعث وليست خارجية. هذا يؤكّد على أنّ بعض الشخصيّات الحزبية كانت طموحة... وكانت الآراء متضاربة حول النهج العام وحتّى المنهجية السياسية الفكرية وخصوصًا القومية، حيث بدأت تبرز الصراعات في الممارسة التي كانوا يسمّونها ثورية، وهذا يعني أنه لم يكن هناك من نهضة حقيقية للخروج من سبات

التخلّف في الإصلاح ولم يتمّ فهم التغيّرات التي كانت قائمة في تلك المرحلة من تاريخ سوريا، من حكم حسني الزعيم إلى حكم أديب الشيشكلي وغيرهما. ويقول أحد ضبّاط البعث اللواء محمّد عمران الذي اغتيل في طرابلس (لبنان) عام ١٩٧٢ بأنَّ الحقبة بين هزيمتي عامي ١٩٤٨ و١٩٦٧، وقصّة عمران هذا في ذلك الوقت تستحقّان التسجيل وهو يتحمّل جزءًا من الأخطاء ضمن الحزب مع الكثيرين من رفاقه بعد حرب ١٩٦٧ باعتباره كان مشاركًا في بعض الأحداث التي ارتُكبت والتحمت مع مصير القطر السوري. ويتكلّم عن دخوله إلى المؤسّسة العسكرية، وقبل ذلك انتسابه إلى حزب البعث. ويقول: "بعد الهزيمة الأولى ١٩٤٨، دخلتُ الكلّية العسكرية الحربية وبدأت قصّتنا مع الانقلابات العسكرية المتوالية في سوريا منذ الخمسينيّات. لقد اشترك الضبّاط البعثيّون في كافّة الانقلابات التي عرفتها سوريا".

سبق أن استعرضت في المقدّمة وضع سوريا منذ سنة ١٩١٨ بشكل موجز، والآن لا بدَّ لي والسماح من القارئ أن أسرد جوانب المؤامرات التي توالت على سوريا والسؤال يطرح نفسه: هل توقّف الوطنيّون بعد ثورة سوريا الكبرى سنة ١٩٢٥ عن النضال؟

وبينما أطلّ فجر العهد الوطني في سوريا وبينما كانت فرنسا تساوم الإنكليز على سوريا وتحاول ترك بعض القواعد العسكرية لها، كان الأستاذ فؤاد الأطرش يقول: "لمّا شعر الوطنيّون بهذا الذي يجري، سارع الأمير حسن الأطرش (أمير جبل الدروز) يومها إلى إنزال العلم

الفرنسي عن قصر الحكومة في مدينة السويداء ورفع مكانه العلم السوري وأدّى له التحيّة، واعتقل الضبّاط الفرنسيين. وفيما بعد دعا الأمير حسن الأطرش الضبّاط الدروز وضربوا الطوق على الضبّاط المؤيّدين لفرنسا، عندها تجمهر عدد كبير من الدروز في السويداء وسار نحو ٢٠٠٠ مقاتل باتّجاه العاصمة السورية دمشق لنجدة إخوانهم هناك، فوصلوا العاصمة واستقبلهم زعماء دمشق وعلى رأسهم الرئيس شكري القوتلي وطلب منهم راجيًا العودة إلى الجبل خوفًا من تدمير العاصمة، وهكذا كان".

وبعد أن استتبّ الأمن، استلم مقاليد الحكم جميل مردم بك العثماني الأصل، استهلّ عهده بثلاث جرائم بحقّ العروبيين السوريين:

الجريمة الأولى: كانت القضاء على الدكتور "عبد الرحمن شهبندر" في دمشق وانطوت في أزقتها.

الجريمة الثانية: كانت اغتيال سليمان المرشد "العلوي".

الجريمة الثالثة: تقسيم جبل العرب وضرب وحدته وزرع الألم.

من هو الدكتور عبد الرحمن شهبندر؟ هو من روّاد النهضة العربية الحديثة ومن قادة الثورة السورية الكبرى. اغتيل في ٦ تمّوز عام ١٩٤٠. ومن بعده سمحت السياسة لشكري القوتلي لقيادة الكتلة الوطنية، وكان الرجل وطنيًّا ومعروفًا على الساحة السياسية السورية. ولكن من خلِفه كانوا لا يعرفون معنى الوطنية والتضحية. وقد ارتُكبت كما ذكرنا جريمة بحقّ الطائفة العَلوية وبحقّ سليمان المرشد (الزعيم العلوي المرموق)،

وكان قد أُشيع أنه يدّعي الألوهية وكان مؤمنًا بالله والإيمان بالله لا يستوجب القتل. ولكنّها كانت محاولة لضرب الدروز بالعلويين، لأنَّ الحكومة السورية وجّهت قوّة ألقت القبض عليه وكانت القوّة من عناصر درزية في الجيش والدرك، وهذه المؤامرة لم تتحقّق وكان الحاكم هو نفسه جميل مردم بك الذي لم يحترم حرّية الآخرين ومعتقداتهم.

وكان مردم بك في وطنه لا دين له ولا وطنية. وفي عام ١٩٣٦ عندما سُلخ لواء الإسكندرون عن سوريا وأُلحق بتركيا، قال جميل مردم بك وألحق في عصبة الأمم: "إنّني أحني رأسي لهذا القرار". ويومها ردّدته صحف أوروبا كلّها. أمّا بالنسبة لمقتل سليمان المرشد، فلم يكن لأسباب دينية كما يبرهن تاريخه السياسي، بل الصحيح هو لأنه كان عربيًا مؤمنًا، فقتلوه خوفًا من عروبته المنفتحة على جميع القوى السياسية. وكذلك قُتل الدكتور الشهبندر خوفًا من شجاعته وعقله المنفتح ومن زعامته القوية ووطنيته وعروبته. وامتدّت يد الإجرام مرّة أخرى إلى الطائفة العلوية حيث قُتل أيضًا بظروف غامضة العقيد ناصر العلوي، وذلك في ٣١ تمّوز من العام ١٩٣٦ وهو قائد القوّات الجويّة السورية، كما قُتل مجيب سليمان المرشد، بلا سبب. كلّ هذا يدفع بالسياسة لربطها بعضًا ببعض حتّى ولو مذهبيًا في ذلك الحين. وفي ذلك الوقت طلب جميل مردم بك من رئيس وزرائه ومن وزير دفاعه إعداد الجيش لضرب جبل الدروز وبالتحديد عائلة الأطرش. ويقول الأستاذ فؤاد الأطرش: "إنَّ جميل مردم بك وجماعته تقدّموا نحو الجبل، فاجتمعوا في قرية صلخد

وتوجّهوا نحو الشمال وحرقوا منازل آل الأطرش واتّجهوا نحو قرى أمّ الرمّان وذبين وبكّة واقتلعوا الشجر وقتلوا الحيوانات الداجنة ونهبوا". بعد كلّ الذي جرى، كانت مقرّرات قادة الدروز في الجبل في الاجتماع الذي عقدوه في بلدة صلخد كما يقول فؤاد الأطرش "التمسّك بالوحدة السورية" واعتبار الجبل محافظة سوريا من محافظات الجمهورية، وعُرف الجبل بوطنيته وعروبته والتمسّك بالمواطنية السورية مهما كانت التضحيات، وهذا ما يشهده تاريخهم لغاية اليوم.

وبعد جميل مردم بك كان عهد رئيس أركان الجيش السوري حسني الزعيم. إنّ انقلاب حسني الزعيم كان من تدبير السفارة الأميركية في دمشق وذلك في ٣٠ آذار عام ١٩٤٩. أمّا الذين خطّطوا ونفّذوا الانقلاب فاثنان من جماعة السيّد أكرم الحوراني وهما العقيدين بهيج الكلاس وأديب الشيشكلي. إنّ السجلّ السياسي لـ"حسني الزعيم" وأعماله كانت مكان شكّ، والذي ورد في كتاب الأستاذ فؤاد الأطرش خير دليل حيث قال: "عندما تقدّمت القوّات البريطانية والفرنسية الحرّة نحو سوريا عام ١٩٤١ لتضع حدًّا لتسلّل القوّات الألمانية، عندها عهدت السلطة الفاشية إلى حسني الزعيم ويومها كان ضابطًا في القوّات الخاصّة بمهمّة تنظيم عمليّات فدائية ضدّ الغزوات، ووضعت تحت تصرّفه مبلغًا من المال قدره ثلاثمائة ألف ليرة سورية. ولمّا أصبحت السياسة الفاشيّة ميؤوسًا منها، هرب حسني الزعيم وقُبض عليه وقدم للمحاكمة وحكم عليه عام ١٩٤٢ بالأشغال الشاقّة لمدّة عشر سنوات".

حسني الزعيم من مواليد مدينة حلب من أسرة كرديّة، عاش حتّى نهاية أيامه حياة صاخبة، بدأ عمله في الجيش العثماني وأسره الجيش الإنكليزي في الحرب العالمية الأولى.

لم تكن سياسته واضحة، والدليل على ذلك ضرب الحزب السوري القومي الاجتماعي وتصفية رئيسه أنطون سعادة بالاشتراك مع الحكومة اللبنانية آنذاك، وكان هذا العمل التآمري هو إطفاء وتغييب رجل فذّ كان في ذلك الحين من أبرز رجال الفكر، كان رجلاً ذكيًا وشجاعًا، كان هدفه وهدف حزبه تغيير وتطوير النظام وإصلاحه، ولهذا السبب أسرعوا باغتياله.

وكان المستفيد الأول من تغيّب الزعيم أنطون سعادة هي إسرائيل، لمنع انتشار الفكر القومي في بلاد الشام. كان الحزب السوري القومي الاجتماعي يشكّل خطرًا على سياسة حسني الزعيم الكرديّة. وهنا لا بدّ في النظر إلى السياسة اللبنانية في ذلك الوقت. إنَّ أنطون سعادة بطرح أفكاره القومية التي ستمزّق الجدارين المذهبي والديني في سوريا ولبنان بالوعي القومي والاجتماعي، هو من قال: "كلّنا إسلام، منّا من أسلم في الإنجيل، ومنّا من أسلم في القرآن، ومنّا من أسلم في الحكمة".

وحسني الزعيم شجّع ودعم أنطون سعادة للقيام بحركة مسلّحة ضدّ النظام في لبنان، ولمّا فشل في الانقلاب على النظام اللبناني فرّ إلى سوريا. لكنَّ حسني الزعيم خانه وسلّمه بسرعة فائقة إلى الحكومة اللبنانية التي تخلّصت منه وأعدمته دون محاكمته. وشهد التاريخ أنَّ الزعيم

اللبناني كمال جنبلاط وقف مدافعًا عن أنطون سعادة بوجه الحكومة اللبنانية وضدّ إعدامه دون محاكمته، وهذا يخالف حقوق الإنسان بالدفاع عن نفسه، ووصفه بأنه رجل شجاع ومفكّر اجتماعي قلَّ نظيره في المشرق العربي.

واستحقّ الرجل الشجاع أن يصبح شهيدًا كما حلّ بمن قبله، الدكتور عبد الرحمن شهبندر وأيضًا وقع السيِّد أكرم الحوراني السياسي البارز ضحيّة من ضحايا حسني الزعيم لأنه وثق به كما وثق به أنطون سعادة. وانفجرت أزمة ما بين أكرم الحوراني وحسني الزعيم، وبدأ السيِّد أكرم الحوراني يدرس ويخطِّط للإطاحة به وهنا كانت ردّة فعل حسني الزعيم أن سرّح من الخدمة في الجيش كلّ من الزعيم بهيج كلاّس والمقدّم أديب الشيشكلي المقرّبَين من أكرم الحوراني وذلك في أول آب من عام ١٩٤٩.

وتوسّع في سياسته خارج سوريا نحو العراق، وتمَّ الاتّصال بالسيِّد نوري السعيد ولكنّه لم يُفلح أن يمرّر سياسته على أنّه كان ينوي إقامة دولة كرديّة.

وفي النهاية تمَّ الاتّصال بين الأمير حسن الأطرش والسيِّد أكرم الحوراني واتّفقا على التخلّص من حسني الزعيم وسياسته ووضعه في السجن، ولكنَّ السيِّد أكرم الحوراني كان على اتّصال بمفرده مع بعض الضبّاط الدروز منهم من كان له صلة مع الحزب السوري القومي الاجتماعي، والذين اتّصلوا بدورهم مع بعض الضبّاط العروبيين

المخلصين على تصفية حسني الزعيم، فما كان من الضابط العقيد أمين أبو عساف قائد المدرّعات وهو درزي من الجبل، والضابط النقيب فضل الله أبو منصور درزي من الجبل وهو عضو في الحزب السوري القومي الاجتماعي، والرئيس السيِّد مريدوس وهو سنّي، أن قاموا هم الثلاثة بشنّ هجوم سريع على القصر الجمهوري في دمشق واعتقلوا الرئيس حسني الزعيم وأعدموه فورًا مع رئيس وزرائه، وتمّ تسليم الحكم إلى السيِّد سامي الحنّاوي وهو الرئيس الأعلى للانقلاب السريع الذي أذهل الجيش. لكنَّ الفترة لم تطل حتَّى وقفت بعض الأحزاب في وجه الرئيس سامي الحناوي مثل حزب الكتلة الوطنية وحزب الشعب، وأطاح الجيش بسامي الحناوي وخلفه العقيد أديب الشيشكلي، وما كاد يجلس على كرسي الحكم حتَّى بدأ صراعه مع دروز الجبل، وعلى رأسهم سلطان الأطرش قائد الثورة السورية العربية الكبرى، ١٩٢٥ والمعروف أنَّ أديب الشيشكلي هو من أسرة تركية وصفه الأستاذ ميشال عفلق رئيس حزب البعث، إنَّ البعض صوّر أديب الشيشكلي بأنه بطل استقلال سوريا، وهو لا يستحقّ هذا اللقب لا من قريب ولا من بعيد. كما وصف السيِّد صلاح الدين البيطار بأنَّ حكومة أديب الشيشكلي كانت حكومة غير شرعية قد أدانها الشعب السوري كلّه في اجتماع مدينة حمص. وقال السيِّد أكرم الحوراني لصحيفة الدستور اللبنانية بأنَّ أديب الشيشكلي كان ينفّذ خططًا غربيّة.

وباغتيال السيِّد مجيب سليمان المرشد، يقول الأستاذ فؤاد الأطرش في كتابه عن الدروز إنَّ العقيد أديب الشيشكلي هو الذي أرسل مجموعة

من ضبّاطه الشباب إلى جبال العلويين فجلسوا وناموا وأكلوا وشربوا في منزل السيِّد مجيب سليمان المرشد، وكان الرجل أكرمهم في ضيافته وعندما قرّروا وداعه للذهاب، وقف مجيب سليمان المرشد مودّعًا خارج باب منزله، فما كان الوداع سوى زخّات رصاص من مسدّساتهم الرشّاشة فأردوه قتيلاً. وقيل في مرجع آخر إنَّ سليمان المرشد (الذي ادّعى الربوبية فسمّي نفسه سليمان الرب) "اقتيد إلى سجن اللاذقية، ومن بعدها سيق إلى دمشق حيث أجريت له محاكمة سريعة، فحُكم عليه بالإعدام مع مساعديه الاثنين، ونُفذ بهم الحكم، حيث بقيت جثثهم معلّقة حتَّى ساعة متأخرة من الصباح... وأمَّا أرزاقه فقد صُودرت، ونساؤه شُرّدت في أنحاء الجزيرة، منهم في القامشلي، ومنهم في الرقة. وأمَّا ابنه فاتح فقد حُكم عليه بالسجن في قلعة دمشق مع بعض رجاله". وكان قائد الشباب والعملية النقيب "عبد الحق شحادة" الذي قام بالعصيان العسكري بعد هرب الرئيس أديب الشيشكلي ويُستنتج أنَّه بعد أن قتل رجالات العلويين توجّه نحو رجالات الدروز في الجبل – جبل العرب محاولاً اغتيالات رجالاتهم بعد أن وجّه لهم عدّة اتّهامات لا تُحصى ولا تعدّ.

– سقوط حكم الشيشكلي

وفي عام ١٩٣٥، أرسل الشيشكلي عددًا كبيرًا من الجيش السوري إلى جبل العرب لضرب الدروز. وفي هذا الوقت بالذات اجتمع الشعب السوري بأحزابه في ٥ تمّوز عام ١٩٥٣ في مدينة حمص، وتقرّر إعلان بطلان عهد أديب الشيشكلي. وفي ١٠ تمّوز من العام نفسه نُصِّب أديب

الشيشكلي رئيسًا للجمهورية فأمر الجيش الذي أرسله إلى جبل الدروز بتأديبهم فطوّق قرية "القرية" بلدة سلطان الأطرش. وفي ليل ٢٦ ـ ٢٧ كانون الثاني ١٩٥٣ بدأوا بالهجوم العسكري فقاوم أهالي الجبل الجيش فسقط قتلى من الأهالي الدروز ومن الجيش وبقيت الاشتباكات مستمرّة لغاية منتصف شهر شباط عام ١٩٥٣. فانتفض الأحرار في الجيش رافضين موالاته وعلى رأسهم البطل أمين أبو عساف هو ورفاقه، فاعتقل قائد لواء حلب الموالي إلى الرئيس أديب الشيشكلي ووجّه القائد الوطني مصطفى حمدون إنذارًا للشيشكلي من إذاعة حلب وسقط حكم أديب الشيشكلي كما سقط غيره وهرب إلى خارج سوريا وسافر إلى أميركا الجنوبية (البرازيل) ولحق به إلى هناك شاب أسمه نواف غزالي من الطائفة الدرزية وقتله رميًا بالرصاص عام ١٩٦٤.

بعد ذلك تردّد على الحكم السيِّد هاشم الأتاسي وفوزي سلو ومأمون الكزبري ومن ثمّ الرئيس شكري القوتلي الذي توحّدت في عهده سوريا مع مصر عام ١٩٥٨ وفي ذلك الحين كان حزب البعث العربي الاشتراكي ضعيفًا لا قدرة له على التحرّك ولكنّه بقي بحالة استنهاض بقيادة السيِّدين ميشال عفلق وصلاح الدين البيطار وبالتنسيق مع السيِّد أكرم الحوراني رئيس الحزب العربي الاشتراكي وقام الثلاثة يتربّصون بالوحدة السورية المصرية. وفي عام ١٩٦٠ عقد ضبّاط علويين في حزب البعث اجتماعًا في قرية القرداحة العلوية وكان على رأس الاجتماع اللواء محمّد عمران والضبّاط صلاح جديد ومحمّد نبهان. وكان موضوع

الاجتماع تنظيم صفوف حزب البعث والعمل على إدخال الشباب العلويين إلى الجيش وإلى صفوف الحزب.

ووقع الانفصال الوحدوي بين سوريا ومصر الذي قاده مأمون الكزبري وحزب البعث، وبعد حركة الانفصال، عقد اجتماع في مدينة حمص وذلك في ١٨ تمّوز عام ١٩٦٣ كان هدفه دراسة ماذا سينتج عن الانفصال. ولعب الدور الرئيسي هنا الضابط محمَّد نبهان وأيضًا الضابط مأمون الكزبري وأدّى ذلك الاجتماع إلى تسريح ٤٠٠ ضابطًا من الجيش السوري من أنصار الوحدة ومن أنصار الرئيس جمال عبد الناصر.

ومن ثمَّ قامت ثورة (الثامن من آذار عام ١٩٦٣) بانقلاب عسكري بقيادة البعث أطاح بحكومة الانفصال، وشكّلوا مجلس قيادة الثورة من العسكريين والمدنيين، ووقع انقلاب ثانٍ في ٢٣ شباط ١٩٦٦ على أيدي القيادة القومية لحزب البعث، بقيادة الضابطين صلاح جديد وحافظ الأسد وأطاحا بأحد مؤسّسي الحزب السيِّد ميشال عفلق ورئيس الجمهورية الضابط أمين الحافظ. وقد تخلّى الضابط صلاح جديد عن مهمّته العسكرية ليتفرّغ للحزب وللحكم في سوريا، بينما تولّى الضابط حافظ الأسد وزارة الدفاع، ونور الدين الأتاسي رئيسًا للجمهورية. وفي عام ١٩٧٠، قام وزير الدفاع الفريق حافظ الأسد بحركة أسماها الحركة التصحيحية، وقلب الرئيس نور الدين الأتاسي، وعيّن مكانه أحمد الخطيب لفترة انتقالية لمدّة أربعة أشهر، حيث تسلّم الفريق حافظ الأسد رئاسة الجمهورية وبدأ بالإصلاح السياسي ووضع دستورًا جديدًا لسوريا

في آذار عام ١٩٧٣ وأنهى الصراعات في سوريا ووُطّدت السلطة بإبعاد بعض الضبّاط الكبار، وأنهى حكم الانقلابات العسكرية وأمسك بالجيش وبالحزب.

وفي هذه الدراسة التاريخية للحكم في سوريا أي منذ عام ١٩١٨ لغاية تاريخ وصول الرئيس حافظ الأسد إلى الحكم، حذف أسماء وسيرة الحياة السياسية للرؤساء الذين وصلوا إلى الحكم عن طريق الصراعات والانقلابات، والانقلابات المضادّة التي كانت متواصلة وتبقى سوريا لغاية عهد الاستقرار السياسي على يد الرئيس حافظ الأسد تُحكم بيروقراطيًّا بواسطة الحزب الواحد. وكان الحظ الأوفر الدائم لعائلة الأسد التي عرف أبناؤها كيف يتعاطون مع الشعب: لا حرّيات خاصّة ولا عامّة إنّما حكم شورى حزبي أغلب الأحيان. (وسأقوم بدراسة وافية عن السياسيين العروبيين وعن تنظيم الحياة السياسية).

إنّ الشخصيّات التي توالت على حكم سوريا عن طريق الانقلابات والانقلابات المضادّة عددهم ٣٤ شخصية منهم لا توجد لهم سيرة ذاتية ومنهم اعتلوا الحكم مرّتين أمثال هاشم الأتاسي، أديب الشيشكلي وشكري القوتلي وذلك لغاية عام ١٩٧٠ عام السكينة والاستقرار، يوم استلم الحكم البعثي الرئيس حافظ الأسد، واستقرّ الوضع حتّى وفاته ومن بعده خلفه ابنه الرئيس بشّار.



سوريا في حلقة السلطة أو سلطة الحلقات

أحدث وصول العلويين إلى السلطة في سوريا شرخًا عميقًا في تاريخ هذا البلد. منذ قرون عدّة كانت سوريا تُحكم من قِبَل طبقة التجّار (البورجوازية السنّية والأرثوذكسية) الخاضعة للسلطنة العثمانية. وكانت هذه الطبقة تعرف كيف تتعامل بحنكة نادرة مع القوّة المتسلّطة وعرفت كيف تستفيد من الارتباك الأوروبي خلال الحرب العالمية الثانية لتخرج من تحت نير الاستعمار وتحاول خلق أشكال عدّة ومعادلات مختلفة لتقاسم السلطة.

كانت دمشق طويلاً، على غرار القاهرة، إحدى أكبر مراكز الفكر السنّي العربي التقليدي. وخلال عقود بقيت الأقلّيات الدينية أو العرقية (مسيحية، درزية، علوية، يهودية، كردية وأرمنية) مبعدة جغرافيًّا ومؤسّساتيًّا عن مركز القرار السياسي السوري على الرّغم من أهمّيتها العددّية.

الخطأ الأساسي للبورجوازية السنّية كان بلا ريب أنّها اعتقدت بأنّ امتيازاتها الاقتصادية والمالية تضمن لها التحكّم الدائم بجهاز الدولة، الذي كان أشبه بمركز للتحكيم منه كأداة سلطوية. وخلال قرون بقي جهاز القمع والإدارة بين أيدٍ خارجية حتّى بدت السلطة لهذه البورجوازية

وكأنّها تقع خارج مؤسّسات الجيش والأمن الداخلي والإدارات المالية والجمركية. وقد بات مفهوم الدولة بنظر هذه الطبقة وكأنّها مؤسّسة توافقية وتحكيم داخل المجتمع المدني وكلّ ما دون ذلك من أمن وجيش وإدارة مالية مدعاة للاحتقار.

من هنا استطاعت الأقلّيات في سوريا وفي المرتبة الأولى الطائفة العلوية أن تستفيد من هذا الفراغ الناتج عن الفهم السيّء لمعنى السلطة. وكان العلويون في هذه الحقبة أبعد ما يكون عن التفكير بالسلطة أو إرادة التحكّم، خصوصًا وأنّهم يُعتَبرون خارجين عن الإسلام بالمنظور السيّء التقليدي، منبوذين، مضطهدين، معزولين في الجبال القليلة الخير، بين الحدود اللبنانية والتركية، منكفئين على أنفسهم.

إنَّ وضع العلويين كان خلافًا للدروز الذين بقوا أوفياء لتقليد تاريخي يدفعهم للابتعاد عن مراكز السلطة تجنّبًا للاحتكاك على عكس المسيحيين، فإنَّ العلويين بالرّغم من ماضيهم المرير مع السلطة بادروا إلى الاستفادة من الظرف المناسب الذي ترك السلطة شاغرة جزئيًّا حيث بدأوا منذ الخمسينيّات بالعمل على التقليل من وزن الحكّام السنّة التقليديين في المجتمع العربي لصالح أيديولوجيات بعيدة عن الدين كالقومية والماركسية.

فمنذ ٨ آذار عام ١٩٦٣ والأقلّية العلوية تسير قدمًا، تحت القيادة الحذرة والمثابرة للرئيس حافظ الأسد على طريق التمركز بالسلطة، بالجهاز المدني العسكري للدولة وكذلك بالثروات الاقتصادية والمالية

للبلد. هذه هي السيطرة الحزبية البعثية على مؤسّسات الدولة، مورست بداية من وراء ستار التنظيم المركزي السلطوي تحت شعارات المساواة والتقدّم والاشتراكية ثمّ أزيلت الأستار وبان الواقع كما هو!

وإذا ما نظرنا إلى الواقع السوري فإنّنا نستطيع أن نقول بأنّه من الصعب فهم السياسة السورية دون أن نلمّ إلمامًا جيّدًا بملف الأقلّيات ومنها الطائفة العلوية منذ أوائل القرن العشرين، وخصوصًا بعد سيطرة الحزب التدريجية على السلطة ابتداء من ١٩٦٣... وبدون فهم هذا الملف لا نستطيع أن نفهم خلفيّات الاستراتيجية والتكتيك المعقّد للأقلّيات الذي يتحكّم بالعلاقات الداخلية بين أقطاب السلطة وعلاقة هذه السلطة مع محيطها الخارجي.

يبقى أن نعرف ما إذا كان هذا المسار الطويل للضابط الفريق حافظ الأسد وخليفته بمقدوره أن يقود الأقلّيات من خلال حزب البعث نحو التأقلم والتجانس في البلد ومع العصر، أم أنّه سيقودهم إلى التفكّك والاندثار.

هذا السؤال له أهمّية بالغة وخصوصًا أنَّ خروج الطائفة العلوية من عزلتها الجغرافية والاجتماعية لممارسة السلطة، يضرب تقاليدهم الداخلية ويقضي على أسسهم وموازينهم بفعل حاجته المزدوجة من جهة، للتضامن والتناسق لإحكام السيطرة من جهة ثانية، والحاجة للتقرّب من الآخر والتحالف معه. والأهمّية القصوى لهذا السؤال تُطرح اليوم، وخصوصًا أنَّ وفاة الرئيس حافظ الأسد وصعود الرئيس بشّار الأسد إلى

مركز السلطة، وذلك لأنَّ السلف كان يعرف كيف يقيم التحالفات ويصنع التوازنات التي مكّنته من الاستمرار في السلطة، ولأنَّ الخلف أظهر عن فهم هذه التركيبة الموروثة وسيكون بالتالي عليه أن يحافظ عليها في جوّ الانفتاح العربي.

ويبدو جليًّا هذا التنافر المعقّد بين السيطرة وعدمها حين ننظر إلى مبادرات الطبقة الحزبية الحاكمة في عهد الرئيس حافظ الأسد والتي كان محورها قلب التوازن القديم ولكن دون إلغاء الآخر وإنّما كان يعقد ما يشبه التحالفات والتقاربات العائلية مع الطوائف الأخرى، والتي تحوّل الطائفة العلوية من قبائل متحالفة إلى بوتقات تسودها المصلحة المالية وذهنية الاستمرار، لا بل للوصول إلى مراكز قوى تحكمها العائلات المتقاربة من مختلف الانتماءات الدينية. هذه التحالفات الجديدة تسودها المصلحة الآنية، حتّى أنّنا نتساءل عن الثمن الذي دفعته الأقلّية لهذا الانفتاح الرامي للاستئثار بالسلطة بعد عزلة دامت حوالي أكثر من ٦٠٠ سنة.

لقد أصبح الأمر سهلاً انطلاقًا من التخطيط، إلى الوصول إلى السلطة، ولفهم ما حصل لا بدّ من فهم التركيبة الحزبية في الطائفة العلوية في الواقع السوري الذي أنتج وسمح بهذه المسيرة المعجزة.

١- تركيبة الطائفة العلوية ومقارنتها مع الطائفة الدرزية

الاضطهاد التاريخي الذي عانى منه العلويون دفعهم للجوء إلى إبقاء المذهب العلوي عامّة في إطاره المتواضع. وهذه الطائفة تمارس

التقيّة وتشرّع في الانتماء الديني في مختلف الظروف. وخلافًا للدروز فإنَّ العلويين يسمحون بالزواج من خارج الطائفة ويشجّعون حتَّى على هذا التقارب مع الآخرين.

تاريخيًّا، نواة الطائفة العلوية هي العائلة "الأهل" بالمعنى الواسع للكلمة. على رأس "الأهل" نجد دون منازع السلطة الأبوية. العائلة نفسها تنتمي إلى عشيرة وهذه العشيرة مؤلَّفة بدورها من عدّة عائلات متحالفة. والعشيرة تنتمي بدورها إلى قبيلة. القبيلة هي قمّة الهرم ومكوّناتها ترتكز على صلة الأرض (الجغرافيا) وليس على صلة الأمم كما هو حال البدو السنّة. على رأس القبيلة يوجد الشيخ الذي يمثّل سلطة اجتماعية وسياسية لا يمكن خلطها مع السلطة الدينية. هذا ما كان سائدًا قبل توحيد سوريا.

على هذا الأساس فإنَّ غالبية الطائفة العلوية تقريبًا تنتمي إلى أربعة أحلاف عائلية كبيرة "فدرالية" وهي تمتدّ في عمق الجبال ودائمًا باتّجاه معاكس للساحل السوري. واليوم أصبحت مندمجة مع أبناء سوريا حتَّى الساحل.

عائلات العلويين أربع هي: الحدّادين – الخيّاطين – المطاويرة – الجرود في مثلّث قرداحة – صلنفه – الإسكندرون. على رأس هذا الحلف توجد عائلة الكلبيّة الأهمّ عددًا، وهي عائلة الرئيس حافظ الأسد الذي ينتمي لعشيرة كراميل.

هذه العائلات الأربعة تضمّ حوالي ٨٠% من علويي سوريا. باقي الطائفة موزّعة على عائلات ذات انتماءات غير مستقرّة كما هي حال

البشراغية نسبة إلى منطقة بشراغ، وكما هي الحال أيضًا بالنسبة للمرشديين والحواخيص الذين يتّسمون بطابع ديني أكثر منه قبلي (صوفية).

على رأس الطائفة نجد مجلس الطائفة العلوية المسمّى "المجلس الملّة" هذا المجلس يلعب دورًا تحكيميًّا بحتًا ويرسم خطوط الحلول العريضة للطائفة ويجتمع بشكل متقطّع ولا يوجد أيّ نوع من الاجتماعات الدورية له، ويبدو أنَّ أهمّية هذا المجلس قد تراجعت كثيرًا منذ وصول الرئيس حافظ الأسد للسلطة والذي احتلّ طيلة فترة رئاسته مركز الرئيس الفخري للمجلس الذي خفّف من حدّة التقوقع.

٢- المسار التاريخي لمخطّط الاستيلاء على السلطة

أحدث الانتداب الفرنسي عام ١٩٢٠ تصدّعًا عميقًا داخل الطائفة العلوية وكذلك في علاقة هذه الطائفة مع باقي الطوائف السورية. في ٣١ آب عام ١٩٢٠ قامت فرنسا، بدافع حماية الأقلّيات الدينية والعرقية، بإنشاء حكم ذاتي مستقلّ للعلويين على غرار ما حصل لدروز سوريا ولموارنة لبنان بفعل بروتوكول عام ١٨٦٠. هذا الحكم الذاتي استُقبل بحرارة بالغة من قِبَل القيّمين على الطوائف، رغم ثورة الشيخ صالح العلوي عام ١٩٢١ التي تُعتبر أكثر من انتفاضة محدودة. وذهب أسياد الطائفة العلوية إلى مقارنة وضعهم بسائر الأقلّيات العرقية والدينية وخصوصًا بموارنة لبنان، حتّى أنّهم ذهبوا بعيدًا ليطالبوا عند إعلان

اتّفاق عام ١٩٣٦ برفضهم الانضمام لسوريا لا بل بطلب الانفصال الدائم.

وتلقّى العلويون الكثير من المساعدات الفرنسية في كافّة المجالات الاجتماعية والدينية والتربوية. وحاول الفرنسيون ربط العلويين بالشيعة في جبل عامل لبنان. لكنَّ الرئيس حافظ الأسد لجأ عام ١٩٧٠ بعد حركته التصحيحية واستلام الحكم إلى سياسة الكفاية. هذا مع العلم أنَّ الانتداب الفرنسي عمد إلى تأهيل الأقلّيات الدينية والعرقية تربويًّا ودفع بمن هم أشدّ ذكاء إلى تسلّم وظائف إدارية عالية وحسّاسة وخصوصًا في صفوف الجيش بهدف إضعاف الطائفة السنّية.

إنَّ ضعف القوى الأوروبية المُنتدبة على أثر الحرب العالمية الثانية، والخروج المخزي للفرنسيين والإنكليز من المنطقة جعل العلويين والدروز وباقي الأقلّيات يتيقّنون بأنَّ القوى الأجنبية لا تستطيع أن تضمن دوام الحكم الذاتي للأقلّيات. انطلاقًا من هذه المسلّمة فإنّه كان على الطائفة العلوية أن تثبت طبيعتها وواقعها كأقلّية من المجتمع العربي الإسلامي. ولعلّ خلق الكيان الصهيوني في فلسطين وما تبعه من أحداث دفع بالأقلّيات إلى مراجعة حساباتهم التكتيكية ومعاودة التفكير بسبل تأقلمها مع الواقع الجديد. ومن هنا تمَّ اعتماد ثلاثة خطوط رئيسيّة للتحرّك:

أ- إنَّ انهيار الاستعمار الأوروبي الذي تلى تفكّك السلطة العثمانية جعل مفكّري الأقلّيات يستنتجون بأنَّ القوّى الأجنبية لا تستطيع أن

تضمن دوام الحكم الذاتي لأيّ أقلّية. انطلاقًا من هذا الاستنتاج فإنَّ على الطوائف أن تتقبّل فكرة الاندماج مع المجتمع العربي السوري على حساب الاستراتيجية السنّية البائدة.

ب- وبما أنَّ السنّي يعتبر المنازع الأساسي، فإنَّ هذه الطبقة العلوية الشابّة نهجت نهجًا جديدًا ورفعت شعارات العروبة وعلى رأسها المفكّر زكي الأرسوزي، وهذا النهج دفع إلى حمل شعارات كالوحدة العربية والاشتراكية والحرّية.

ج- وبما أنَّ التخطيط كان الدافع النهائي في الحزب هو للوصول إلى السلطة في سوريا، من دون أن تبدو هذه السيطرة وكأنّها فعل الطائفة العلوية، فإنّهم بدأوا بنهج سياسة التحالفات اللاطائفية من جهة، والانخراط في صفوف المؤسّسة العسكرية وتقوية مراكزها الحسّاسة من جهة أخرى. وفي كلا الحالتين كان عليهم أن يعملوا جاهدين لفصل مفهوم العروبة عن الإسلام.

- الوصول إلى السلطة

انطلاقًا من هذه المبادئ بادر العديد من الضبّاط الحزبيين البعثيين العلويين إلى الاستيلاء على السلطة في شهر شباط من العام ١٩٦٦ خصوصًا وأنّهم حضّروا لهذه العمليّة منذ عقود طويلة. أتت المبادرة بشكل رئيسي من منطقة الجرد القرداحة - صلنفه، وقد يعود سبب ذلك إلى فقر مناطقهم وقربها من الحدود التركية. فمنذ عام ١٩٣٦ بادر الأستاذ زكي الأرسوزي العلوي إلى إنشاء حزب العمل الوطني

وكانت شعاراته القومية والاشتراكية، تمامًا كما فعلت بعده باقي الأقلّيات في لبنان، كالموارنة مع حزب الكتائب والروم الأرثوذكس مع إنشاء الحزب القومي السوري الاجتماعي. كلّ هذه الأحزاب رفعت شعارات عروبية، قومية وطنية، محاولة قلب الواقع القائم باستبدال المرتجع الديني بالمرتجع القومي والوطني وذلك لإنهاء حالة التهديد والخوف التي تعيشها الأقلّيات وتعبيد الطريق للوصول إلى السلطة.

لقد اصطدم حزب المفكّر زكي الأرسوزي بالمعارضة الفرنسية والتركية لأفكاره المعادية لمصالحهم. ولمّا تمّ سلخ لواء الإسكندرون عن سوريا لإلحاقه بتركيا عام ١٩٣٩ تحوّل الأرسوزي إلى النضال من أجل استرجاع الإسكندرون إلى سوريا وطوّر حزبه ليصبح حزب البعث العربي الاشتراكي بالاشتراك مع السيِّد ميشال عفلق وصلاح الدين البيطار، هذا الحزب لم يلقَ أيّ نجاح في دمشق واضطرّ زكي الأرسوزي للعودة إلى اللاذقية حيث كان تأثيره كبيرًا بين الشباب العلوي وبعض المسيحيين والسنّة في المناطق النائية أمثال ميشال عفلق وصلاح البيطار. لقي حزب البعث نجاحًا كبيرًا في الأوساط الفقيرة ولدى الأقلّيات الدرزية والاسماعيلية، ناهيك عن القرويين السنّة، وبدأت عملية التحكّم التدريجي بالجهاز العسكري وبعده المالي والاقتصادي. ومن معقله الجديد في اللاذقية عمل زكي الأرسوزي على تشجيع ودفع الشباب العلوي للانتساب إلى الحزب الجديد حيث إنّ البعث ما لبث أن أصبح حزبًا يمسك زمامه نواة ونخبة كالأقلّيات والشباب العلوي الذين بدأوا بالانخراط في جهاز

الجيش للوصول إلى السلطة ولعبوا دورًا أساسيًا في قيادة حزب البعث فيما بعد.

أنهى حافظ الأسد عام ١٩٥٠ دراسته في بانياس والتحق بالمدرسة الحربية في حمص، وكان قد اختار عام ١٩٥٢ الالتحاق بمدرسة الطيران في حلب. وفي مدرسة الطيران عمل على بناء شبكة علاقات متينة مع الضبّاط، ممّا أوصله لاحقًا إلى سدّة الحكم وكانت صلته قويّة بالضابط محمَّد الخولي وفي الوسط السنّي الريفي نذكر الضابط ناجي جميل من دير الزور، والضابط مصطفى طلاس من الرستن (قرب حماه) الذي أصبح منذ عام ١٩٧٠ وزيرًا للدفاع، والعماد مصطفى طلاس الذي كان يتمتّع بالقوّة الكافية لمساعدة الرئيس الأسد على اجتذاب السنّة من الأرياف.

وما يجب التوصّل إليه في هذا السياق أنَّ الأسس التي وضعها زكي الأرسوزي بالاشتراك مع ميشال عفلق هي التي أرست دعائم حزب البعث العربي الاشتراكي.



استراتيجية التمركز في السلطة – سلطة الحلقات الاستراتيجية

كان محيط الرئيس حافظ الأسد مشكّلاً دائمًا من شخصيّات مدنية وعسكرية ومن أقطاب أوفياء له رغم أنَّ الحلقات كانت متنافرة في ما بينها. عرف الرئيس حافظ الأسد كيف يؤلِّف طاقمه الوفي من كافّة الحلفاء الحزبيين وغيرهم من الطوائف وخصوصًا الطائفة الدرزية.

– الضابط محمَّد عمران.

– صلاح جديد وهو رجل قوي، هو الذي أنشأ معه اللجنة العسكرية المعادية للوحدة مع مصر.

– محمَّد الخولي وكان أوّل رئيس لجهاز استخبارات الطيران الخاصّ الشخصي للرئيس حافظ الأسد حيث أصبح هذا الأخير قائدًا لسلاح الجوّ.

وكان الرئيس حافظ الأسد قد تزوّج من السيّدة أنيسة مخلوف عام ١٩٥٨ فعيّن أخوها عدنان مخلوف قائدًا للحرس الوطني خلال ٢٥ عامًا، فيما أصبح شقيقها محمَّد رئيسًا للمكتب العقاري.

عندما قرّرت البورجوازية السورية الحاكمة مدعومة من البعثيين القدامى الوحدة مع مصر لمواجهة حلف بغداد في ١٢ كانون الثاني ١٩٥٨، أحسّ الشباب العلويون بأنّهم الضحيّة الأولى لهذه الوحدة. وسرعان ما تأكّدت هذه المخاوف إثر التصرّفات الغبية للحكم الوحدوي

الذي همّش العلويين أوّلاً لكونهم أقلّية وثانيًا لكونهم أصحاب امتيازات. عندها بدأ العلويون البعثيون سلسلة تحرّكات سرّية ذات طابع عسكري قادها الضبّاط محمَّد عمران وصلاح جديد وحافظ الأسد حيث قاموا بإنشاء سلطة عسكرية متخفية استطاعت بعد عدّة سنوات أن تصل إلى السلطة، فالرئيس حافظ الأسد كان مبدعًا في فنّ العمل الهادئ والكتمان للوصول إلى ما يبغي.

في ٢٨ أيلول عام ١٩٦١ حدث أوّل انقلاب عسكري في دمشق أدّى إلى فسخ الوحدة مع مصر وأعاد البورجوازيين إلى السلطة. وفي ١٨ آذار من العام ١٩٦٣ حدث انقلاب آخر قاده الضابط الدرزي سليم حاطوم حيث أنهى النظام المدني وأعاد الاعتبار للضبّاط المطرودين خلال فترة الوحدة، ومنهم حافظ الأسد وأعاد السلطة لحزب البعث بعد أقلّ من شهر واحد على وصول البعثيين للسلطة في العراق. فمنذ عام ١٩٦٣ أصبح الفريق حافظ الأسد قائدًا لسلاح الجوّ حيث أنشأ جهاز استخبارات خاصّ مدعوم منذ عام ١٩٦٥ بسرايا الدفاع تحت قيادة أخيه رفعت الأسد الذي ترك الجمارك عام ١٩٦٢ ليلتحق بالجيش.

في ٢٣ شباط من العام ١٩٦٣ حدث انقلاب جديد وطُرد مؤسّسو حزب البعث. وفرّ المسيحي ميشال عفلق، والسنّي صلاح البيطار إلى العراق، حيث حلّ مكانهما الجناح اليساري للحزب بإدارة الضابط صلاح جديد. هذا الأخير ارتكب نفس خطأ البورجوازية الدمشقية بتخلّيه عن

البقاء في الجيش ليسخّر نفسه للعمل السياسي ذي الطابع الاشتراكي دون الاهتمام كثيرًا بمصالح العلويين.

أصبح الفريق حافظ الأسد وزيرًا للدفاع وسيطر بالمطلق على الجيش تاركًا صلاح جديد يستنزف قواه في المشاريع العامّة والمثالية.

وفي ٢٥ شباط ١٩٦٩ أحكم الجيش السيطرة على سوريا ودون أن يُطرد صلاح جديد أجبره الفريق حافظ الأسد عن التخلّي عن تجاربه الاشتراكية التي أصبحت غير شعبية والتخلّي عن إدارته الحصرية لسياسة البلد.

أصبح الفريق حافظ الأسد الرئيس الفعلي لسوريا قبل حركته التصحيحية في ١٢ كانون الثاني عام ١٩٧٠ حيث أقال صلاح جديد واعتقل الضبّاط المعارضين وأخذ بزمام السلطة التي أوكلت له رسميًا بداية عام ١٩٧١.

أمسك الرئيس حافظ الأسد بزمام السلطة وبعث بصلاح جديد ويوسف زعنّي وابراهيم ماخوس ونور الدين الأتاسي إلى السجن. كان هؤلاء على طريقتهم يحلمون بمجتمع سوري أفضل، ويؤمنون بإمكانية انصهار الأقلّيات في المجتمع السوري ضمن إطار نظام عادل وعلماني.

كانت نظرة الرئيس حافظ الأسد مختلفة تمامًا عن هذا التصوّر للمجتمع. كان هاجسه الأوّل ألاّ يعتقد السنّة بأنّهم محكومون من قِبَل قلّة طائفية.

كان الرئيس حافظ الأسد حذرًا ولم يكن يعتقد بحسن نوايا الآخرين ولا بكرم أخلاقهم ولا حتَّى بعقلانيّتهم حتَّى ولو كانوا أقرب المقرّبين له. كان أبعد ما يكون عن الاهتمامات النظرية والدوغماتية، كان مساره حذرًا وبروغماتيكيًّا. كان كلّ همّه خلق التوازنات المستقرّة التي مكّنته من إيصال المقرّبين إلى مراكز السلطة العليا وذلك بحنكة بالغة الأهمّية لا يجيدها أحد.

هذا التغيير يتقوّم بخلق معطى سياسي واجتماعي جديد حيث تفقد الهرمية القديمة كلّ معانيها، وحيث إنَّ كلّ خطوة تؤمّن أكثر فأكثر تعزيز الخطوات السابقة. ولمّا كان يعلم بأنَّ أيّ ديكتاتورية مباشرة تعمّق الهوّة بين طائفته ومحيطها، قام الرئيس حافظ الأسد بثورة بيضاء سياسية، اقتصادية، ثقافية واجتماعية حيث كانت أيديولوجية البعث هي هاجسه لتمكينه من السيطرة التامّة على المجتمع السوري خلال أكثر من ثلاثين سنة.

منذ وصوله إلى السلطة أحكم الرئيس قبضته على السلطة العسكرية والمدنية، وكان يعمل على ألاّ تظهر مصلحة العلويين قائمة على حساب كافّة الطوائف الأخرى.

وحتَّى لا يكون هذا الأمر واضحًا للعيان عمد الرئيس إلى إحكام القبضة على المؤسّسة العسكرية. وبقيت القوّات الخاصّة بقيادة علي حيدر واللواء الأوّل المصفّح بقيادة ابراهيم صافي، والمركز الثالث لشفيق فياض.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ مصادر السلطة لم تتوقّف على الجيش، شيئًا فشيئًا بدأت نسبة المقرّبين ترتفع في كافّة أجهزة الدولة. فمن مؤتمر لآخر لحزب البعث كانت نسبة المقرّبين ترتفع حتًّى تجاوزت النصف. هذا الأمر يؤثّر مباشرة على مجلس الشعب لأنّه بحسب دستور عام ١٩٧٣ فإنَّ نصف أعضاء البرلمان يتمّ تعيينهم من بين العمّال والفلاّحين المستحقّين، إذا من أعضاء الحزب والمختارين من قِبَل الحزب. هذا ما يجعل الأمر مفتوحًا أمام الأقلّية المقرّبين لدخول إلى مجلس النوّاب بنسبة الثلث تقريبًا. هذا ناهيك عن المحافظين والإدارات المحلّية والمناطقية. فمنذ عام ١٩٨٠ خمسة محافظين من أصل ١٤ كانوا من المقرّبين للرئيس ويتمّ تعيينهم من مناطق حسّاسة (اللاذقية، إدلب، الرقّة حيث الأكراد ودرعا على الحدود الأردنية وريف دمشق الذي يتحكّم بمداخل المدينة وتموينها).

كما كانت الوزارات الحسّاسة (العدل، المال، الإعلام والتربية) موكلة لوزراء من المقرّبين. على سبيل المثال (في نهايات سنوات الـ٨٠) سبعة عمداء كلّيات من أصل ١٤ في جامعة دمشق كانوا من المقرّبين. رأس الفرع الجامعي للحزب كان يرأسه نواف مخلوف من أقارب الرئيس، ولجنة المجازين في الدراسات العليا، كان يرأسها شقيقه رفعت الأسد وكان مركزها جريدة "الفرسان" يومية سرايا الدفاع. وزارة الثقافة كانت لأحمد اسكندر حتًّى وفاته عام ١٩٨٣ ومن بعده لمحمَّد سلمان. أمَّا العدل ونقابة المحامين فكان لها اعتبار خاص، المراكز الظاهرة تُركت

للسنّة. أمّا عن إدارة الأوقاف والإفتاء فإنّها ترجع للسنّة منطقيًّا. ولكن مركز مفتي الجمهورية كان يوكل للأئمّة الأكراد وما زال حتّى يومنا هذا.

أمّا في ما يخصّ المرفق الاقتصادي، فقد استطاعت السلطة المقرّبة وضع يدها تدريجيًّا على المرافق الرئيسية في سوريا. عام ١٩٤٥ كان المرفقان الاقتصادي والمالي بيد خمسة آلاف عائلة سنّية ومسيحية. وكانت هذه البورجوازية تسيطر على أغلب الملكيّات العقارية والصناعية وقطاع المصارف والاستيراد والتصدير. وفي عام ١٩٦١ بدأت سلسلة التأميم تحت تأثير مصر الناصرية. وبعد فسخ الوحدة مع مصر جرت خصخصة القطاع الصناعي، ولكن منذ أن سيطر حزب البعث على السلطة بدأت الأمور تتغيّر. منذ عام ١٩٦٥ اعتمد النظام إجراءات اشتراكية توجيهية لتصحيح الفوارق الاجتماعية وإحقاق نوع من المساواة. ومنذ الخطّة الخمسية (١٩٦٦ ـ ١٩٧٠) تحوّلت قطاعات الصناعة والمصارف والتأمين إلى الإدارة المباشرة للدولة، وكان صلاح جديد قد سرّع هذه التحوّلات، ولم يكن الاعتبار الطائفي غائبًا عن ذهنه. هذه الخطوات الاقتصادية أدّت إلى هروب رؤوس الأموال في كلّ الاتّجاهات وخصوصًا باتّجاه لبنان.

ومنذ استلام الرئيس حافظ الأسد السلطة أصبح المرفق العام يمثّل ١٤٠ مؤسّسة عامّة ويتحكّم بأكثر من ٨٠% من العمليّات التجارية. أصبحت الدولة تملك ثلاثة أرباع الثروة الوطنية. هذا عدا عن ميزانية الدفاع الهائلة التي كانت تحت سلطة الرئيس. وأمّا الإسكان العسكري

التي كان يديرها رفعت الأسد وكما هي الحال أيضًا بالنسبة لمعدّات البناء ومديرها شفيق فياض والتعاونيات العسكرية (لعلي سليمان) والمعلّبات الغذائية (لعلي حيدر). هذا عدا عن المعاملات في لبنان والمشاريع. فخلال ٢٠ عامًا بين ١٩٧٣ و١٩٩٣ استطاع المسؤولون في لبنان أن يجيّروا لمصلحتهم غالبية الثروات الوطنية التي يديرونها إمّا مباشرة أو بواسطة أبنائهم الذين أُرسلوا إلى المدارس الغربية أو بواسطة شركائهم السنّة والمسيحيين كما هي الحال بالنسبة لـ(عثمان العائدي، صائب نحّاس، عبد الرحمن عطار، بدر الدين شله، محمَّد حيدر، إلخ...).

هذه الفئة امتدّت إلى مشاريع الإعمار الهائلة من شقّ طرق وجامعات وسدود وغيرها، حتّى أنّها امتدّت إلى التركيبة الديموغرافية المنحطلة المتساوية في الواجبات والحقوق في جميع محافظات سوريا وخصوصًا في المنطقة الساحلية. فهذه المنطقة كانت مأهولة منذ عام ١٩٧٠ من قِبَل كلّ طوائف الشعب السوري. هذا هو الحال أيضًا في مدينة حمص الواقعة على خطّ دمشق – حلب. أمّا في مدينة دمشق فإنّ أكثر من ٢٠٠ ألف من الأقلّيات باتوا يسكنون في ضواحيها في الغرب والشمال والجنوب وهذا شكّل النموذج الأمثل في حياة الشعب السوري.



دائرات السلطة، عائلات وأحلاف الحكم

إذا كان ذكاء وشخصيّة الرئيس حافظ الأسد قد تخطّيا بكثير حدود طائفته وحتّى حدود سوريا فهذا يعني بأنّ المسألة الطائفية لم تكن هاجسه الأوّل. وإذا كان صحيحًا أنّ سياسته كانت تلاقي معارضة دائمة في الوسط العلوي وأنّه ذهب إلى حدّ عزل بعض أفراد عائلته كبعض المقرّبين له وإذا كان السنّة يحتلّون مراكز رفيعة في الدولة، أو حتّى في محيطه الشخصي، فهذا لا ينفي أنّ استراتيجيّته الأساسية كانت مبنية على أساس حزبي. ولا شكّ في أنّ دور هذا الرئيس لا يتوقّف عند حدود الطائفة وإدارتها وهي لا تمثّل إلاّ حلقة من سلسلة حلقات.

ولعلّ في منظور الرئيس حافظ الأسد لا تتمّ حماية الطائفة بالامتيازات السلطوية والمالية. إنّ ما يؤمّن حماية الأقلّية هو ذوبانها في المجتمع والتخلّي عن المعايير الطائفية، وبالتالي الاندماج في المجتمع دينيًّا وثقافيًّا، وإلاّ فإنّ الأقلّية محكومة بالزوال.

فبعد أن دفع بطائفته إلى المراكز الحسّاسة وأحكم السيطرة على كلّ أجهزة الدولة مستعينًا بكبار العلويين، بدأ بتشجيع المقرّبين على الانفتاح على الطوائف الأخرى. وكان للأحداث التي عصفت بسوريا عامَي ١٩٧٩ و١٩٨٢ أن دفعت الرئيس حافظ الأسد إلى تسريع الانفتاح على السنّة وتشجيع التقارب بالزواج لأهداف سياسية.

ولكن مهما كان من أمر الانفتاح الطائفي، فالكلّ يعرف أنَّ صميم النظام يبقى من الطائفة العلوية.

كان اللواء علي دوبا ضابطًا كبيرًا برتبة لواء في جهاز مخابرات القوّات البرّية (الجهاز الأقوى والأقدم في سوريا). وهذا المركز الذي احتلّه علي دوبا له وزن كبير داخل سوريا. وكان لهذا الرجل وزن كبير في المعادلة الداخلية والخارجية، ولا ريب أنَّ الرئيس حافظ الأسد تعامل معه ندًّا لندّ في العديد من الملفّات حيث إنَّ مركزه في جهاز الدولة كان على درجة من الأهمّية حتَّى بدا أنّه بنظر الرئيس رجل قويّ وهو الأقوى في الجيش ولكنّه بقي أحد ركائز النظام حتَّى وفاة الرئيس حافظ الأسد. كان علي دوبا المنافس لصلاح جديد حيث استطاع دوبا أن يخلق توازنًا جديدًا ويلعب دورًا إيجابيًّا في تلطيف الأجواء بين الأسد وعائلة صلاح جديد حيث إنَّ قدرته كانت كبيرة مع الإثنين.

عمل العماد ابراهيم صافي لواءً في الجيش، وكان لفترة طويلة قائدًا للقوّات السورية في لبنان وقائدًا للّواء الأوّل المدرّع الموجود على مشارف دمشق. هذا اللواء المدرّع كان رأس الحربة الماضي في كلّ الانقلابات التي حصلت سابقًا في دمشق، بحيث إنَّ مهمّته تُعنى في الحماية العسكرية الداخلية والخارجية للنظام في العاصمة. وفي تثبيت الاستقرار وبنظر الكثير من المحلّلين العسكريين، فإنَّ هذا اللواء يشكّل عصب النظام وميزان الاستقرار السياسي في سوريا، فعندما تكون فوهات المدافع موجّهة جنوبًا يكون الوضع الداخلي طبيعيًّا لأنّها موجّهة باتّجاه

إسرائيل. وعندما تكون فوهات مدافع هذا اللواء موجّهة شمالاً، فهذا يعني وجود اضطرابات داخلية أو تهديد للنظام. إنَّ عيارات مدافع هذا اللواء وكثافة نيرانه لا تترك مجالاً للشكّ بأنَّ قائده رجل متّزن له قدراته الفكرية والسياسية والعسكرية ويعتبر صمّام الأمان في القيادة والحزب.

اللواء علي حيدر قائد القوّات الخاصّة سابقًا، وهي وحدات الكومندس لنخبة شباب الجيش المجهّز بصواريخ أرض – جو وأرض – أرض وبكافة أنواع الطائرات .هذا اللواء مؤلَّف من أغلبية علوية. وكان يشكّل أداة قمع مثالية منذ حُلّت سرايا الدفاع لرفعت الأسد. وعلي حيدر، علي صالح، علي أصلان وعلي حيدر أُبعدوا شيئًا فشيئًا من قِبَل الرئيس حافظ الأسد بسبب امتعاضهم ونزواتهم الشخصية استعدّ الرئيس وتوهب وأقيل علي حيدر ووُضع تحت الإقامة الجبرية ليحلّ محلّه محمَّد الخولي الذي خرج لتوّه من الدائرة الثالثة ليرقى إلى الثانية قبل أن ينتهى عمله في مخابرات الطيران ويُبعد بناء لطلب رسمي عام ١٩٨٢.

هناك شخصيات ليسوا من الدرجة الأولى في الحياة السياسية أو العسكرية ولكنّهم من رجال الثقة المقرّبين جدًّا من الرئيس حافظ الأسد، ويحتلّون مراكز أساسية للتوسّط في بعض المجالات الحيوية بالنسبة للرئيس في ممارسته للسلطة. إنَّ الدور الذي تلعبه الحلقة الثالثة هو نسبي وضعيف نظرًا للنزاعات والتشنّجات التي تحصل ما بين الجميع.

– اللواء علي أصلان رئيس الأركان في الجيش حيث إنّه كان يشغل مركزًا حيويًا، فهو مفتاح الجيش ولا يمكن لهذا الجيش أن يتحرّك

دون أمره. وقد كان رسميًا تحت سلطة العماد حكمت الشهابي، وهو من أقرب معاوني الرئيس حافظ الأسد.

– محمّد الخولي عقيد طيّار، قائد سلاح الجوّ وقبل ذلك كان رئيسًا للمخابرات. هو من أوائل رفاق وأصدقاء الرئيس ولم يتردّد في التضحية بمهابته في سبيل الحزب والنظام. حين رقّي محمّد الخولي إلى الدرجة الثانية حلّ محلّه في الدرجة الثالثة ابراهيم حويجي حيث خلفه على رأس جهاز الاستخبارات الجوّية. كلّما تمّت ترقية أحد عناصر هذه الحلقات أو إزاحة أحدهم يليه بنفس المركز وبنفس المرتبة عنصر آخر من نفس الطينة.

إنَّ مصطفى طلاس المتحدّر من عائلة فلاّحين من الراستن قرب مدينة حمص، وزير الدفاع ورفيق للرئيس حافظ الأسد منذ المدرسة العسكرية، وكان قد تبعه في كلّ جولاته وتحرّكاته. عرف العماد أوّل مصطفى طلاس كيف يوازن بين التحالف العسكري مع السوفيات وبين الموقف المعتدل من الغرب، بخلاف الوجهاء العلويين الذين يتمتّعون بحراسة مشدّدة، فإنَّ العماد أوّل مصطفى طلاس عاش طويلاً في أحد الأبنية السكنية في دمشق وكان يمثّل دوره الحقيقي أو كمدير لشؤون السنّة في النظام السوري.

العماد حكمت الشهابي رئيس أركان القوّات المسلّحة السابق وهو أيضًا رفيق الطريق للرئيس حافظ الأسد. شخصيّة صامتة ومتكتّمة حيث إنَّ قليلاً من الناس يعرفون شكله. إنّه كان لمدّة طويلة رجل المهمّات

الموثوق بها من علاقته مع الغرب وخصوصًا مع الولايات المتحدة الأميركية حيث لديه الكثير من العلاقات، لذا تمَّ الحديث أحيانًا عن إمكانيّة تسميته رئيسًا للحكومة وكانت هذه الفكرة تتردّد كلّما حصل تقدّم في محادثات سوريا مع إسرائيل. إنَّ العماد حكمت الشهابي شخصيّة عربية سورية فذّة وذو مهارة عسكرية.

السيّد عبد الحليم خدّام سنّي من دمشق وكان خلال وقت طويل وزيرًا للخارجية ومن ثمَّ نائبًا للرئيس ومسؤولاً عن العلاقات الخارجية. إنّه رجل الملفّات الخارجية الحسّاسة وخصوصًا العربية منها وملفّات العالم الثالث التي كانت تمثّل عائقًا أمام الضغوط الغربية وحلفائها الإقليميين. ومن هذا المركز كان يلعب دورًا رئيسيًّا في الملفّ اللبناني وكان دوره موازيًا ومتعارضًا مع دور اللواء غازي كنعان. هذه المسألة كانت على درجة عالية من أهمّية في لبنان حيث إنَّ التوازن الداخلي كان يتأثّر بميل ميزان القوى لصالح أيّ من الشخصين.

ولكنَّ الرئيس حافظ الأسد كان بحاجة إلى شخصيّة سنّية للحديث إلى السنّة وللعب دور في المسؤولية الداخلية والدولية لتسهيل الحوار بين النظام السوري والخارج. وكان الرئيس يولي الكثير من الأهمّية لخبرة مزايا السيّد خدّام في اللعب على التناقضات. وخدّام تقرّب من العلويين حيث إنَّ ابنه جمال متزوّج من حنان خير بك حفيدة اللواء محمّد ناصيف.

- تجربة السلطة

خلال أقلّ من جيل واحد، استطاع الرئيس حافظ الأسد أن يبسط سلطة الحزب على سوريا. هذه الهيمنة لها انعكاسات كبيرة على التركيبة التاريخية للطائفة التي كانت خلال قرون محميّة في عزلتها وها هي اليوم أمام آفاق جديدة، خصوصًا بعد غياب صانعها الرئيس حافظ الأسد.

هذه الهندسة الجديدة للأقلّيات التي اقتبسها من الرئيس حافظ الأسد مكّنته بلا شكّ من الوصول للسلطة ومن البقاء فيها في وسط سياسي كان يتّسم بعدم الاستقرار والتنازع التقليدي حيث محت الحدود المرسومة بين الطائفة وباقي المجتمع السوري. هذه الصورة كانت واضحة منذ وصول الجيل الأوّل إلى سدّة الحكم وها هي تخرج للعيان وبوضوح بالغ مع وصول الجيل الثاني.

والجدير بالذكر أنَّ التركيبة الجديدة المؤلّفة من شبكات عائلية مركّبة دائريًّا نظرًا لتنافرها لم تكن لتوجد لولا إرادة الرئيس الأسد بالتحكّم بالسلطة والاقتصاد، عبر إعادة خلط أوراق النفوذ الطائفي داخل المجتمع السوري عمومًا والعلوي خصوصًا. وإذا كان الزواج خارج الطائفة أمرًا غير ممنوع في المذهب العلوي، فقد كان يقتصر قديمًا على حالات نادرة أسبابها جغرافيّة بحتة، وغالبًا ما كان يتمّ بين أبناء العائلات نفسها. ولكن بعد وصول الرئيس حافظ الأسد إلى سدّة الحكم والإمساك بقرار الطائفة، فإنَّ هذا الأمر تغيّر جذريًّا لاحقًا.

منذ الجيل الثاني للسلطة الحزبية، فإنَّ البنية الداخلية والمحيط الخارجي للطائفة خسرا مراكز توازنهما التقليدي. هذا التحوّل يبدو نهائيًّا وغير قابل للتغيير مهما كان مستقبل السلطة والطائفة المسيطرة. وإذا كان مفهوم الطائفة لا يزال مسيطرًا على المستوى الاستراتيجي لبسط السلطة، فإنّه فقد معناه التاريخي ليذوب في مفاهيم أخرى من العائلة الموسّعة الشديدة التعقيد. أمَّا في ما يخصّ مجلس الملّة العلوي، فإنّه فقد دوره التاريخي في إدارة شؤون الطائفة ليصبح مجلسًا يرعى العلاقات العامّة للعائلات المتبقّية وإدارة الطائفة والتحكّم في الأمور المصيرية. إنَّ الاستراتيجيات التحالفية والتوازنات الداخلية المستحدثة كانت قد فُرضت فرضًا من قِبَل الرئيس نظرًا لنفوذه وحنكته وذكائه. لكن هل يستطيع الرئيس بشّار الأسد أن يحافظ على هذه التركيبة المختلفة التي أمّنت لوالده الاستمرار في السلطة؟

وإذا كان من العقلانية القول بإنَّ معيار التمييز بين الأحلاف من حيث أهمّيتها وعظمتها وإنّه لا يمكن التحدّث اليوم عن أحلاف خارج هذا الإطار لأنَّ مفهوم الحوار في صنع التحالفات ترك مكانة لمفهوم المحسوبيات، فهل يستطيع الرئيس بشّار الأسد المحافظة على هذا الإرث الذي كان محوره الأساسي شخصيّة الرئيس حافظ الأسد؟ نعم، يجدر القول إنّه نجح في الحفاظ على الاستراتيجية.

هذا لا يعني أنَّ مفهوم الحلقات الذي تمَّ الحديث عنه سابقًا قد انتهى مع وفاة الرئيس حافظ الأسد، على العكس، فإنَّ هذه الأحلاف هي اليوم أقوى من أيّ وقت مضى.

إنَّ عدم وجود معارضة فعلية للنظام السوري خلال فترة حكم الرئيس حافظ الأسد يعود لهذه المعادلة المرنة والدور المصحّح والموزّع باستمرار للسلطة أكثر ممّا هو فصل الأجهزة الأمنية. لقد استطاع الرئيس حافظ الأسد الانتقال بطائفته من تنظيم دفاعي مرتكز على الانتماء الجغرافي إلى تنظيم منفتح يرتكز على الأسلوب القادر على إدارة علاقات الطائفة مع محيطها الوطني وحتّى العربي والإقليمي. وقد ساهمت هذه السياسة بتخفيف الانقسامات في الحياة العامّة السورية بين الطوائف المختلفة، وبإعادة تركيب هذه الحياة العامّة حول مفاهيم جديدة ومتداخلة حيث إنّه أصبح هناك قيم مشتركة تعترض وتتقبّل علنًا وضمنًا الامتيازات السياسية القائمة، بالتخلّي عن الحرّيات العامّة ومقايضتها بامتيازات مادّية حتّى أنَّ المجتمع السوري كان يتقبّل مسألة تنظيم التبعية السياسية.

ومقابل هذه القيم المتأتّية من حكم وصنع الأقلّية المسيطرة كان هناك عناصر إيجابية ناتجة عن التقارب والانصهار بين الطوائف. هذه العناصر الإيجابية هي التسامح الديني والاجتماعي، والحرّية التي تتمتّع بها المرأة والانفتاح على التجديد والتوق إلى المعرفة وخصوصًا منها العلمية وكذلك إرادة الاستقلالية إزاء مشاكل العالم العربي التي ساهمت

في إعطاء المجتمع السوري صورة مميّزة، واستطاعت أن تقوّي وطنية الشعب السوري ممّا جعل هذا المجتمع يتقبّل بسهولة الدور القائد الذي لعبه الرئيس حافظ الأسد ومقرّبيه والذي كان لا يوفّر فرصة للتذكير في هذه الإيجابيّات الداخلية والخارجية لسياسته.

أخيرًا، من سلطان مطلق للطائفة، كان الرئيس حافظ الأسد رئيسًا على سوريا مع كلّ النتائج التي تترتّب على هذه الصفة خصوصًا في ما يتعلّق بربط استمراريّة نظامه بإرثه. لقد وزّع الرئيس حافظ الأسد الأدوار والسلطات على النخبة الحزبية. وقد يكون على قدر من الصحّة القول بإنّه لو لم يفعل ذلك لكان أيّ خلف آخر له من الطائفة العلوية سيلقى معارضة كاملة من مختلف أحلاف هذه الطائفة، ولربّما من الشارع السوري عمومًا ولربّما كانت ستؤدّي إلى حمّام من الدم. ولكن لجوء الرئيس حافظ الى خياره الأخير وللحزب اختيار الرئيس بشّار حافظ الأسد رئيسًا على سوريا. لقد رحل الرئيس حافظ الأسد وكان بشّار الأسد قد خلف والده في السلطة وكانت له وضوح سياسته المعرفة في مجال السلطة السياسية الإقليمية والدولية يشكّل حافزًا لازدياد نفوذه وهكذا بعد موت الرئيس حافظ الأسد انتقلت سوريا من حلقات منظّمة واعية وبقيت هكذا لتاريخه.



شهداء لبنان وسوريا الذين عُلّقوا على أعواد المشانق

خلال الحرب العالمية الأولى من الأعوام (١٩١٤ – ١٩١٨) قام وزير حربية السلطنة العثمانية أحمد جمال باشا في أواخر عام ١٩١٥ بالحكم على الشبيبة السورية اللبنانية التي كانت تطالب باللامركزية وألّف "الديوان العرفي" العسكري في عاليه (جبل لبنان) وكان برئاسة رضا باشا حيث حاسب المتّهمين حسابًا عسيرًا وساقهم إلى بيروت ودمشق على قوافل ثلاث فعُلّقوا على أعواد المشانق كما أُعدم آخرين على انفراد وتخليدًا لذكراهم سأذكرهم بالأسماء.

القافلة الأولى تتألّف من أحد عشر شهيدًا عُلّقوا على أعواد المشانق العثمانية في شهر آب عام ١٩١٥ في ساحة البرج ببيروت وهم: عبد الكريم الخليل، مسلم عابدين، صالح أسد حيدر، نايف تللو، محمود المحمصاني، محمّد المحمصاني، عبد القادر الخرسا، نور الدين القاضي، سليم عبد الهادي، محمود العجم، علي الأرمنازي.

القافلة الثانية تتألّف من أربع عشر شهيدًا عُلّقوا على أعواد المشانق في ٦ أيّار عام ١٩١٦ في ساحة البرج وهم: الشيخ أحمد حسن طبارة، عمر مصطفى حمد، سعيد عقل، عبد الغني العريسي، الأمير عارف الشهابي، سيف الدين الخطيب، توفيق البساط، محمود جلال

البخاري، جرجي الحداد، محمَّد الشنطي اليافي، بترو باولي، علي النشاشيبي، سليم الجزائري، أمين لطفي الحافظ.

القافلة الثالثة وتتألّف من سبع شهداء عُلّقوا على أعواد المشانق في ٦ أيّار عام ١٩١٦ في ساحة المرجة بدمشق وهم: شفيق مؤيد العظم، الشيخ عبد الحميد الزهراوي، عبد الوهاب الانكليزي، شكري العسلي، رشدي الشمعة، الأمير عمر عبد القادر الجزائري، رفيق رزق سلوم.

- أمّا الذين أُعدموا على انفراد من اللبنانيين

الخوري يوسف الحويك أُعدم عام ١٩١٥ بدمشق، وبعد الحرب نُقل جثمانه إلى لبنان ودُفن في سنّ الفيل.

الأخوين أنطوان زريق وسليم زريق أُعدما بالرصاص في طرابلس، والأخوين فيليب الخازن وفريد الخازن أُعدما رميًا بالرصاص في بيروت في أواخر عام ١٩١٦ ودُفنا على طريق الذوق بكسروان.

يوسف بشّارة أعدم في بيروت، مسعود الهليل أُعدم في عاليه عام ١٩١٦ ونخلة باشا المطران قُتل في حلب.

هؤلاء الشهداء رووا بدمائهم تراب سوريا ولبنان لتحيا الأجيال من بعدهم حرّة في أوطانها.



فرانسوا بيير-أليب

كان حاكمًا عسكريًّا فرنسيًّا مؤقّتًا، حكم سوريا خلال فترة الانتداب الفرنسي من ٩ فبراير إلى ٢٨ أبريل ١٩٢٦.



أحمد نامي بك



وُلد أحمد نامي بك عام ١٨٧٨م ودرس في فرنسا وعمل في أزمير وتزوّج السلطانة عائشة أخت السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٩٠٨م. عاد إلى بيروت بعد الحرب العالمية الأولى، وكانت تابعة للدولة السورية، وتوثّقت صلاته بالكاتب والسياسي الفرنسي المسيو دي جوفنيل الذي أصبح مفوّضًا ساميًا لفرنسا في سوريا بعد فرض الانتداب الفرنسي على سوريا.

طلب إليه المسيو دي جوفنيل قبول رئاسة الدولة السورية وتشكيل الوزارة في وقت عمّت فيه الثورات الوطنية في سوريا وانعدمت السلطات المدنية، فقبل ذلك وفق شروط أن تلبّى المطالب السورية، وتمّ تعيينه رئيسًا للدولة السورية ورئيسًا للوزراء بتاريخ ٣٠ نيسان ١٩٢٦م وشكّل وزارته في ٤ أيّار ١٩٢٦م وأعلنت وزارته بيانًا وزاريًّا وطنيًّا متطرّفًا يحمل المطالب الوطنية السورية ويطال سلطات الانتداب الفرنسية بتحقيقها، وأهمّ هذه المطالب تحقيق الوعد بإعادة ضمّ لواء الإسكندرونة إلى الاتّحاد السوري، وتحويل الانتداب الفرنسي إلى معاهدة بين سوريا وفرنسا، ووضع دستور للبلاد، وتشكيل جيش سوري وطني، وقبول سوريا عضوًا في عصبة الأمم وذلك بالاستناد إلى الوعود الشفوية والمكتوبة من سلطات الانتداب الفرنسي والتي تنصّلت منها فيما بعد.

اشترك معه في الوزارة السيِّد لطفي الحفّار الكزبري وزيرًا للزراعة وهو سكرتير حزب الشعب، الذي احتضن الثورة وأصبح رئيسًا للوزراء فيما بعد والسيِّد فارس الخوري وزيرًا للمعارف، وهو من حزب الاستقلال وأصبح رئيسًا للمجلس الوطني، والسيِّد حسني البرازي وزيرًا للداخلية وهو من حزب الشعب أيضًا.

قدّم أحمد نامي بك استقالته من رئاسة الدولة السورية في ٨ شباط ١٩٢٨م نتيجة لتفاقم الخلافات بينه وبين سلطات الانتداب الفرنسية، فكان بذلك أوّل رئيس دولة سوري (حيث جمع منصب رئاسة الدولة السورية مع منصب رئيس الوزراء) بعد انتهاء العهد الفيصلي فيها.

عاش أحمد نامي بك بعد ذلك معتزلاً الحياة السياسية، وتوفّي في بيروت عام ١٩٦٣م ودُفن في مقبرة العائلة.



تاج الدين الحسيني

(٢١ نيسان ١٩٤١م – ٢٤ ربيع الأوّل ١٣٦٠هـ). عيّن الانتداب الفرنسي تاج الدين الحسيني رئيسًا لسوريا تحت الانتداب.



محمَّد علي العابد



هو أوّل رئيس جمهورية سوري بعد الاستقلال الفرنسي. وُلد في عام ١٨٦٧ وتوفّي عام ١٩٣٩م وامتدّت فترة حكمه من عام ١٩٣٢ إلى عام ١٩٣٦م. نشأ في دمشق وتعلّم في دمشق وبيروت وبعد أن نال شهادته انتقل إلى الأستانة لاحقًا بأسرته، فدخل مدرسة غلطة سراي، ثمّ أُرسل إلى باريس ودخل كليّة الحقوق ونال شهادتها.

عُيِّن سنة ١٩٠٨م وزيرًا مفوّضًا للدولة العثمانية في واشنطن، فقصدها مع زوجته وأولاده. لم تطل إقامته في واشنطن، بل اضطرّ أن يغادرها على أثر إعلان الدستور العثماني يوم ٢٣ تمّوز عام ١٩٠٨م، وفرار والده من الأستانة بباخرة خاصّة خوفًا من فتك الشعب به، وشعر محمَّد علي وهو في واشنطن بما شعر به والده من الخوف من الأستانة فغادرها سرًّا، ومنها قصد كاليفورنيا وركب البحر متخفّيًا وانضمّ إلى والده وظلاّ يتنقّلان مع أسرتيهما بين سويسرا وفرنسا وإنجلترا حتّى وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها، فقدما مصر وفيها توفّي والده. انتقل محمَّد علي إلى دمشق في صيف ١٩٢٠م بعدما تمّ للفرنسيين الاستيلاء عليها ولمّا أنشأ الجنرال غورو الاتّحاد السوري سنة ١٩٢٢م عيّنه وزير مالية له، فظلّ في هذا المنصب نحو سنة ثمّ غادره بسبب إلغائه.

أجاد العابد عدا لغته العربية اللغتين التركية والفرنسية إجادة تامّة، كان محيطًا بتاريخ الأدب الفرنسي وبالعلوم الاقتصادية فلا يكاد يفوته الاطّلاع على شيء، كتب في جميع هذه العلوم تقريبًا وكذلك كان يفهم الإنجليزية والفارسية ويستطيع التفاهم بهما.

انتُخب محمَّد علي العابد في يوم ١١ حزيران من سنة ١٩٣٢ رئيسًا للجمهورية السورية، وقد تميّز عهده بخضوع الدولة للسلطات الفرنسية، حيث كانت الإرادة الشعبية والوطنية مغيّبة. ظلَّ محمَّد علي العابد رئيسًا للجمهورية السورية حتَّى عام ١٩٣٦م، حيث استقال ثمَّ غادر سوريا إلى باريس، وتوفّي في العام ١٩٣٩م فنُقل جثمانه إلى دمشق.

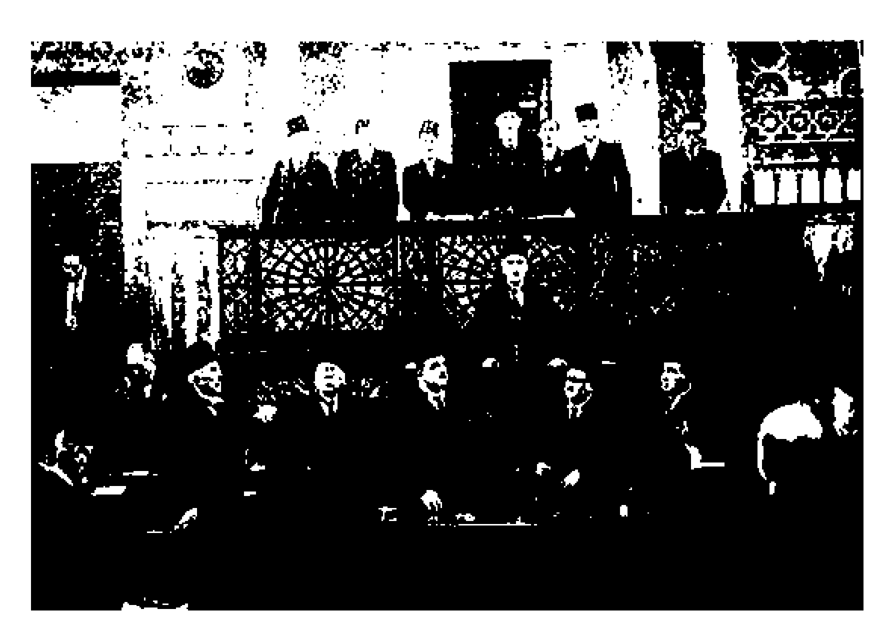


هاشم الأتاسي



هاشم خالد الأتاسي (١٨٧٥-٦ديسمبر ١٩٦٠)، سوري، وُلد ودُفن في حمص. درس في الكلّية الملكية في الأستانة وتولّى مناصب إدارية عليا في الدولة العثمانية. كان رئيسًا للكتلة الوطنية التي ضمّت نخبة من القادة السوريين أمثال إبراهيم هنانو، وسلطان الأطرش، وسعد الله الجابري، وفارس الخوري وغيرهم.

تمّ انتخابه رئيسًا للجمهورية السورية في ديسمبر (كانون الأوّل) ١٩٣٦، خلفًا لمحمّد علي العابد، واستقال في يوليو (تمّوز) ١٩٣٩، بسبب إخلال الفرنسيين بالمعاهدة التي نصّت على استقلال سوريا.



حفل تولّي هاشم الأتاسي الرئاسة عام ١٩٣٦

بعد أن قام سامي الحنّاوي بإعدام حسني الزعيم في ١٤ أغسطس (آب) عام ١٩٤٩، والذي بدوره كان قد انقلب على شكري القوتلي؛ طلب الحنّاوي من هاشم الأتاسي تشكيل حكومة انتقالية استمرّت من ١٤ أغسطس (آب) ١٩٤٩ إلى ١٠ ديسمبر (كانون أوّل) ١٩٤٩. قامت حكومة هاشم الأتاسي بتنظيم انتخابات الجمعيّة التأسيسية، ثمَّ أعيد انتخابه رئيسًا لسوريا.

في ٢ ديسمبر (كانون أوّل) ١٩٥١ قدّم استقالته من منصبه بسبب قيام أديب الشيشكلي بالقبض على معروف الدواليبي، رئيس الوزراء وقتها، وقسم من الوزراء ورئيس مجلس النوّاب وبعض النوّاب. قام الشيشكلي بعد فترة بتعيين فوزي سلو رئيسًا للدولة. وعاد الأتاسي بعد تقديم أديب الشيشكلي استقالته في ٢٥ آذار ١٩٥٤ لرئاسة البلاد حتَّى سبتمبر (أيلول) ١٩٥٥.



بهيج الخطيب

بهيج الخطيب رئيس سوري سابق، حكم سوريا بموجب السلطة التنفيذية والتشريعية التي أعطيت له من قِبَل الفرنسيين بسبب نشوب الحرب العالمية الثانية وإبّان الانتداب الفرنسي على سوريا واستمرّ حكمه من الفترة ١٩٣٩م إلى ١٩٤١م.

ـ حكومة بهيج الخطيب

اعتُبر بهيج الخطيب من الموالين للانتداب الفرنسي كما اعتُبر بعض الوطنيين آنذاك من الموالين للانتداب البريطاني أمثال الزعيم الدكتور عبد الرحمن الشهبندر وغيرهم من الشرفاء، فمنذ أن تسلّم بهيج مهمّته، قام بجولة في مختلف أنحاء سوريا، ومع أنَّ الكتلة الوطنية كانت في وضع حرج ومتفكّك، فإنَّ أحدًا من الكتلة لم يشترك في الاستقبالات الرسمية لأسباب تتعلّق بالانتداب الفرنسي المباشر على سوريا وبعض المتغيّرات الإقليمية والسياسية. وهكذا استمرّت السيطرة الفرنسية على الحكم، فاضطرّ المحافظون إلى ترك مناصبهم، كما فعل إحسان الجابري محافظ اللاذقية، ونسيب البكري محافظ جبلِ الدروز. وبعد فترة قصيرة ظهرت بوادر نشوب الحرب العالمية الثانية، وبسبب دخول المستعمر في أتون الحرب العالمية الثانية وممارسته شتّى أنواع الضغوط السياسية والاقتصادية والأمنية، صدر قرار من قِبَل حكومة الانتداب بتعليق الدستور وتعطيل الحياة النيابية استنادًا إلى ما سمّي "فراغ السلطة".

استلم بهيج الخطيب الحكم في سوريا في ظلّ أجواء من التحضيرات والتحضيرات المضادّة للحرب العالمية الثانية، كما حكم بسلطة تنفيذية وتشريعية من الفترة ١٩٣٩م إلى ١٩٤١م كرئيس للدولة وكرئيس لمجلس مؤلّف من مديري الوزارات في ظلّ الانتداب الفرنسي على سوريا ووقعت في عهده حوادث جسام، منها:

- اغتيال عبد الرحمن الشهبندر في ٧ تمّوز ١٩٤٠.

- كما حدث خلال حكمه أن استغلّ الأتراك الموقف، وبدأت المناوشات التركية، ولكن فرنسا لم تتحرّك ولم تحمِ لواء إسكندرون، ولم تقاوم الأتراك عندما دخلوها في ٢٣ تمّوز ١٩٣٩، ولم يكن لدى حكومة بهيج الخطيب إمكانيّة التأثير السياسي على القرارات والمؤامرات الدولية المتّخذة مسبقًا بتسليم لواء إسكندرون (قبل استلام بهيج الحكم في ٧ تمّوز ١٩٣٩) من قبل ما سيغلي الفرنسي وسراج أوغلو التركي، وكانت فرنسا تداريهم كثيرًا في سبيل مطامع أخرى؛ وأوّلها مطمع وقوف تركيا (على الحياد) أثناء الحرب، وذلك بناء على طلب بريطانيا وسلّمت فرنسا إلى تركيا لواء إسكندرون بشكل نهائي؛ ولم تخجل من تبرير موقفها بأنّها لا تستطيع الدفاع عنها، في الوقت الذي كانت تخطّط منذ سنين لهذا التنازل النهائي، وكانت - لو أرادت - تستطيع الدفاع بجيشها بعتاده وعدّته، وفي هذا اليوم أُنزل العلم الفرنسي، واحتفلت تركيا احتفالاً رسميًا...

- نهاية حكومة بهيج الخطيب

وكان لحكومة بهيج الخطيب نصيبًا من التأثيرات السلبية للمتغيّرات الإقليمية والدولية شأنها في ذلك شأن دول الإقليم والمنطقة آنذاك، سقوط فرنسا في يد دول المحور ومن ثمَّ هزيمة فرنسا فيشي أمام فرنسا الحرّة والتأثيرات المباشرة من جرّاء ذلك على المستعمرات ومناطق الانتداب الفرنسي ومن ضمنها سوريا. كلّ تلك الأسباب دفعت حكومة بهيج الخطيب إلى تقديم الاستقالة بأمر من الفرنسيين (فرنسا الحرّة)، ومن ثمَّ تشكيل حكومة مؤقّتة بقيادة خالد العظم.



خالد العظم



خالد محمَّد العظم (١٩٠٣-١٩٦٥) كان زعيمًا وطنيًّا سوريًّا وُلد في دمشق، كان عضوًا في واحدة من أبرز العائلات السياسية في سوريا.

- سيرتّه

تخرّج من جامعة دمشق عام ١٩٢٣م في مجال القانون، انضمّ الى حكومة المدينة في عام ١٩٢٥م. وفي العام ١٩٣٠، أصبح من المقرّبين إلى كبار أعضاء الكتلة الإئتلافية المناهضة للفرنسيين، مثل الرئيسين "هاشم الأتاسي وشكري القوتلي". وقد بقي وقتًا طويلاً من المؤيّدين لهاشم الأتاسي، ومتعارضًا مع شكري القوتلي، الذي اتّهمه بأنّه سلطوي جدًّا. وقد عيّنه الانتداب الفرنسي في عام ١٩٤١م رئيسًا للوزراء ورئيسًا بالنيابة، بعد عدم نجاحها في العثور على مرشّح رئاسي منذ استقالة هاشم الأتاسي في عام ١٩٣٩م. وقد استُبدل لاحقًا بعد خمسة أشهر بتاج الدين الحسيني الموالي لفرنسا.

عمل خالد العظم مرارًا في البرلمان ومجلس الوزراء في الفترة ١٩٤٣م-١٩٤٧م. وأصبح محورًا للمعارضة عندما استقال من الحكومة في عام ١٩٤٥ وقاد الحملة المعارضة لتعديل شكري القوتلي للدستور كي يسمح لنفسه بفترة رئاسية ثانية. فاز شكري القوتلي، ونافسه خالد العظم في عام ١٩٤٧ وخسر. بيد أنه قَبِلَ منصب السفير في فرنسا،

وعمل بهذه الصفة لمدة عام. ونجح في إبرام صفقة شراء الأسلحة من فرنسا وفي وقت لاحق من الاتحاد السوفياتي.

في مايو ١٩٤٨ وافق على تشكيل حكومة متعدّدة الأحزاب تحت حكم شكري القوتلي، الذي بقي حتّى مارس ١٩٤٩. تحالف مع فرنسا والولايات المتحدة محاولاً الحصول على قروض من أجل التنمية المحلّية. سافر كثيرًا لحضور اجتماعات الأمم المتّحدة الخاصّة بالقضية الفلسطينية. تصادم العظم مع أفراد من الجيش، ولا سيّما رئيس هيئة الأركان "حسني الزعيم".

قام الأخير بانقلاب في ٢٩ مارس ١٩٤٩، وسجن كلاً من الرئيسين خالد العظم وشكري القوتلي. عندما أطيح بحسني الزعيم بعد خمسة أشهر، عاد خالد العظم إلى البرلمان كنائب عن دمشق، وأصبح وزيرًا للمالية. كما انتُخب في الجمعية التأسيسية التي صاغت دستورًا جديد لسوريا.

أصبح رئيسًا للوزراء من جديد تحت حكم الرئيس هاشم الأتاسي، في يونيو ١٩٥٠. أغلق خالد العظم الحدود في وجه السلع اللبنانية في محاولة لمنعِ سقوط الصناعة المحلّية، نتيجة لانتشار الواردات اللبنانية.

تصادم خالد العظم مرارًا مع الجيش لأنّه رفض تعيين الضبّاط في أي من وزاراته، وحفظ دائمًا حقيبة الدفاع لنفسه. كما تصادم مع العناصر المؤيدة لنظام الرئيس هاشم الأتاسي في الحياة السياسية السورية التي تدعو إلى الوحدة مع العراق.

انعدمت ثقة الاشتراكيين به بسبب خلفيّته الأرستقراطية الغنية والعثمانية. ترك خالد العظم المجال السياسي في عام ١٩٥١ حتّى عام ١٩٥٤ احتجاجًا على انقلاب أديب الشيشكلي الذي أطاح بحكم الرئيس هاشم الأتاسي الديمقراطي.

- معارضته للوحدة مع مصر

أطلقت الصحافة السورية لقب "المليونير الأحمر" على خالد العظم خلال فترة الخمسينيات. ولأنّه لم يكن اشتراكيًا، ومعارضًا في واقع الأمر لدعوات الاشتراكية في العالم العربي، فقد عارض بدون جدوى الوحدة مع مصر في عام ١٩٥٨ التي أدّت إلى إعلان الجمهورية العربية المتّحدة، مدّعيًا أنّ عبد الناصر من شأنه أن يدمّر النظام الديمقراطي واقتصاد السوق الحرّة في سوريا. اعتزل الرئيس خالد العظم الحياة السياسية خلال فترة الاتّحاد وهاجر إلى لبنان ١٩٥٨ــ ١٩٦١.

- الاضطراب العسكري

عندما حصل الانفصال، عاد إلى سوريا وساعد في صياغة وثيقة الانفصال بنفسه، وحاول خوض انتخابات الرئاسة ولكنّ الجيش رفض ترشيحه. انتخب ناظم القدسي، وعاد الرئيس خالد العظم إلى البرلمان كنائب عن دمشق. وفي يوم ٢٨ مارس ١٩٦٢، أطاح انقلاب آخر بالنظام وسُجن القدسي والعظم. وفي ٢ أبريل (نيسان)، أطلق انقلابًا مضادًّا سراحهم، وأصبح العظم رئيسًا للوزراء من جديد تحت حكم ناظم القدسي. تحالف الرجلان لتخليص الجيش من الناصريين، وعكس

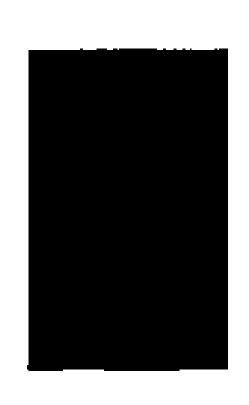
مشروع التأميم الذي وضعه جمال عبد الناصر عندما كان رئيسًا للجمهورية العربية المتّحدة. وقبل تحقيق ذلك، جاء حزب البعث العربي الاشتراكي إلى السلطة في سوريا في مارس ١٩٦٣ وهرب كلّ من الرئيسين خالد العظم وناظم القدسي إلى المنفى.

- وفاته

في عام ١٩٦٣ انتقل خالد العظم نهائيًا إلى بيروت حيث عاش في ظروف مادّية صعبة، واستملك حزب البعث أملاكه في سوريا. وتوفّي ودُفن يوم ١٨ نوفمبر ١٩٦٥.

* * *

عطا الأيّوبي



عطا الأيّوبي (١٨٧٧ – ١٩٥١)، رئيس سوري سابق حكم سوريا عام ١٩٤٣. ولد لعائلة سياسية بارزة في دمشق، درس الإدارة العامّة في إسطنبول، وبدأ حياته المهنية في الخدمة المدنية العثمانية.

– المرحلة العثمانية

في ١٩٠٨، أصبح حاكمًا لمدينة اللاذقية، وهي مدينة وميناء هامّ على الساحل السوري. لم يلعب دورًا مهمًّا في فترة الصراع العربي العثماني خلال السنوات ١٩١٦ – ١٩١٨، بقي في دمشق بعد هزيمة العثمانيين في أكتوبر (تشرين الأوّل). خلال الأيّام الأربعة الفاصلة بين رحيل الأتراك ووصول الجيش العربي، ألّف حكومة مع مجموعة من وجهاء سوريا في دمشق، وكانت هذه الحكومة برئاسة الأمير سعيد الجزائري الذي كان يقيم في دمشق في تلك الفترة. رفض السوريون اتّفاقية سايكس بيكو وأعلنوا استقلال بلادهم ضمن حدودها الطبيعية في ٨ آذار ١٩٢٠ وتوّجوا فيصل بن الحسين ملكًا عليهم.

في يونيو (حزيران) ١٩٢٠، عُيّن عطا الأيوبي وزيرًا للداخلية لحكومة علاء أحمد نظام الدين وذلك خلال حكم الملك فيصل.

هاجمت الجيوش الفرنسية سوريا لإخضاعها والسيطرة عليها. كان عطا الأيّوبي ضدّ هذا التدخّل الفرنسي، وأقام علاقات مع المناضلين

السوريين وكان يعمل على تمويل الثوّار بالأسلحة والأموال ومنهم صالح العلي، زعيم الثورة في الساحل السوري، وابراهيم هنانو، زعيم تنظيم "حلب الثورة". في اللاذقية، ويقال إنَّه غضّ النظر عن أنشطه عمر البيطار، ورفض بصفته وزيرًا للداخلية، إلقاء القبض على المتمرّدين، وكان يعطي الثوّار المعلومات لوضع الكمائن على الحاميات الفرنسية كما كانَ وزيرًا خلال معركة ميسلونِ الشهيرةِ حيث هُزِم الجيشِ السوري منِ جانب الجيش الفرنسي واستشهد في تلك المعركة زميله يوسف العظمة، وزير الحربية.

- مرحلة الانتداب الفرنسي

أراد عطا الأيّوبي بعد معركة ميسلون اللجوء إلى الوسائل الدبلوماسية لتحرير سوريا وقَبِل بمنصب في الحكومة الموالية لفرنسا في أغسطس (آب) ١٩٢٠، قامت مجموعة من الرجال المسلّحين بمحاولة قتله وذلك في منطقة حوران في جنوب سوريا متّهمة إيّاه بالخيانة لقبوله منصبًا وزاريًّا تحت حكم "الانتداب الفرنسي". فشلت محاولة الاغتيال في قتله أو حتّى في إقناعه بالتنحّي وبقي في منصبه حتّى ١٩٢٢، بعد أن أصبح وزيرًا للعدل في الحكومة الموالية لفرنسا برئاسة صبحي بركات، وحفظ منصبه حتّى بدء الانتفاضة الوطنية ضدّ الانتداب الفرنسي في ١٩٢٥. ويرى البعض أنَّ الرجل كان يستعمل مركزه لخدمة الثوّار والعمل على استقلال سوريا.

أصبح الأمير عطا الأيّوبي رئيسًا للوزراء لفترة انتقالية ونصّب نفسه أيضًا وزيرًا للخارجية والدفاع والداخلية وأشرف على الانتخابات الرئاسية. ترك منصبه في أغسطس (آب) ١٩٤٣، واستقال من الحياة السياسية وذلك إبّان انتخاب الرئيس شكري القوتلي رئيسًا للدولة. كرّمته الكتلة الوطنية إبّان الاستقلال في ابريل (نيسان) ١٩٤٦. وذلك للدور العظيم الذي لعبه في مساعدة الثوّار والكتلة الوطنية في تحقيق الاستقلال السوري. كان الأمير عطا الأيّوبي قوميًّا كرّس نفسه لخدمة سوريا واستقلالها ولم يكفّ يومًا عن استعمال مركزه السياسي لتقديم الخدمات للثوّار من أجل تحقيق الاستقلال. توفّي عام ١٩٥١.



شكري القوتلي



شكري محمود القوتلي (٢١ أكتوبر ١٨٩١ـ ٣٠ يونيو ١٩٦٧) زعيم عروبي ورئيس سوري مرّتين، من عام ١٩٤٣ إلى عام ١٩٤٩، ومن عام ١٩٥٥ إلى عام ١٩٥٨. حوكم بالإعدام ٣ مرّات نجا منها كلّها. يُعدّ واحدًا من أبرز دُعاة الوحدة العربية في العصر الحديث، كان عضوًا في المنتدى الأدبي، وهو أحد المنادين بالتحرّر في العالم العربي، وقادة حركة المقاومة ضدّ الاستعمار الأجنبي في العالم العربي، وهو أوّل رئيس عربي تنازل عن الحكم طواعية وبملء إرادته لرئيس آخر وذلك عام ١٩٥٨، وتنازل آنذاك للزعيم العربي جمال عبد الناصر وذلك من أجل وحدة سوريا مع مصر والتي كان أحد أبطالها. ويُعدّ هذا التنازل من أهمّ إنجازاته كرئيس عُرف بأمانته واستقامته.

ـ سيرة حياته

دمشقي المولد والأسرة. تخرّج من المدرسة الملكية في الأستانة. بعد عودته إلى دمشق دخل في جمعيّة "العربية الفتاة" السرّية. ولمّا احتلّ الفرنسيون سوريا سنة ١٩٢٠، حكموا عليه غيابيًّا، إلى أن شبّت الثورة السورية سنة ١٩٢٥ فكان من أركان العاملين لها بعيدًا عن ميدانها.

استقرّ الرئيس شكري القوتلي في دمشق سنة ١٩٣٠. عندما تألّف مجلس النوّاب السوري سنة ١٩٣٤، كان من أعضائه. تولّى وزارة

المالية، واستقال مكتفيًا بالنيابة، فانتُخب نائبًا لرئيس مجلس النوّاب في العام نفسه.

انتُخب شكري القوتلي في ١٧ أغسطس (آب) ١٩٤٣ رئيسًا للجمهورية السورية، وثار عليه حسني الزعيم، فأُكره على الاستقالة في ٣٠ مارس ١٩٤٩. استقرّ في الإسكندرية ثمَّ عاد إلى دمشق، وانتُخب رئيسًا للجمهورية السورية ثانيةً ليتولّى الرئاسة من ٦ سبتمبر ١٩٥٥ وحتّى تنازله عنها في ٢٢ فبراير ١٩٥٨.

اتّفق الرئيس شكري القوتلي مع رئيس الجمهورية المصرية جمال عبد الناصر على توحيد القطرين سوريا ومصر، وتسميتهما الجمهورية العربية المتّحدة وتنازل لجمال عبد الناصر باختياره عن الرئاسة. سُمّي "المواطن العربي الأوّل" في زمن الوحدة التي أعلنت في فبراير (شباط) ١٩٥٨، لكنّها انتهت إلى الانفصال في سبتمبر (أيلول) عام ١٩٦١.



من خطاب فخامة الرئيس شكري القوتلي
في يوم الجلاء عام ١٩٤٣



فخامة الرئيس شكري القوتلي يتصدّر السرادق الفخم في مهرجان الجلاء ويرى إلى يمينه صاحبا السموّ الأميران السعوديان فيصل ومنصور ففخامة الرئيس الأتاسي فدولة فارس الخوري وإلى يساره رئيس البعثة المصرية عبد اللطيف طلعت باشا

تحيّة الأمل والوفاء

يا بني وطني، هذا يوم تشرق فيه شمس الحرّية ساطعة على وطنكم فلا يخفق إلاّ علمكم، ولا تعلو فيه إلاّ رايتكم. هذا يوم الحقّ تدوّي

كلمته، يوم الاستقلال تتجلّى عزّته، يوم يرى الباطل كيف تزول دولته، يوم النصر العظيم والفتح المبين...

بني وطني

أهنّئ اليوم هذه الأمّة، شبابًا وشيبًا، هلالاً وصليبًا... أهنّئ الفلاّح الذي هجر مزرعته للذّود عن أمّته. أهنّئ العامل الكادح الذي جعل من نفسه الفداء لوطنه، وهو بما يصيبه من السعداء.

أهنّئ ذلك الطالب يتأجّج حماسة ويغلي مرجله إباءً. أهنّئ الأستاذ يبثّ العزّة القومية والشاعر ينفخ الروح الوطنية والكاتب يدافع عن الحقّ ويدعو إلى تأييده. أهنّئ التاجر الذي طالما غادر متجره احتجاجًا على ظلم قاسٍ لدفع العدوان.

أهنّئ رجل الأحياء الذي لا يضعفه وهن ولا يرجعه وعيد وأبارك السيّدة في بيتها تؤدّي واجبها جيّدا بثبات وصبر. أهنّئ الأمّة جميعها في شخص الشهيد المجهول يعمل لوطنه صادق الأريحة ويلقي وجه ربّه راضيًا مرضيًا.

- البعث العربي

ويتابع:

يا أبناء هذه الأمّة، لقد عرف تاريخ الحركة القومية أسماء جمعيّات وأحزاب سرّية جاهزة، أذكر منها على سبيل المثال وليس للحصر، "العرب، الاستقلال، والعهد" وكان لي شرف الانتساب إليها والعمل على تحقيق أهدافها فبشّرت بالفكرة العربية حتّى كانت الحرب

العالمية الأولى، وامتلأت السجون بالأحرار وامتلأت المعتقلات بالمجاهدين الأبرار. وقد استفاقت الأمّة ذات صباح وعلى بعد أمتار من هذا المكان على نخبة مختارة من رجالاتنا، عُلّقوا على أعواد المشانق. ولم تكن الأعواد إلاّ أراجيح الأبطال ومنابر الخطباء الصالحين من فحول الرجال، فكانوا حجر الزاوية في بناء صرح الأمّة واستقلالها.

ورأى التاريخ بعد ذلك أمّة يعرب تثور ثورتها الأولى ورأى أبناءها يجيئون من أبطاح مكّة والحجاز وموجة الأمل الخضراء تكسو وجوههم، رأى طلائعهم تدخل دمشق يقودها فيصل الأوّل الخالد ويرفع العلم العربي فوق روابيها.



فخامة الرئيس القوتلي واقفًا في السيّارة وإلى جانبه دولة سعد الله الجابري يستعرضان فرق الجيش السوري

- الانتداب البغيض

استعرض فخامته عهد الانتداب البغيض في خطابه فأتى على أخطائه ومنكراته كلّها، "وقد ظلّ الشهداء والمجاهدون يقاومونه فلم يعترفوا به لحظة من اللحظات، وظلّوا في مكانهم لا يتراجعون".

- في المجزرة العالمية

بني وطني

لقد نشبت الحرب العالمية الثانية فكفّت الأمّة عن مناوأة خصمها وملكت نفسها رغم استمرار العنف والجبروت. ومدّت يدها إلى حلفائها الديمقراطيين الذين كانوا يخوضون حربًا طاحنة وساهمت في المجهود الحربي الديمقراطي ووضعت مواصلاتها ومرافقها تحت تصرّف سلطات الحلفاء العسكرية وربطت مصيرها بمصير الدول الحليفة.

وفي أثناء ذلك لم تتوان عن المطالبة بحقّها وبذل النشاط السياسي في وقت كان فيه الالتفات إلى الوطنية جريمة. فرفعنا المذكّرات ووزّعنا البيانات ودعونا الدول الحليفة إلى تحقيق وعودها فكان للأمّة ما أرادت فانتخبت نوّابها وانتخبت رئيس جمهوريّتها.

... وظللنا نتابع جهودنا في جمع شمل العرب وتوحيد كلمتهم وإقامة قواعد جامعتهم فكان بروتوكول الإسكندرية عام ١٩٤٤ وميثاق جامعة الدول العربية عام ١٩٤٥ فنظّمت الدول العربية في جامعة تدعم استقلالها وتوطّد سياستها.

وبعد مئات السنين من القنوط والتخاذل وضياع الشخصية، تدوّي في سَمْع الزمان كلمة العرب موحّدة قويّة ويستمع العالم إلى رأيهم وتبوأهم لأوّل مرّة المقام الدولي الرفيع.

وأزفت الدعوة إلى سان فرنسيسكو فوقفت المساعي التي بذلناها لدى حكومات الدول المتحالفة ولدى الدول العربية، فدعينا إليه وساهمنا مع أربع دول عربية في وضع شرعة الأمم المتّحدة، وظفرنا عمليًا ونهائيًا بإقرار العالم أنّنا أمّة مستقلّة حرّة ذات سيادة تامّة.

– المستقبل المنشود

إنّنا نطوي صفحة الجهاد في سبيل الاستقلال لنفتح صفحة جديدة لصيانته وجعله واسطة لإسعاد الأمّة ورقيّها، وقد تكون صيانة الاستقلال أشقّ من الحصول عليه، وقد أخذنا على أنفسنا أن نعمل على تقوية الرّوح الوطنية وإصلاح ما أفسده الاستعمار ونزع بذور التفرقة والفساد وإزالة ما خلّفه من أسواء ومفاسد.

إنّنا نودّع عهد الهدم ونستقبل عهد البناء فعلينا أن نحارب الجهل والفوضى، ونعمل على توطيد النظام واحترام القانون وتحقيق العدالة.

علينا أن نصلح إدارة الحكم وأن ننصرف إلى العمران، ونمشي بالبلاد نحو الإصلاح والتنظيم المؤدّي إلى رفع مستوى الفرد وبفسح المجال أمام العبقريّة والكفاية.

علينا أن نرتقي باقتصاديّاتنا وزراعتنا وصناعتنا وتجارتنا وعلينا أن نقضي على البلبلة الثقافية وتقوية الرّوح الوطنية فما قد كان في عهد الانتداب لا يجوز في عهد الاستقلال.

- الصِّلات بالعالم متساوية

أمّا في سياستنا الخارجية فنحن مع دول الأمم المتّحدة وضمن نطاقها نصدقها المودّة وستكون صلاتنا في مبادئ العمل على قدم المساواة، ونحن في علاقتنا الأجنبية لا نعترف لأحد بأيّ مركز ممتاز أو امتياز خاصّ.

أمّا صلتنا بالجامعة العربية فهي صلة صدق وولاء وعلى العرب أن يعملوا على تقويتها وتحقيق أهدافها، فعليها معقد الرجاء وتحقيق الآمال وفي تقويتها عزّة الجانب ووفرة الكرامة.

إنَّ بلاد الشام التي تشعّ منها نور العروبة والتي رفعت رايتها على ضفاف الراين وأسوار، الصين تعلن أنّها تؤمن بالعروبة في أوسع معانيها، لأنّها قائمة على أسس العدالة الإنسانية، وقد قلت إنّنا لن نقبل أيّ علم في البلاد بعد اليوم محلّ هذا العلم سوى علم الوحدة العربية.

وإنّه لمقتضيات الأخوّة أن تقف سوريا من الأقطار الشقيقة وتعرب عن شكرها وتسعى للإفلات من قيود الماضي إلى جانبها.



أعلام الدول العربية كما بدت في مهرجان الجلاء يحملها جنود يمثّلون جيوش العرب. وهي من اليسار: العلم اللبناني فالعراقي فالمصري فعلم الجيش السوري فعلم الدرك السوري فالعلم الحجازي فالأردني

- مستقبل فلسطين

وأمّا فلسطين الجزء الجنوبي من ديار الشام فقضيّتها هي ركن أساسي من أركان سياستنا، وفي إنقاذها ضمان لسيادة بلادنا واستقلال أبنائنا، ونحن مطمئنّون بأنّ الدول العربية ستتكتّل لتعلن خطّ الدفاع عنها. إنّ فلسطين عربية وستظلّ عربية ولو أطبقت عليها شعوب الأرض

- لا شكر على الواجب

وبعد أن شكر فخامته وفود الأقطار الشقيقة، والنسور العربية، والجنود العربية، التي اشتركت في المهرجان، تلطّف فخامته فخصّ لبنان بكلمة من قلبه النبيل فقال:

"وإنّه لمن سرورنا أن يظفر لبنان الشقيق بما ظفرنا به وإنّا نتطلّع إلى يوم الاحتفال بجلاء الأجنبي عنه ليتاح لنا مشاركته الابتهاج بعيده الوطني الذي هو عيدنا كما هو عيده اليوم.

يطيب لي أن أتحدّث عمّا يخالج نفسي من معرفة هذه الكلمة. فقد بقيت على قيد الحياة مع بعض أخواني الذين حاربوا الاستعمار والمستعمرين حربًا لا هوادة فيها حتّى تفوّق الحقّ على الباطلِ وعلينا أن نحافظ على هذا الاستقلال.

هذا عهدنا والله على ما نقول شهيد".

(انتهى خطاب الرئيس شكري القوتلي)



حسني الزعيم



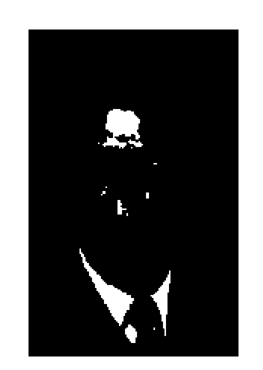
حسني الزعيم (١٨٩٧ ـ ١٩٤٩)، رئيس سوري دمشقي من أصل كردي، وُلد حسني بن محمَّد الزعيم في حلب سنة ١٨٩٧.

حكم سوريا بين ٣٠ آذار (مارس) و١٣ آب (أغسطس) ١٩٤٩. وصل إلى الحكم بانقلاب عسكري وهو أوّل انقلاب عسكري في سوريا وفي العالم العربي، وقد أطاح حسني الزعيم من خلال انقلابه هذا بحكم الرئيس السوري شكري القوتلي، وقام باعتقاله مع بعض الوزراء. كان قبل قيامه بالانقلاب يتولّى منصب رئيس أركان حرب الجيش السوري، لكن حكمه لقي نفس المصير فأطيح به بانقلاب عسكري قاده سامي الحنّاوي.

أُعدم يوم ١٤ آب رميًا بالرصاص إلى جانب رئيس وزرائه محسن البرازي بعد محاكمة سريعة.



سامي الحنّاوي

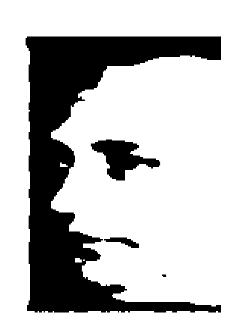


محمَّد سامي الحنّاوي (١٨٩٨ – ١٩٥٠م)، وُلد في مدينة إدلب/سوريا وتخرّج من مدرسة دار المعلّمين بدمشق سنة ١٩١٦ ودخل المدرسة العسكرية في إسطنبول فأقام فيها سنة. خاض معارك قفقاسيا وفلسطين في الحرب العالمية الأولى، ثمَّ دخل المدرسة الحربية بدمشق سنة ١٩١٨م وتخرّج بعد عام برتبة ملازم ثانٍ، وألحق بالدرك الثابت في سنجق لواء الإسكندرونة السوري، وكان من قوّات الجيش السوري في معركة فلسطين سنة ١٩٤٨م حيث رقّي إلى رتبة عقيد.

قام سامي الحنّاوي مع مجموعة من رفاقه بثاني انقلاب في تاريخ سوريا الحديث، فاعتقلوا حسني الزعيم ورئيس وزرائه محسن البرازي، وأعدموهما بعد محاكمة عسكرية سريعة يوم ١٤ آب (أغسطس) ١٩٤٩. وتقلّد منصب رئيس الدولة السورية وظلّ منصب الرئاسة بيد الحنّاوي ليومين حيث قام الحنّاوي بتسليم الحكم رسميًا إلي هاشم الأتاسي.

سُجن الحنّاوي لمدّة ثمَّ أُطلق سراحه، فغادر دمشق إلى بيروت، وهناك ترصّده محمَّد أحمد البرازي فاغتاله بالرصاص في ٣٠ تشرين أوّل ١٩٥٠ انتقامًا لمحسن البرازي ونُقل جثمانه إلى دمشق فدُفن فيها.

فوزي سلو



وُلد الرئيس السوري فوزي سلو في العام ١٩٠٥م وتوفّي في العام ١٩٧٢م. كان قائدًا عسكريًّا سوريًّا وهو كردي وسياسي مخضرم، استلم مقاليد الحكم من ٣ ديسمبر ١٩٥١ إلى ١١ يوليو ١٩٥٣. درس في الكلّية الحربية في حمص والتحق بالقوّات الخاصّة الفرنسية Troupes Speciales والتي أُنشئت عندما فرضت فرنسا انتدابها على سوريا في يوليو ١٩٢٠م.



أديب الشيشكلي



كان العقيد في الجيش السوري أديب حسن الشيشكلي قائد الانقلاب العسكري الثالث في سوريا الذي حدث في سوريا في ١٩ ديسمبر ١٩٤٩ ورئيسًا لها بين عامي ١٩٥٣ و ١٩٥٤.

كان أديب الشيشكلي ضابطًا سابقًا في الجيش السوري، استولى على السلطة على دفعات منذ عام ١٩٥١ وحتّى عام ١٩٥٤ وكان قبلها أحد العسكريين السوريين الذين شاركوا في حرب ١٩٤٨ وتأثّر خلالها بأفكار الحزب السوري القومي الاجتماعي.

- حياته

وُلد عام ١٩٠٩ في مدينة حماه في سوريا، من عائلة كبيرة ومعروفة، نشأ فيها وتخرّج بالمدرسة الزراعية في سلمية، ثمَّ بالمدرسة الحربية في دمشق، تطوّع في جيش الشرق الفرنسي، ثمَّ انتقل مع غيره من الضبّاط إلى الجيش السوري، شارك في معركة تحرير سوريا من الفرنسيين سنة ١٩٤٥، ثمَّ كان على رأس لواء اليرموك الثاني بجيش الإنقاذ في فلسطين سنة ١٩٤٨. وشارك في معركة التحرّر من الفرنسيين (سنة ١٩٤٥)، ثمَّ كان على رأس لواء اليرموك الثاني بجيش الإنقاذ في معارك فلسطين سنة ١٩٤٨.

اشترك مع حسني الزعيم في الانقلاب الأوّل في ٣٠ مارس ١٩٤٩، لكنّهما اختلفا فصرفه الزعيم من الخدمة، ولم يلبث أن عاد قائدًا للّواء الأوّل برتبة عقيد في عهد سامي الحنّاوي كما اشترك مع الحنّاوي في الانقلاب الثاني في ١٤ مايو ١٩٤٩، لكنَّ أديب الشيشكلي لم يحقّق في الانقلابين طموحه الشخصي، فهو مغامر يتطلّع إلى السلطة، ويبحث عن سلّم يوصله إلى قمّتها بأسلوب بارع ومقبول من الجماهير. له شقيق هو النقيب صلاح الشيشكلي عضو في الحزب القومي السوري الاجتماعي، وبحكم هذا الواقع ارتبط أديب الشيشكلي بصلات قريبة مع العقيد أمين أبو عساف، والنقيب فضل الله أبو منصور اللذين ساهما في اعتقال سامي الحنّاوي، انقضّ بمساعدتهما على الحنّاوي أواخر ١٩٤٩، فاستولوا على الحكم، وتولّى الشيشكلي رئاسة الأركان العامّة ١٩٥١. كما مهّد العقيد أبو عساف والنقيب أبو منصور الطريق لأديب الشيشكلي المسيطر على مجلس العقداء، لمنازعة رئيس الدولة هاشم الأتاسي على السلطة، حيث أصدر الشيشكلي في صباح ١٩ كانون الأوّل ١٩٤٩ بلاغًا بتوقيعه، أكّد فيه إقصاء سامي الحنّاوي وأسعد طلس عن القيادة، لتآمرهما على سلامة الجيش وكيان البلاد ونظامها الجمهوري على حدّ زعمه.

- الحكم المزدوج

عُرف عهد الانقلاب الثالث بعهد الحكم المزدوج (أديب الشيشكلي وهاشم الأتاسي)، ولمّا كان الشيشكلي عضوًا في مجلس العقداء ومسيطرًا

عليه فقد حلّ هذا المجلس وألّف بديلاً عنه مجلسًا أسماه المجلس العسكري الأعلى.

وهكذا دخلت البلاد في عهد الانقلاب الرابع. ففي ليل ٣١ تشرين الثاني ١٩٥١ تمّت خطوة الشيشكلي الحاسمة في الطريق إلى الحكم، إذ اعتُقل رئيس الوزراء معروف الدواليبي وزجّ به وبمعظم أعضاء وزارته في السجن، واعتقل رئيس مجلس النوّاب وبعض النوّاب، فما كان من رئيس الجمهورية الموالي لبريطانيا هاشم الأتاسي إلاّ أن قدّم استقالته. بعد ذلك أذيع البلاغ العسكرية رقم (١) بتاريخ ٢ كانون الأوّل ١٩٥١ جاء فيه: إنَّ المجلس الأعلى بناء على استقالة رئيس الجمهورية وعدم وجود حكومة في البلاد يأمر بما يلي:

– يتولّى رئيس الأركان العامّة ورئيس المجلس العسكري الأعلى مهام رئاسة الدولة، ويتولّى كافة الصلاحيّات الممنوحة للسلطات التنفيذية.

– تصدر المراسيم اعتبارًا من ٢ كانون الأوّل ١٩٥١ من رئيس الأركان، رئيس المجلس العسكري الأعلى.

– انصبّ اهتمام الشيشكلي على ترسيخ جذور الانقلاب الرابع في البلاد عبر حكم عسكريّ مباشر، في واجهتُهُ الزعيم فوزي سلو بعد تعيينه رئيسًا للدولة، وفي حقيقتُهُ العقيد أديب الشيشكلي رئيس الأركان. وأصدر مرسومًا بحلّ البرلمان، وآخر بتولّي الأمناء العامّين في الوزارات صلاحيّة الوزراء، ريثما يتمّ تشكيل حكومة جديدة. كما أصدر مرسومًا آخر بإلغاء

جميع الأحزاب السياسية، وآخر بتوحيد الصحف وجعلها أربعة صحف تصدر في دمشق وحمص وحلب والجزيرة.

- حزب التحرير العربي

اعتمد أديب الشيشكلي على أنصاره من الحزب القومي السوري، ودعا إلى تأسيس حزب جديد بأسم حركة التحرير العربي حتَّى يكون لدى الحزب الوحيد في البلاد استعداد لخوض الانتخابات، وبعد الإعلان عن تأسيس الحزب، بدأ الشيشكلي عقد اجتماعات جماهيرية لإلقاء الخطب الطنّانة التي تلهب حماسة الجماهير وتجعل تحرير فلسطين في متناول اليد. ولمّا اطمأنّ إلى قاعدته الجماهيرية وجهازه الإعلامي، التفت لتنظيم جهاز القمع، وبدأت حملة الاعتقالات والتعذيب ضدّ كلّ من يعارض "العقيد"، شملت الطلاّب والمدرّسين ورجال السياسة وقادة الأحزاب والأقلام الحرّة. وعندما شعر الشيشكلي بأنَّ الساحة خلت له ولحزبه، دعا الى إجراء الانتخابات النيابية في ١٠ تمّوز ١٩٥٣، وفاز حزب التحرير العربي بـ ٨٣ مقعدًا.

عُرف أديب الشيشكلي باحتكار العمل السياسي بهيئة سياسية مركزية، هي حركة التحرّر العربية، كما اهتمّ بالإصلاح الزراعي وتوسيع الضرائب على البرجوازية، وتجنيد النساء في الجيش وأفكار أخرى ليست بعيدة عن أفكار الحزب السوري القومي الاجتماعي.

- أزمة الشيشكلي مع الدروز

لكنّ أديب الشيشكلي بالرّغم من إصلاحاته المذكورة وموقفه المتشدّد ضدّ المشروع الصهيوني قام باعتقال كثير من الأشخاص المعارضين له من كافّة الأحزاب ووضعهم في السجون. واستخدم الطائرات لقصف أهداف في منطقة السويداء (الدرزية) راح ضحيّتها الكثير من المدنيين. كما قام بإرسال الجيش إلى الجبل للتنكيل بأهله وقد قام الجيش بكثير من الجرائم ضدّ أهل الجبل. فقام الدروز بمحاصرة الجيش وأسره بعض جنوده ولكن تمّ إطلاق سراح الجنود. وقد قال سلطان الأطرش عند إطلاق سراحهم "إنّهم أولادنا" وكان تبريره لذلك هو اكتشاف كميّات كبرى من الأسلحة كان يشرف عليها نوري السعيد ورجال المخابرات البريطانية في المنطقة، في إطار التحضير للحلف البريطاني - الأمريكي المعروف بحلف بغداد. وبرز عنف الشيشكلي في قمع ثورة للدروز (١٩٥٤). وقد تسبّبت الإجراءات الدموية التي اتّخذها أديب الشيشكلي ضدّ المعارضة وخصوصًا ضدّ الدروز بتحالف واسع ضدّه فضّل بعده الاستقالة على الاستمرار في المواجهة. واللافت للانتباه هنا، أنّ واحدًا من ضبّاط الشيشكلي الكبار، كان الزعيم شوكت شقير وهو درزي، له قول مشهور "أعدائي كالأفعى رأسها في جبل الدروز وبطنها في حمص وتمتدّ إلى حلب..." مشيرًا إلى أنّ الأرقام من مصادر أعداء الرئيس أديب الشيشكلي، التي تقول أنّ هناك "٦٠٠ قتيلاً وقعوا

إثر أحداث جبل العرب"، مبالغ فيها ومن الصعب "حصرها لأنّه لم تخرج أيّة أرقام رسمية عمّا يسمّى بمجزرة الشيشكلي".

- رئيس الجمهورية

بسبب أزمة سياسية داخلية، استقال رئيس الدولة هاشم الأتاسي في ٢ كانون الأوّل ١٩٥١، وفي اليوم الثاني نصّب أديب الشيشكلي الزعيم فوزي سلو (من أصلٍ كردي)، رئيسًا للدولة، وبقي هذا الرئيس شكليًّا لغاية أن نصّب الشيشكلي نفسه رئيسًا في ١٠ آب ١٩٥٣ بموجب "الاستفتاء"!! ونشر دستورًا جديدًا. بعد أن وضع دستورًا جديدًا للبلاد، انتُخب رئيسًا للجمهورية طبقًا لأحكام هذا الدستور وبدأت المعارضة في دمشق بإلقاء المتفجّرات، وأُعلن العصيان في جبل الدروز، فقاومه أديب الشيشكلي بالدبّابات والطائرات، فزاد من النقمة على النظام، ثمَّ تنادى السياسيّون من الأحزاب والهيئات إلى عقد مؤتمر في حمص لعقد (ميثاق وطني) فيما بينهم قرّر (الدعوة إلى الديمقراطية والحرّيات العامّة، وشجب الحكم الفردي والنظام البوليسي)، ووجّهوا إنذارًا إلى الشيشكلي لإعادة الأوضاع الدستورية والإفراج عن المعتقلين السياسيين، ووقف الحرب الأهليّة في جبل العرب. وكان ردّ العقيد على الانذار باعتقال كلّ من وقع عليه، واعتقاله كبار الساسة السوريين، وشهدت البلاد حالة من الاضطراب والمظاهرات الطلاّبية، قاومها رجال الأمن بالعنف والقنابل المسيّلة للدموع، وعُطّلت الدراسة في المدارس، وعمّت المظاهرات المدن

السورية وهي تنادي بسقوط الديكتاتورية وإلغاء البرلمان، وعودة الحياة الدستورية إلى البلاد. فكان التمهيد الشعبي لإسقاط الشيشكلي.

- نهايته

اغتيل الشيشكلي في البرازيل عام ١٩٦٤ على يد شاب درزي هو نوّاف غزالة في شارع ببلدة سيريس في البرازيل، أطلق عليه النار فقتله انتقامًا من ممارساته العسكرية ضدّ الدروز في منطقة جبل العرب (السويداء).



مأمون الكزبري



مأمون الكزبري (١٩١٤ – ١٩٩٨) سياسي سوري من قادة الانقلاب الانفصالي عن الجمهورية العربية المتّحدة. ترأّس الجمهورية من (٢٩ سبتمبر – ٢٠ نوفمبر ١٩٦١). ينحدر من عائلة دمشقية عريقة، درس القانون الدولي في جامعة ليون وأصبح محاميًا وأستاذًا في جامعة دمشق.

دخل مأمون الكزبري البرلمان السوري كنائب مستقلّ في عام ١٩٥٣، تحالف مع الرجل القوي، العسكري أديب الشيشكلي الذي عيّنه متحدّثًا بأسم البرلمان السوري في نفس العام.



جمال عبد الناصر



انتُخب الرئيس جمال عبد الناصر في ٢٤ يونيو ١٩٥٦ رئيسًا للجمهورية بالاستفتاء الشعبي وفقًا لدستور ١٦ يناير ١٩٥٦ - أوّل دستور للثورة.



ناظم القدسي



ناظم القدسي (١٩٠٥ ـ ١٩٩٨) أحد سياسيي سوريا وُلد عام ١٩٠٥ في مدينة حلب ودرس الحقوق في دمشق، ثمَّ في الجامعة الأمريكية في بيروت، ثمَّ في جامعة جينيف. كان من مؤسّسي حزب الشعب في سوريا. أصبح رئيسًا للجمهورية السورية في حكومة الانفصال (١٤ ديسمبر ١٩٦١ـ ٨ مارس ١٩٦٣).

ـ الحياة السياسية

عام ١٩٣٥ انضمَ ناظم القدسي إلى الكتلة الوطنية، الحزب الاستقلالي المناوئ للانتداب الفرنسي، والذي كان حركة سياسية تهدف للتخلّص من السيطرة الفرنسية عبر الحوار السياسي بدلاً من المقاومة المسلّحة. اختلف فيما بعد مع قيادة الكتلة الوطنية التي فشلت في منع ضمّ لواء إسكندرون إلى تركيا عام ١٩٣٩، وترك على أثرها الكتلة. بعد ذلك قرّر أن يشكّل في حلب تحالفًا من المفكّرين حول شخصية المحامي المشهور رشدي الكيخيا الذي وفّر الحماية لرؤياه السياسية. تمَّ ترشيح كليهما بسهولة للبرلمان في انتخابات ١٩٤٣. وحيث أنَّ المعارضة كانت شديدة لتسمية شكري القوتلي ـ من الكتلة الوطنية ـ رئيسًا للجمهورية، قام القوتلي بتعيين ناظم القدسي كأوّل سفير لسوريا لدى الولايات المتّحدة

الأمريكية، حيث قام ببناء السفارة السورية في واشنطن من الصفر، وقدم اعتماده أمام فرانكلين روزفلت في ١٩ مارس (آذار) ١٩٤٥.

في عام ١٩٤٧ قام ناظم القدسي مع الكيخيا بتأسيس حزب الشعب، والذي كان أقوى معارضة في وجه الحزب الوطني، سابقًا الكتلة الوطنية، المخلص دائمًا للقوتلي. كان مؤسّسو حزب الشعب بشكل أساسي من أعيان حلب، والذين كانوا موالين للوحدة مع الهاشميين في العراق والتحوّل الديمقراطي وتطوير العلاقات مع الغرب. كانت العائلة المالكة في العراق تدعم هذا الحزب. فاز ناظم القدسي في انتخابات ١٩٤٣، ١٩٤٧، ١٩٤٩ و١٩٦٢ مرشّحًا عن حزبه، وصوّت ضدّ تسمية شكري القوتلي رئيسًا للجمهورية، ولكن القوتلي مدعومًا بالحزب الوطني أعيد تعيينه. بعد الإطاحة بحكومة القوتلي بانقلاب عسكري في ٢٩ مارس (آذار) ١٩٤٩، طلب الرئيس الجديد حسني الزعيم من ناظم القدسي تشكيل حكومة، ولكنّ الأخير رفض نتيجة الأسلوب اللادستوري الذي ارتقى به الزعيم السلطة، فقام حسني الزعيم بتوقيفه وإغلاق مكاتب حزب الشعب. أُطلق سراح الزعيم بعدها بفترة وجيزة، ووُضع تحت الإقامة الجبرية في منزله بحلب. انتقد القدسي بشدّة حسني الزعيم، خاصّة عندما أراد الأخير إغلاق الحدود مع الأردن والعراق وأراد شنّ الحرب عليهما متّهمًا إيّاهما بالعمالة للمملكة المتّحدة. في ١٤ أغسطس (آب) ١٩٤٩ ساند ناظم القدسي انقلابًا بقيادة سامي الحنّاوي، الصديق القديم لحزب الشعب وحليف العائلة الهاشمية في بغداد، وتمَّ إعدام

الزعيم. أسّس الحنّاوي لجنة سياسية لإدارة البلاد في ظلّ غياب حكومة نظامية وعُيّن القدسي على رأسها. قام القدسي بسنّ دستور جديد وأصبح وزير الخارجية في أوّل حكومة بعد انقلاب الزعيم كان رئيسها هاشم الأتاسي، كما أصبح رشدي الكيخيا وزيرًا للداخلية وتمّ توزيع بقيّة المناصب على أعضاء حزب الشعب. قام القدسي بإجراء محادثات مع ولي عهد العرش العراقي الأمير عبد الله عارضًا إقامة وحدة فورية بين سوريا والعراق، وقام بعدّة رحلات لبغداد لهذا الغرض. لقد صاغ اتّفاقية تدعو لوحدة فدرالية، تحافظ على حكومتين مستقلّتين في دمشق وبغداد، بينما تجمّع الشؤون العسكرية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والسياسية للبلدين، كما ذهب للقاهرة وعرض برامج مماثلة في اجتماع جامعة الدول العربية في ١ يناير (كانون الثاني) ١٩٥١.

- الجمهورية العربية المتّحدة

للتسريع في محادثات الوحدة، كلّف الأتاسي المنتخب حديثًا ناظم القدسي بتشكيل حكومة في ديسمبر (كانون أوّل) ١٩٤٩. صوّت العسكريّون ضدّ حكومته واستقال بعد خمسة أيّام. كانت حجّته أنّ الحكومة لا تحتوي على أيّ ضابط وأنّ أعضاءها معارضون لتدخّل العسكريين في السياسة. في ٤ يونيو (حزيران) ألّف ناظم القدسي حكومة جديدة أقلّ تطرّفًا وأمّن موافقة المعارضة بتعيين فوزي سلو وزيرًا للدفاع. كان سلو اليد اليمنى لأديب الشيشكلي. بقيت الحكومة عشرة أشهر لم تستطع خلالها المضي بعيدًا بمسألة الوحدة. استقال القدسي في ٢٧

مارس (آذار) ١٩٥١. في ١ أكتوبر (تشرين الأوّل) انتُخب ناطقًا بأسم البرلمان. في ٢٨ نوفمبر (تشرين الثاني) استولى أديب الشيشكلي على السلطة وأوقف كلّ قيادات حزب الشعب، متّهمًا إيّاها بالتآمر على النظام الجمهوري في سوريا ومحاولة استبداله بنظام ملكي عميل لبريطانيا. عُيّن فوزي سلو رئيسًا مؤقّتًا للجمهورية وأرسل ناظم القدسي إلى سجن المزّة. أُطلق سراحه في يناير (كانون الثاني) ١٩٥٢ ولكن أُبقي تحت الإقامة الجبرية. عمل سرًا وأيّد انقلابًا عسكريًّا أطاح بالشيشكلي في فبراير (شباط) ١٩٥٤.

في أكتوبر (تشرين الأوّل) ١٩٥٤ أصبح نائبًا في أوّل برلمان بعد فترة حكم الشيشكلي، انتُخب نائبًا بأسم البرلمان. حاول أن يستعيد أمجاده السياسية ولكن بذلك الوقت كان حزب الشعب قد فقد كثيرًا من شعبيّته، ولم يبقَ إلاّ القليل من السوريين الراغبين بالوحدة مع العراق. بدلاً من ذلك، توجّهت الأنظار للوحدة مع مصر تحت زعامة الرئيس الشاب وذو الهيبة جمال عبد الناصر، وبدون جدوى، حاول ناظم القدسي مقاومة تأثير عبد الناصر، إذ دافع عن أهمّية التحالف مع المملكة المتّحدة والولايات المتّحدة في حين كان معظم السوريين يتطلّعون نحو الاتّحاد السوفياتي. نادى بانضمام سوريا إلى حلف بغداد، فاتّهمته جريدة ناصرية بالعمالة. في ١٢ أكتوبر (تشرين الأوّل) ١٩٥٧ استقال من منصبه وحلّ محلّه الاشتراكي أكرم الحوراني من أنصار عبد الناصر. صوّت ضدّ

الوحدة مع مصر. وعندما تمّ الاندماج لتشكيل الجمهورية العربية المتّحدة استقال ناظم القدسي من العمل السياسي وعاد إلى مدينة حلب.



لؤي الأتاسي



لؤي الأتاسي (١٩٢٦م – ٢٠٠٣م) رئيس سوري حكم البلاد ما بين ٢٣ مارس (آذار) ١٩٦٣ و٢٧ يوليو (تمّوز) ١٩٦٣م.

وُلد في حمص عام ١٩٢٦م وتخرّج من الكلّية الحربية فيها عام ١٩٤٨، تابع دراساته في كليّة أركان الحرب العربية، ارتقى المناصب العسكرية حتَّى رتبة اللواء ثمَّ الفريق.

تولّى مهامّ عسكرية عدّة وكان من أنصار الوحدة العربية بين سوريا ومصر، وبعد الانفصال كان لؤي الأتاسي مرتبطًا بمنفّذي انقلاب الثامن من آذار، فقرّر المجلس الوطني لقيادة الثورة ترقية العميد الأتاسي إلى فريق وتعيينه قائدًا عامًّا للجيش والقوّات المسلّحة، وفي ٢٣ مارس (آذار) ١٩٦٣ تولّى منصب رئيس الجمهورية حتَّى تقديمه استقالته إثر محاولة انقلاب فاشلة، توفّي لؤي الأتاسي في صباح ٢٩ رمضان المبارك عام ١٤٢٤ هجري الموافق ١١ نوفمبر (تشرين الثاني) ٢٠٠٣م.



أمين الحافظ

محمَّد أمين الحافظ ولد عام ١٩٢١ في حلب، رئيس سوريا بين يوليو ١٩٦٣ وفبراير ١٩٦٦. شغل منصب وزير الداخلية بعد تسلّم حزب البعث الحكم في مارس ١٩٦٣ وذلك قبل أن يتسلّم رئاسة الجمهورية. شهد عهده توجهًا اشتراكيًّا للاقتصاد. أطيح به بانقلاب قاده "صلاح جديد" وأُلقي القبض عليه قبل أن يُفرج عنه بعد حرب ١٩٦٧. عاش بعدها في المنفى في العراق، عاد إلى سوريا في نوفمبر ٢٠٠٣ وذلك بعد غزو العراق.

اشتُهر بالقسوة في معاملة معارضيه حتّى أنّ الناس كانوا يصفونه بالعبارة الشهيرة التالية: "أبو عبدو السفّاح، نصف الناس في المزّة ونصفهم في الدحداح". يعيش أمين الحافظ الآن في حلب.

* * *

نور الدين الأتاسي



نور الدين الأتاسي (١٩٢٩ - ٢ ديسمبر ١٩٩٢)، ترأس سوريا بين ٢٥ فبراير ١٩٦٦ و١٨ نوفمبر ١٩٧٠. ينتمي لأسرة من مدينة حمص، درس الطبّ في جامعة دمشق وتخرّج منها في العام ١٩٥٥. انتمى منذ شبابه إلى حزب البعث وكان على رأس تنظيم الحزب في جامعة دمشق خلال الخمسينات. دخل إلى السجن في العام ١٩٥٢ إبّان فترة حكم العقيد أديب الشيشكلي حيث أمضى فيه عامًا كاملاً، ثمَّ أصبح نائبًا لرئيس الوزراء عام ١٩٦٤، ثمَّ عضوًا في مجلس رئاسة الدولة عام ١٩٦٥.

أصبح رئيسًا للدولة وانتُخب أمينًا عامًا لحزب البعث بعد انقلاب فبراير ١٩٦٦ الذي أطاح بالرئيس أمين الحافظ. كانت سلطته محدودة، إذ كانت السلطة الفعلية في يد مساعد الأمين العام لحزب البعث صلاح جديد. وتمَّ في عهده توقيع اتّفاق إنشاء سدّ الفرات مع الحكومة السوفياتية وبوشر في تنفيذه في ذلك العهد أيضًا. خلال فترة حكمه خسرت سوريا مع مصر والأردن حرب الـ١٩٦٧، وتمَّ احتلال الجولان، في الوقت الذي رفض وزير الدفاع حافظ الأسد تحمّل مسؤوليّة هذه الهزيمة. نادى بعد الحرب بإقامة جبهة وطنية واسعة وبالانفتاح على بقيّة القوى السياسية. لكنّه دخل هو والأمين العام المساعد صلاح جديد في خلاف مع وزير

الدفاع آنذاك حافظ الأسد، وقد بلغ الخلاف أوجه أثناء أحداث أيلول الأسود في الأردن، وقد أرسل نور الدين الأتاسي قوّات سورية لمساندة الفلسطينيين في ما يتعرّضون له في الأردن وحصل خلاف حول إرسال هذه القوّات.

استقال من كافّة مناصبه في شهر تشرين الأوّل من العام ١٩٧٠ احتجاجًا على تدخّل الجيش في السياسة، وعلى ممارسات رفعت الأسد شقيق وزير الدفاع حافظ الأسد، وعلى إثر هذه الاستقالة فرغت المناصب الثلاثة الرئيسية في الدولة، وتمّ توجيه الدعوة لعقد المؤتمر العاشر الاستثنائي للحزب، الذي قرّر فصل كلّ من حافظ الأسد ورئيس الأركان مصطفى طلاس من مناصبهم، وعلى الأثر قام الأخير بانقلاب عسكري سمّي بالحركة التصحيحية في ١٦ نوفمبر ١٩٧٠ أزاحه فيه مع جديد عن منصبهما ووضعهما في سجن المزّة العسكري.

أمضى الأتاسي ٢٢ عامًا في السجن في زنزانة ضيّقة ومن دون محاكمة، وأصيب في النهاية بمرض السرطان، ولم تقدّم له السلطة العلاج المناسب، وأدخل إلى مشفى تشرين العسكري لمدّة أربعة أشهر قبل أن يطلق سراحه، بعد أن تفشّى المرض في جسده، ولم يعد هناك من أمل في شفائه. وسافر بعد إطلاق سراحه فورًا للعلاج في باريس ولكنّ المرض لم يسعفه وتوفّي بعد أسبوع من وصوله في ٢ ديسمبر ١٩٩٢، ودُفن في مدينته حمص.

أحمد الخطيب



أحمد الخطيب (وُلد في قرية نمر في محافظة درعا ١٩٣٣) هو سياسي، عُيّن رئيسًا لسوريا قام على إثرها بإزاحة الرئيس نور الدين الأتاسي. كان الخطيب عضوًا في الحزب الحاكم، واستمرّ كرئيس من ١٨ نوفمبر ١٩٧٠ إلى ٢٢ فبراير ١٩٧١.



ثورة الثامن من آذار

ثورة الثامن من آذار، وهي انقلاب عسكري جرى في سوريا بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي في ٨ مارس (آذار) ١٩٦٣ للإطاحة بما يُطلق عليه حكومة الانفصال التي وصلت إلى السلطة بعد الانتخابات التي تلت الانفصال بين سوريا ومصر. وقد أصبح من ذلك الوقت يومًا تجري فيه الاحتفالات الرسمية في سوريا باعتباره "ثورة العامل والفلاّح".

أُجريت الانتخابات وقام البعثيّون بتشكيل مجلس لقيادة الثورة اشتمل على مجموعة من الأعضاء العسكريين والمدنيين. قامت اللجنة العسكرية في ٢٣ فبراير (شباط) ١٩٦٦ بقيادة الضابط صلاح جديد ومشاركة الضابط حافظ الأسد، بالانقلاب على القيادة القومية لحزب البعث من بينهم مؤسّس الحزب ميشال عفلق ورئيس الجمهورية أمين الحافظ، وقد تخلّى بعدها الضابط صلاح جديد عن رتبته العسكرية ليتفرّغ لحزب البعث وحكم سوريا، بينما تولّى الضابط حافظ الأسد وزارة الدفاع.

في عام ١٩٧١ قام الضابط حافظ الأسد بالحركة التصحيحية وقاد انقلابًا داخليًّا أزاح من خلاله الرئيس نور الدين الأتاسي وعيّن مكانه الرئيس أحمد الخطيب لفترة انتقالية، وبعدها بأربعة أشهر تمَّ إجراء الانتخابات الدستورية وتمَّ انتخاب حافظ الأسد بموجبها رئيسًا للجمهورية.

* * *

الحركة التصحيحية

الحركة التصحيحية هي حركة تغييرية انقلابية في سوريا قام بها وزير الدفاع الضابط حافظ الأسد ورئيس الأركان الضابط مصطفى طلاس في ١٦ نوفمبر ١٩٧٠ وعيّن على إثرها سيّد أحمد الحسن الخطيب رئيسًا للجمهورية وكان رئيسًا صوريًا مؤقّتًا، وصل بعدها الضابط حافظ الأسد إلى سدّة الحكم في سوريا حتّى وفاته.

كانت الحركة التصحيحية بداية عهد جديد في سوريا فقد أدخلت إصلاحات إلى حزب البعث العربي الاشتراكي، وأنهت الصراعات الداخلية، ورسّخت سلطة الدولة، وأنهت زمن الانقلابات.

وفي أوائل عام ١٩٧١ انتُخب حافظ الأسد رئيسًا للجمهورية بأغلبية شعبية ساحقة، وبدأ العمل لإصلاح الأوضاع السياسية في سوريا وتوطيد سلطته. في عام ١٩٧٢ تمَّ توحيد الأحزاب الرئيسية في الجبهة الوطنية التقدّمية، كما تمَّ وضع دستور جديد للبلاد في مارس ١٩٧٣.

وتطلق السلطات في سوريا على كلّ ما تحقّقه من إنجازات أو تبنيه من منشآت صفة منجَزٌ من منجزات الحركة التصحيحية، فسدّ الفرات من منجزات الحركة، وكذلك حرب تشرين التحريرية، كما تحتفل سوريا كلّ عام بذكرى الحركة التصحيحية ويتمّ الإعلان بمناسبتها عن بعض المشاريع ووضع أحجار أساس مشاريع أخرى.

حافظ الأسد

حافظ سليمان الأسد (٦ أكتوبر ١٩٣٠–١٠ يونيو ٢٠٠٠)، رئيس الجمهورية العربية السورية بين أعوام ١٩٧٠–٢٠٠٠.

– حياته

وُلد في مدينة القرداحة بمحافظة اللاذقية لأسرة من الطائفة العلوية كانت تعمل في فلاحة الأرض. أتمَّ تعليمه الأساسي في مدرسة قريته التي أنشأها الفرنسيون عندما أدخلوا التعليم إلى القرى النائية وكان أوّل من نال تعليمًا رسميًّا في عائلته، ثمَّ انتقل إلى مدينة اللاذقية حيث أتمَّ تعليمه الثانوي ونال شهادة الفرع العلمي، لكنّه لم يتمكّن من دخول كليّة الطبّ في الجامعة اليسوعية ببيروت، كما كان ينتمي لتردّي أوضاعه المادّية والاجتماعية إلى الأكاديمية العسكرية في حمص عام ١٩٥٢ ومن ثمَّ التحق بالكلّية الجوّية ليتخرّج منها برتبة ملازم طيّار عام ١٩٥٥ ليشارك بعدها ببطولة الألعاب الجوّية ويفوز بها.

التحق بحزب البعث عام ١٩٤٦ عندما شكّل رسميًّا أوّل فرع له في اللاذقية. كما اهتمّ بالتنظيمات الطلاّبية حيث كان رئيس فرع الاتّحاد الوطني للطلبة في محافظة اللاذقية، ثمَّ رئيسًا لاتّحاد الطلبة في سوريا.

بعد سقوط حكم أديب الشيشكلي واغتيال العقيد عدنان المالكي انحسم الصراع الدائر بين الحزب السوري القومي الاجتماعي وحزب البعث العربي الاشتراكي لصالح البعثيين ممّا سمح بزيادة نشاطهم وحصولهم على امتيازات، استفاد منها هو حيث اختير للذهاب إلى مصر للتدرّب على قيادة الطائرات النفّاثة، ومن ثمّ أُرسل إلى الاتّحاد السوفياتي ليتلقّى تدريبًا إضافيًا على الطيران الليلي بطائرات ميغ ١٥ وميغ ١٧ والتي كان قد تزوّد بها سلاح الجوّ السوري.

انتقل لدى قيام الوحدة بين سوريا ومصر مع سرب القتال الليلي التابع لسلاح الجوّ السوري للخدمة في القاهرة، وكان حينها برتبة نقيب. لم يتقبّل مع عدد من رفاقه قرار قيادة حزب البعث بحلّ الحزب عام ١٩٥٨ استجابة لشروط عبد الناصر لتحقيق الوحدة. فقاموا بتشكيل تنظيم سرّي عام ١٩٦٠ عُرف باللجنة العسكرية (هي التي حكمت سوريا فيما بعد) وكان لها دور بارز في الانقلابات التي حدثت في مطلع الستينات.

قام حزب البعث مع عدد من الأحزاب في سوريا بالتوقيع على وثيقة الانفصال عام ١٩٦١، وعلى أثر ذلك اعتُقل وعدد من رفاقه في اللجنة العسكرية في مصر لمدّة أربعٍ وأربعين يومًا، وأُطلق سراحهم بعد ذلك، وأُعيدوا إلى سوريا في إطار عمليّة تبادل مع ضبّاط مصريين كانوا قد احتُجزوا في سوريا. وأُبعد بعد عودته عن الجيش بموقفه الرافض للانفصال، وأُحيل إلى الخدمة المدنية في إحدى الوزارات.

بعد أن استولى حزب البعث على السلطة في انقلاب ٨ مارس ١٩٦٣ فيما عُرف بأسم ثورة الثامن من آذار، أُعيد إلى الخدمة من قِبَل صديقه ورفيقه في اللجنة العسكرية مدير إدارة شؤون الضبّاط أنذاك المقدّم صلاح جديد، ورُقّي بعدها في عام ١٩٦٤ من رتبة رائد إلى رتبة لواء دفعة واحدة، وعُين قائدًا للقوى الجوّية والدفاع الجوّي. وبدأت اللجنة العسكرية بتعزيز نفوذها وكانت مهمّته توسيع شبكة مؤيّدي وأنصار الحزب في القوّات المسلّحة.

وقامت اللجنة العسكرية في ٢٣ فبراير ١٩٦٦ بقيادة صلاح جديد ومشاركة منه بالانقلاب على القيادة القومية لحزب البعث والتي ضمّت أنذاك مؤسّس الحزب ميشال عفلق ورئيس الجمهورية أمين الحافظ ليتخلّى بعدها صلاح جديد عن رتبته العسكرية لإكمال السيطرة على حزب البعث وحكم سوريا بينما، تولّى هو وزارة الدفاع.

بدأت الخلافات بالظهور بينه وبين صلاح جديد بعد الهزيمة في حرب ١٩٦٧، حيث انتقد جديد أداء وزارة الدفاع السورية خلال الحرب، وخاصّة القرار بسحب الجيش وإعلان سقوط القنيطرة بيد الكيان الصهيوني، قبل أن يحدث ذلك فعليًّا، بالإضافة إلى تأخّر غير مفهوم لسلاح الجوّ السوري في دعم نظيره الأردني، ممّا أدّى لتحميله مسؤوليّة الهزيمة. وتفاقمت هذه الخلافات بعد موجة التسريحات التي أتبعت انقلاب ٨ مارس (آذار) ١٩٦٣ التي طالت الضبّاط الستّة من غير البعثيين.

وصلت الخلافات بينهما إلى أوجها خلال أحداث أيلول الأسود في الأردن عام ١٩٧٠ حيث أرسل صلاح جديد الجيش السوري لدعم الفلسطينيين، لكنّه امتنع عن تقديم التغطية الجوية للجيش وتسبّب في إفشال مهمّته. وعلى أثر ذلك قام صلاح جديد بعقد اجتماع للقيادة القطرية لحزب البعث والتي قرّرت بالإجماع إقالته مع رئيس الأركان مصطفى طلاس من منصبيهما. لكنّه لم ينصع للقرار وتمكّن بمساعدة من القطع الموالية له في الجيش من الانقلاب في ١٦ نوفمبر ١٩٧٠ فيما يُعرف بالحركة التصحيحية على صلاح جديد ورئيس الجمهورية نور الدين الأتاسي وسجنهما مع العديد من رفاقه.

- استلام الرئيس حافظ الأسد الحكم

تولّى منصب رئاسة مجلس الوزراء ووزير الدفاع في ٢١ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٠، ثمّ ما لبث أن حصل على صلاحيّات رئيس الجمهورية في ٢٢ فبراير (شباط) ١٩٧١ ليثبت في ١٢ مارس (آذار) ١٩٧١ رئيسًا للجمهورية العربية السورية لمدّة سبع سنوات بعد إجراء استفتاء شعبي ليكون بذلك أوّل رئيس في التاريخ السوري. وبعدها أعيد انتخابه في استفتاءات متتابعة في عام ١٩٧٨ و١٩٨٥ و١٩٢٢ و١٩٩٩. وتولّى الحكم مدعومًا بالجيش، ونال استحسان الجماهير المرهقة في بادئ الأمر نتيجة الإصلاحات التي قام بها وبناؤه للجيش السوري المدمّر وتحقيق النصر في حرب أكتوبر ١٩٧٣. لكنَّ ظروف السبعينيات القلقة في المنطقة لم توفّر نظامه ممّا خلق اضطرابات

داخلية عنيفة لسنوات. دخل في نزاع عنيف مع حركة الإخوان المسلمين السورية التي أعلنت "العصيان المدني" في سوريا ودعت لإسقاط النظام الحاكم في البلاد وإعادة الحياة البرلمانية وإجراء انتخابات نزيهة لإنهاء استفراد البعث بالسلطة. وتحوّل الصراع بين الحركة والنظام إلى صراع مسلّح بعد أن قام بتكليف الجيش للقضاء على العصيان الذي قام به الإخوان المسلمين. وسجّل حكمه ارتكاب الجيش فيه العديد من المجازر في حماه وحلب وجسر الشاغور في العام ١٩٨٢ راح ضحيّتها الآلاف من المدنيين.

زجّ نفسه بشكل فعلي في الحرب الأهلية اللبنانية بعد اجتياح إسرائيل للبنان مانعًا لحدوث قلاقل أكبر، وطبّق هناك سياسة لا غالب ولا مغلوب عن طريق حفظ توازن القوى بين كلّ الأطراف اللبنانية وذلك إلى أن حصل على تفويض في الجامعة العربية في مؤتمر الطائف لمساعدة الأطراف اللبنانية المتصالحة بالسيطرة على لبنان. ارتكب الجيش السوري العام ١٩٧٦ بمساندة قوّات اليمين اللبناني مجزرة مخيّم تلّ الزعتر بحقّ اللاجئين الفلسطينيين أودت بحياة ٣٠٠٠ لاجئ وكان وراء حرب المخيّمات التي وجّهت ضدّ منظّمة التحرير الفلسطينية بقيادة حركة أمل.

- الوضع الداخلي والخارجي أثناء حكم الأسد



حافظ الأسد في حرب تشرين

على الصعيد الداخلي مكّنته معارك عامَي ١٩٨٢ و١٩٨٤ من فرض سيطرته المطلقة وفرض الأحكام العرفية مطوّرًا نظامًا أمنيًّا مشابهًا لمعظم الأنظمة العربية بعد السبعينيّات. وقد استطاع هذا النظام الأمني إلغاء كلّ المعارضة وتصفية زعمائها حتّى في الخارج، ليحصل على سيطرة مطلقة وقمع كلّ مظاهر المجتمع المدني.

على الصعيد الخارجي استمرّ في رفضه معاهدة كامب دايفيد التي وُقّعت بين أنور السادات وإسرائيل، مناديًا بحلّ شامل للقضية الفلسطينية، إلى أن قامت منظّمة التحرير الفلسطينية بتوقيع اتّفاقية أوسلو ١٩٩٣ منفردة وهو الأمر الذي اعتبره خيانة. في عام ١٩٩٨ تمّت عدّة محاولات لإتمام اتّفاقية سلام بين سوريا وإسرائيل تحت إشراف

الراعي الأمريكي. لكن بسبب إصراره على استرداد كامل أرض الجولان التي احتُلّت في حرب ١٩٦٧ حال دون إتمام أيّ اتّفاق.

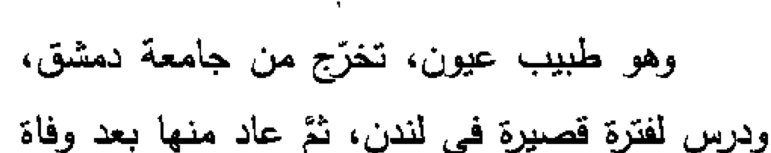
استمرّ في سدّة رئاسة سوريا حتّى وفاته في ١٠ يوليو ٢٠٠٠ إثر غيبوبة استمرّت يومين بسبب مرض سرطان الدم الذي كان يعاني منه منذ سنوات.



حافظ الأسد وأسرته

* * *

بشّار الأسد



بشّار حافظ الأسد (١١ سبتمبر ١٩٦٥)، رئيس الجمهورية العربية السورية، وابن الرئيس السوري السابق حافظ الأسد، استلم الرئاسة في عام ٢٠٠٠ بعد وفاة أبيه وبعد استفتاء عام.

وهو طبيب عيون، تخرّج من جامعة دمشق، ودرس لفترة قصيرة في لندن، ثمّ عاد منها بعد وفاة أخيه باسل الأسد في حادث سيّارة بدمشق عام ١٩٩٤. تسلّم مقاليد الحكم في سوريا عام ٢٠٠٠ بعد وفاة حافظ الأسد، حينما عدّل مجلس الشعب السوري الدستور بخفضه الحدّ الأدنى لعمر الرئيس إلى ٣٤ عامًا لتمكينه كقيادي في حزب البعث العربي الاشتراكي من عرض ترشيحه على مجلس الشعب لمنصب الرئاسة.

- نبذة عن حياته

وُلد بشّار حافظ الأسد في اليوم الحادي عشر من شهر أيلول من عام ١٩٦٥ في مدينة دمشق، وأنجز في مدارسها دراسته الابتدائية والثّانوية، ومن ثمّ درس الطبّ في جامعتها وتخرّج طبيبًا في عام ١٩٨٨. عمل بعدها في مشفى تشرين العسكري ثمّ سافر عام ١٩٩٢ إلى بريطانيا للتخصّص في طبّ العيون وعاد عام ١٩٩٤.



صورة الرئيس بشّار الأسد على حائط في دمشق القديمة
مكتوب عليها عبارة سوريا الله يحميها

انتُخب في عام ١٩٩٤ رئيسًا لمجلس إدارة الجمعية العلمية السورية للمعلوماتية التي تقود النشاط المعلوماتي في سوريا. يجيد إضافة إلى لغته الأمّ العربية والإنكليزية ويلمّ بالفرنسية والروسية.

انتسب إلى القوّات المسلّحة وتدرّج في سلك الخدمات الطبّية العسكرية حتّى وصل لرتبة عقيد، ثمَّ رقّي إلى رتبة فريق بشكل سريع جدًّا، متجاوزًا كلّ الرتب العسكرية في العاشر من حزيران ٢٠٠٠ بموجب مرسوم تشريعي، وذلك ليتمّ تمكينه من قادة الجيش، تمامًا كما تمّ تعديل فترة من الدستور تختصّ بالعمر ليتمّ تمكينه من تسلّم مقاليد الحكم، ثمَّ عيّنه الرئيس المؤقّت عبد الحليم خدّام قائدًا للجيش والقوّات المسلّحة في اليوم التالي.

انتُخب بعدها أمينًا قطريًّا (للقطر السوري، حسب المصطلحات المستخدمة) في المؤتمر القطري التاسع لحزب البعث العربي الاشتراكي. في ٢٧ يونيو (حزيران) ٢٠٠٠، انتُخب رئيسًا للجمهورية في ١٠ يوليو (تمّوز) ٢٠٠٠ عبر استفتاء شعبي. وتمَّ إعادة انتخابه لولاية رئاسية أخرى بتاريخ ٢٧ مايو (أيّار) ٢٠٠٧ تستمرّ سبع سنوات.

- حياته الأسرية

متزوّج من أسماء الأخرس ولديهما ثلاثة أبناء: حافظ، زين وكريم.

* * *

شخصيّات سورية كان لها التأثير الفكري
في سوريا وبعض الدول العربية

لا بدَّ بعد استعراض لرجالات سوريا ورؤسائها، من الوقوف وإلقاء الضوء على ما كان للمفكّرين وللعاملين إلى جانب هؤلاء الرؤساء في الحياة السياسية، من دورٍ فاعل في التأثير على الحياة العامّة، والسياسية خاصّة، في سوريا وبعض الدول العربية، من هؤلاء الأعلام:

١ـ الأمير شكيب أرسلان

٢ـ فارس الخوري

٣ـ يوسف العظمة

٤ـ ابراهيم هنانو

٥ـ إحسان الجابري

٦ـ صالح العلي

٧ـ عزّ الدين القسّام

٨ـ سلطان الأطرش

٩ـ زكي الأرسوزي

١٠ـ ميشال عفلق

١١ـ الأمير عادل أرسلان

١٢ـ أكرم الحوراني

١٣ـ جميل مردم بك

١٤ـ معروف الدواليبي

١٥ـ صلاح البيطار

١٦ـ عدنان المالكي

١٧ـ سعد الله الجابري

١٨ـ حسن الأطرش

١٩ـ عبد الحميد السرّاج

٢٠ـ فؤاد سليم



الأمير شكيب أرسلان

(أمير البيان)



الأمير شكيب حمّود أرسلان (٢٥ ديسمبر (كانون أوّل) ١٨٦٩ – ٩ ديسمبر ١٩٤٦)، كاتب وأديب ومفكّر عربي لبناني اشتهر بلقب أمير البيان بسبب كونه أديبًا وشاعرًا بالإضافة إلى كونه سياسيًّا. كان يجيد اللغة العربية والتركية والفرنسية والألمانية. التقى بالعديد من المفكّرين والأدباء خلال سفراته العديدة مثل جمال الدين الأفغاني، وأحمد شوقي ومحمَّد عبدو ورشيد رضا. بعد عودته إلى لبنان، قام برحلاته المشهورة من لوزان بسويسرا إلى نابولي في إيطاليا إلى بور سعيد في مصر واجتاز قناة السويس والبحرالأحمر إلى جدّة ثمَّ مكّة. وسجّل في هذه الرحلة كلّ ما رآه وقابله. من أشهر كتبه "الحلل السندسيّة"، "لماذا تأخّر المسلمون وتقدّم غيرهم"، و"الارتسمات اللّطاف"، و"تاريخ غزوات العرب" و"عروة الاتّحاد"، و"حاضر العالم الإسلامي" وغيرها. ولقد لُقّب بأمير البيان لغزارة كتاباته، ويُعتبر واحدًا من كبار المفكّرين ودعاة الوحدة الإسلامية والوحدة العربية.

وقد تأثّر بعدد كبير من أعلام عصره ممّن تتلمذ على أيديهم أو اتّصل بهم في مراحل متعدّدة من عمره، وأوّل أساتذته كان الشيخ عبد

الله البستاني الذي علّمه في "مدرسة الحكمة". كما اتّصل بالإمام محمَّد عبدو ومحمود سامي البارودي وعبد الله الفكري ومحمَّد رشيد رضا والشيخ ابراهيم اليازجي، وتعرّف الأمير شكيب إلى أحمد شوقي، واسماعيل صبري، وغيرهم من أعلام الفكر والأدب والشعر في عصره. كما تأثر بالسيِّد جمال الدين الأفغاني، تأثّرًا كبيرًا واقتدى به في منهجه الفكري وحياته السياسية، وكذلك تأثّر بعدد من المفكّرين والعلماء مثل أحمد فارس الشدياق الذي كان شديد الحماسة والتأييد للخلافة العثمانية والدولة العثمانية، وتأثّر أيضًا بالعالم الأمريكي د. "كرنليوس فان ديك" الذي كان يدرّس في الجامعة الأمريكية في بيروت، وكان دائم الإشادة به.

- محاولات المستعمرين للنيل منه

سعى المحتلّون إلى تشويه صورته أمام الجماهير، فاتّهمه المفوّض الفرنسي السامي المسيو "جوفنيل" بأنّه من أعوان جمال باشا السفّاح، وأنّه كان قائدًا لفرقة المتطوّعين تحت أمرته، وكان الأمير شكيب قد تولّى قيادة تلك الفرقة من المتطوّعين اللبنانيين لمقاومة الدولة التي احتلّت لبنان، وكان من الطبيعي أن يكون تحت أمرة جمال باشا باعتباره قائد الفيلق الرابع الذي تنتمي إليه فرقة الأمير شكيب، واستطاع الأمير شكيب أن يفنّد أكاذيبهم، ويفضح زيفهم وخداعهم.

كان الأمير شكيب أرسلان لا يثق بوعود الحلفاء للعرب، وكان يعتقد أنَّ الحلفاء لا يريدون الخير للعرب وإنّما يريدون القضاء على

الدولة العثمانية أولاً، ثمّ يقسّمون البلاد العربية بعد ذلك. وقد حذّر الأمير شكيب أرسلان قومه من استغلال الأجانب الدخلاء للشقاق بين العرب والترك.

ولكنّه حينما رأى الأتراك يتنكّرون للخلافة الإسلامية ويلغونها، ويتّجهون إلى العلمانية، ويقطعون ما بينهم وبين العروبة والإسلام من وشائج وصلات؛ اتّخذ الأمير شكيب موقفًا آخر من تركيا وحكّامها، وبدأ يدعو إلى الوحدة العربية؛ لأنّه وجد فيها السبيل إلى قوّة العرب وتماسكهم.

وعندما انتهت الحرب العالمية الأولى حدث ما حذّر منه الأمير شكيب أرسلان فقد برح الخفاء، وتجلّت حقيقة خداع الحلفاء للعرب، وظهرت حقيقة نواياهم وأطماعهم ضدّ العرب والمسلمين، خاصّة بعدما تنكّر الأتراك للخلافة الإسلامية، اتّجهوا اتّجاهًا علمانيًّا. وظلّ الأمير شكيب أرسلان مُطارَدًا من أكثر من دولة؛ فتركيا تطارده لاهتمامه بقضايا العرب، وحملته على تنكّر حكّامها للخلافة والإسلام. وإنجلترا وفرنسا تطاردانه لدفاعه عن شعوب الأمّة العربية ودعوته إلى التحرّر، وتزعّمه حملة الجهاد ضدّ المستعمرين، كما ظلّ مُبعدًا لفترة طويلة من حياته عن كثير من أقطار الوطن العربي، لا يُسمح له بدخولها، خاصّة مصر وسوريا اللتين كانتا تشكّلان قلب الأمّة العربية.

ـ الأمير المفكّر والأديب والسياسي

عاش الأمير شكيب أرسلان نحو ثمانين عامًا، قضى منها نحو ستّين عامًا في القراءة والكتابة والخطابة والتأليف والنظم، وكتب في عشرات الدوريّات من المجلاّت والصحف في مختلف أنحاء الوطن العربي والإسلامي. وبلغت بحوثه ومقالاته المئات، فضلاً عن آلاف الرسائل ومئات الخُطَب، كما نظمِ عشرات القصائد في مختلف المناسبات. وقد اتّسم أسلوبه بالفصاحة وقوّة البيان والتمكّن من الأداة اللغوية، مع دقّة التعبير والبراعة في التصوير حتَّى أُطلق عليه "أمير البيان." أصدر عددًا كبيرًا من الكتب ما بين تأليف وشرح وتحقيق. وبعد أن انتهت الحرب العالمية الثانية سنة (١٣٦٥هـ/١٩٤٥م) وتحرّرت سوريا ولبنان، عاد الأمير شكيب أرسلان إلى وطنه في أواخر سنة (١٣٦٦هـ/١٩٤٦م). فاستُقبل استقبالاً حافلاً. لكن حالته الصحّية قد ضعفت بعد تلك السنوات الطوال من الكفاح الشاقّ، والاغتراب المضني، وكثرة الأمراض، فما لبث أن توفّي في ٩ ديسمبر ١٩٤٦ بعد حياة حافلة بالعناء والكفاح.



فارس الخوري

فارس يعقوب الخوري (٢٠ نوفمبر ١٨٧٣ ـ ٢ ديسمبر ١٩٦٢)، سياسي ومفكّر ووطني سوري مسيحي بروتستانتي من قرية الكفير التابعة حاليًا لقضاء حاصبيا في لبنان.

تلقّى فارس الخوري علومه الابتدائية في مدرسة القرية، ثمَّ بالمدرسة الأمريكية في صيدا، ولمّا كان متفوّقًا على أقرانه فقد عيّنه المرسلون الأمريكان معلّمًا في مدرستهم الابتدائية في زحلة.

دخل فارس الكلّية الإنجيلية السورية، والتي سُمّيت بعد ذلك الجامعة الأمريكية في بيروت. ولكن المرسلين الأمريكيين لم يمكّنوه من الاستمرار، فقد عيّنوه من جديد في مدرستهم بقرية مجدل شمس عام ١٨٩٢، ثمَّ نقلوه الى صيدا، وفي عام ١٨٩٤ عاد للدراسة في الجامعة الأمريكية وحصل على شهادة بكالوريوس في العلوم عام ١٨٩٧.

دُعي فارس الخوري لإدارة المدارس الأرثونكسية في دمشق، ولإعطاء بعض الدروس في مدرسة تجهيز عنبر (مكتب عنبر). ثمّ عُيّن ترجمانًا للقنصلية البريطانية (١٩٠٢ ـ ١٩٠٨) حيث أكسبته وظيفته الجديدة نوعًا من الحماية ضدّ استبداد الحكم العثماني.

نظم فارس الخوري الشعر وأُولع به، فكان شعره وطنيًّا تناول فيه القضايا العربية، وكذلك كان أديبًا حيث ملأت كتاباته ومنظوماته

الشعرية والصحف السورية والمصرية. إلا أنَّ انشغاله في علوم السياسة والاقتصاد والعمل الوطني والقومي والعلمي جعله ينصرف عن الشعر.

انتُخب المناضل العربي فارس الخوري سنة ١٩١٤ نائبًا عن دمشق في "مجلس المبعوثان" العثماني. وفي سنة ١٩١٦ سجنه جمال باشا بتهمة التآمر على الدولة العثمانية، لكنّه بُرّىء ونُفي إلى إسطنبول، حيث مارس التجارة هناك.

عاد فارس الخوري إلى دمشق بعد انفصال سوريا عن الحكم العثماني. وفي عام ١٩١٩ عُين عضوًا في مجلس الشورى الذي اقترح على الشريف فيصل تأسيسه، كما سعى فارس مع عدد من رفاقه إلى تأسيس معهد الحقوق العربي، وكان أحد أساتذته، كما اشترك في تأسيس المجمع العلمي العربي بدمشق.

تولّى فارس الخوري وزارة المالية في الوزارات الثلاث التي تألّفت خلال عهد فيصل الأوّل في سوريا. وعلى إثر احتلال الفرنسيين لسوريا عام ١٩٢٠ انصرف فارس الخوري إلى العمل الحرّ كمحامٍ. ثمَّ انتُخب نقيبًا للمحامين واستمرّ خمس سنوات متتاليات، كما عُيّن حقوقيًّا لبلدية دمشق، وعُيّن أستاذًا في معهد الحقوق العربي لتدريس مادّتَي أصول المالية وأصول المحاكمات الحقوقية. لفارس الخوري ثلاث مؤلّفات في القانون هي: (أصول المحاكمات الحقوقية) و(موجز في علم المالية) و(صكّ الجزاء).

أسّس المحامي فارس الخوري والدكتور عبد الرحمن الشهبندر وعدد من الوطنيين في سوريا حزبًا عربيًا ردًّا على استبداد السلطة الفرنسية... ولمّا نشأت الثورة الفرنسية عام ١٩٢٥ اعتُقل فارس الخوري وآخرون ونُفوا إلى معتقل أرواد.

في عام ١٩٢٦ نفى الفرنسيون فارس الخوري إلى خارج سوريا بسبب استقالته من منصب وزير المعارف في حكومة أحمد نامي بك احتجاجًا على سوء نوايا الفرنسيين.

شارك فارس الخوري وعدد من الوطنيين في تأسيس الكتلة الوطنية وكان نائبًا لرئيسها يضع القرارات ويكتب منشوراتها، وهذه الكتلة قادت حركة المعارضة والمقاومة ضدّ الفرنسيين، وكانت من أكثر الهيئات السياسية توفيقًا وفوزًا مدّة تقارب العشرين عامًا. انتُخب المحامي المناضل فارس الخوري رئيسًا للمجلس النيابي السوري عام ١٩٣٦ ومرّة أخرى عام ١٩٤٣، كما تولّى رئاسة مجلس الوزراء السوري ووزيرًا للمعارف والداخلية في تشرين أوّل عام ١٩٤٤. وقد أعاد تشكيل وزارته ثلاث مرّات في ظلّ تولّي شكري القوتلي رئاسة الجمهورية السورية.

في عام ١٩٤٥ ترأّس فارس الخوري الوفد السوري الذي كُلّف ببحث قضيّة جلاء الفرنسيين عن سوريا أمام منظّمة الأمم المتّحدة، التي تمّ تأسيسها في العام نفسه، حيث اشترك الرئيس فارس الخوري بتوقيع ميثاق الأمم المتّحدة نيابة عن سوريا عضو مؤسّس.

انتُخب فارس الخوري عضوًا في مجلس الأمن الدولي (١٩٤٧–١٩٤٨)، كما أصبح رئيسًا له في آب ١٩٤٧، إضافة إلى اهتمامه بوطنه سوريا اهتمّ بالقضيّة الفلسطينية اهتمامًا خاصًّا، وأكّد رفض الدول العربية إقامة دولة لليهود فيها. كما شرح القضيّة المصرية وطالب بجلاء الإنجليز عن أراضيها، وأكّد على السلام العالمي وطالب بإنهاء تنافس الدول الكبرى.

عاد الرئيس فارس الخوري إلى بلاده بعد انتهاء عضويّة سوريا في مجلس الأمن الدولي، وكان قد انتُخب رئيسًا للمجلس النيابي لعام ١٩٤٧ عندما كان يمثّل سوريا في مجلس الأمن. ولكن عندما حُلّ هذا المجلس على أثر الانقلاب الذي قام به الضابط حسني الزعيم، ثابر فارس الخوري على عمله في الحقل الدولي، وترأّس الوفود السورية إلى هيئة الأمم، متابعًا نضاله ودفاعه عن القضايا العربية.

في عام ١٩٥٤ طلب رئيس الجمهورية هاشم الأتاسي من المحامي فارس الخوري تشكيل حكومة سورية ففعل، لكنّها لم تستمرّ سوى أشهر معدودة، اعتكف فارس الخوري في منزله في دمشق. يذهب مرّة كلّ عام إلى جنيف ليشترك في جلسات لجنة القانون الدولي التي هو عضو فيها. وأقيمت الوحدة بين سوريا ومصر، ولم يكن للأستاذ فارس الخوري أيّ رأي بقيامها أو بانهيارها.

في ٢٢ شباط ١٩٦٠، أصيب الرئيس فارس الخوري بكسر في عمق فخده الأيسر بغرفة نومه، وعانى من آلام المرض الشديد في

مستشفى السادات في دمشق، في ذلك الحين مُنح جائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية من قِبَل الرئيس جمال عبد الناصر بناءً على توصية المجلس الأعلى للعلوم والفنون.

كانت وفاة الرئيس فارس الخوري مساء الثلاثاء ٢ كانون الثاني ١٩٦٢، في مستشفى السادات في دمشق.



يوسف العظمة



يوسف العظمة (١٣٠١هـ/١٨٨٤م - ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م)، قائد عسكري سوري استُشهد في مواجهة الجيش الفرنسي الذي احتلّ سوريا ولبنان حيث كان وزير الحربية للحكومة العربية في سوريا بقيادة الملك فيصل الأوّل.

- حياته

وُلد في حيّ الشاغور بدمشق وترعرع وتلقّى علومه الأولى في دمشق. أكمل دروسه في المدرسة الحربية في إسطنبول وتخرّج منها ضابطًا برتبة يوزباشي أركان حرب عام ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م. وتنقّل في الأعمال العسكرية بين دمشق والأستانة. وأُرسل إلى ألمانيا للتمرّن عمليًّا على الفنون العسكرية، فمكث سنتين، وعاد إلى سوريا فعُيّن كاتبًا للمفوّضية العثمانية في مصر فترة من الزمن، وبعدها عاد إلى دمشق محافظًا على شعائر الإسلام. كان يتكلّم العربية والتركية والفرنسية والألمانية والإيطالية والإنكليزية. ولمّا نشبت الحرب العالمية، هرع إلى الجيش متطوّعًا وعُيّن رئيسًا لأركان حرب الفرقة العشرين ثمّ الخامسة والعشرين. وكان مقرّ هذه الفرقة في بلغاريا ثمّ في النمسا ثمّ في رومانيا. وعاد إلى إسطنبول فرافق أنور باشا (ناظر الحربية العثمانية) في رحلاته إلى الأناضول وسوريا والعراق. ثمّ عُيّن رئيسًا لأركان حرب الجيش

العثماني المرابط في قفقاسيا، ثمَّ عُيِّن رئيسًا فرنسيًّا لأركان حرب الجيش الأوّل بإسطنبول.

ولمّا وضعت الحرب أوزارها، عاد إلى دمشق واختاره الأمير فيصل مرافقًا له، قبل أن يصبح ملكًا، ثمَّ عيّنه معتمدًا عربيًّا في بيروت، وفرنسيًّا لأركان الحرب العامّة برتبة قائمقام، في سوريا. وُلي وزارة الحربية سنة ١٩٢٠ وأصبح وزيرًا للحربية السورية بدمشق، فنظّم جيشًا وطنيًّا سوريًّا يناهز عدده مئة ألف جندي.



الملك فيصل يسلّم العلم للواء المشاة الأوّل بحضور وزير الحربية يوسف العظمة

- استشهاده

عندما بلغه أنَّ الفرنسيين أصبحوا على مقربة من دمشق قرّر أن يحاربهم دفاعًا عن بلده وقال للملك فيصل آنذاك بيت الشعر المشهور:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى   حتَّى يراق على جوانبه الدم

حارب الفرنسيين بمعركة كبيرة غير متكافئة هي معركة ميسلون التي حدثت في السابع من ذي القعدة الموافق ٢٤ يوليو (تمّوز) ١٩٢٠ بين الجيش السوري بقيادة يوسف العظمة (وزير الحربية السوري العربي) من جهة، وبين الجيش الفرنسي الذي جاء ليحتلّ سوريا بقيادة الجنرال غوابيه غورو من جهة أخرى ليسقط شهيدًا ويُدفن في مقبرة الشهداء في ميسلون في مواجهة تسعة آلاف ضابط.

يُعتبر يوسف العظمة أوّل وأعظم وزير دفاع عربي استشهد في معركة في تلك الفترة ولغاية ١٩٩٦.

* * *

ابراهيم هنانو

ابراهيم سليمان هنانو، (١٨٦٩ ـ ١٩٣٥م)، زعيم سوري، قاوم الغزو الفرنسي وكان أحد قادة الثورة السورية ضدّ المستعمر الفرنسي.

ـ نشأته

وُلد ابراهيم هنانو في بلدة "كفر تخاريم" في محافظة إدلب في سوريا. نشأ في أسرة كردية، أتمّ الدراسة الابتدائية في كفر تخاريم، ثمَّ انتقل إلى حلب حيث أتمّ دراسته الثانوية. أكمل علمه ليدرّس بالجامعة السلطانية في الأستانة، حيث كان والده يرفض سفره إلى الأستانة، وعاد إلى أهله بعد أربعة سنين ثمَّ غادر مرّة ثانية إلى إسطنبول لينهي دراسة الحقوق بعد ثلاث سنين أخرى.

ـ عمله

بعد إنهاء دراسته، عُيّن مديرًا للناحية في ضواحي إسطنبول لمدّة ثلاث سنوات، تمَّ تعيينه قائمِ مقامٍ بنواحي أرضروم ليبقي فيها أربع سنوات، ثمَّ ليتمّ تعيينه بعدها قاضي تحقيق في كفر تخاريم، حيث بقي فيها ما يقارب الثلاث سنوات.

انتُخب عضوًا في مجلس إدارة حلب لمدّة أربع سنوات، وعُيّن بعدها رئيسًا لديوان الولاية لمدّة سنتين وذلك عند رشيد طليع والي حلب، والذي شجّعه على الثورة في الشمال بالتنسيق مع الملك فيصل. وتمّ

انتخابه ممثّلاً لمدينة حلب في المؤتمر السوري الأوّل في دمشق في دورة (١٩١٩ ـ ١٩٢٠).

ـ مقاومة الاحتلال

تمَّ عقد اجتماع في منزل قائم مقام إدلب عمر زكي الأفيوني نهاية عام ١٩١٩ برئاسة هنانو، ضمَّ الاجتماع كبار ووجهاء إدلب والمناطق المجاورة لها (وكان جمعة سليم آغا النجاري ممثّلاً عن منطقة جسر الشاغور)، وعدد من الوطنيين من أنطاكيا والحفة واللاذقية، لتنظيم شؤون الثورة، وتمَّ الاتّفاق على اختيار هنانو لتأليف قوّات عربية على شكل عصابات من المجاهدين لمشاغلة الفرنسيين الذين احتلّوا مدينة أنطاكية، والتي كانت تحت سيطرة عزّت هنانو أخ ابراهيم، والذي اضطرّ لتسليم المدينة بناء على أوامر الحكومة العربية في سوريا.

قام هنانو بجمع أثاث بيته وأحرقه معلنًا بداية الثورة، وقال جملته المشهورة: "لا أريد أثاثًا في بلد مستعمَر"، وكان أوّل صدام مسلّح بين الثوّار والقوّات الفرنسية في ٢٣ أكتوبر ١٩١٩، حيث استمرّ القتال لقرابة سبع ساعات. وأقام هنانو محكمة للثورة لكلّ من يتعامل مع فرنسا أو يسيء للثورة.

قامت فرق المجاهدين التابعة له، بإزعاج الفرنسيين محقّقة نجاحات ضخمة، فذاع صيت هنانو وكثر مريدوه، حتّى أنَّ ابنته طلبت خمسة رؤوس لجنود فرنسيين كمَهرٍ لها.

قام الأمير فيصل بالتوقيع على معاهدة الانتداب مع فرنسا في عام ١٩٢٠، الأمر الذي رفضه الكثير من السوريين، حيث تصادم مع عبد الرحمن شهبندر قائلاً أنا من سلالة النبي، فردّ الشهبندر: وأنا ابن هذا البلد، وأرفض كلّ وصاية، وأطلب بتشكيل حكومة قومية ثورية. واندلع الخلاف بين السوريين.

قام الفرنسيون إثر ذلك بدخول دمشق ومن ثمَّ حلب لقمع الثورة، ولجأ هنانو وقوّاته إلى جبل الزاوية؛ ضمن المنطقة المحصورة بين حماه وحلب وإدلب، فقام الكثير بالانضمام إليه هنالك، ممّا سمح له بإنشاء قاعدة عسكرية. ولتصبح المنطقة مقرًّا له، أطلق عليه أتباعه لقب المتوكّل على الله، بسبب قوله توكّلنا على الله، كلّما ذهب مع قوّاته للإغارة على الفرنسيين.

قام بعدها بنقل منطقة قيادته إلى جبل الأربعين وازداد عدد أتباعه بسرعة بعد انتصاراته على الفرنسيين، فقام هنانو بإعلان دولة حلب وإقامة حكومة مستقلّة بإدارته. على أثر ذلك بدأت مفاوضات بينه وبين الفرنسيين ممثّلة بكلّ من الكولونيل فوان والجنرال غوبو، واشترط هنانو للبدء بالمفاوضات إيقاف تحرّك القوّات الفرنسية.

قام مصطفى كمال أتاتورك بتوقيع اتّفاقية مع فرنسا، وأوقف معونته للثوّار السوريين ممّا أدّى إلى إضعاف موقف هنانو في المفاوضات. وأصرّ الفرنسيون على أن تصبح الدولة التي يطالب بها في المناطق التي تخضع لثورته (إدلب – حارم – جسر الشغور – انطاكية)،

مكبّلة بقيود عسكرية مع الفرنسيين. الأمر الذي رفضه هنانو، ورأى به اتّفاقًا مذلاً. واتّضح له لاحقًا أنَّ فرنسا تجمع قوّاتها كلّها إلى الساحل السوري.

– الأوضاع السياسية

قام غورو بتقديم إنذار تضمّن عدّة شروط منها: تسليم خطّ رياق، حلب، وحلّ الجيش السوري، وقبول الانتداب الفرنسي. كما اشترط قبول العملة الورقية الفرنسية، وطالب بتغيير الحكومة. فقام الملك فيصل بقبول الإنذار، وأرسل برقية لغورو يعلمه بذلك. إلاّ أنَّ العسكريين رفضوا الإنذار. وقام يوسف العظمة بتقسيم سوريا إلى عدّة جبهات للتحضير لقتال الفرنسيين. قام بعد ذلك الملك فيصل بتكليف ياسين الهاشمي بتشكيل حكومة جديدة ممّا أدّى إلى خروج السكّان في مظاهرات ومهاجمة القلعة (مقرّ الملك) مطالبين بانسحاب يوسف العظمة من المؤتمر الوطني، وبتسليحهم، لكنَّ الحرس الملكي قام بقتل ما يقارب الـ ٢٠٠ شخصًا منهم.

قام الفرنسيون بعد معركة ميسلون بتقسيم سوريا إلى خمس دول. وضعت صبحي الحديدي رئيسًا لدولة حلب، بدلاً من هنانو، الذي حاول احتلال دولة حلب بدون فائدة.

– الأسر

حُكم على هنانو أربعة أحكام غيابية بالإعدام من قِبَل محكمة الجنايات العسكرية الفرنسية، ومع سيطرة الفرنسيين على الطرق، ونقص

الدعم العسكري لهنانو، اضطُرّ في يوليو ١٩٢١ إلى مغادرة معاقله إلى الجنوب حيث حاول التفاوض مع الشريف عبد الله. تعرّض في طريقه إلى شرق الأردن لكمين قرب جبل الشعر بالقرب من حماه في ١٦ يوليو ١٩٢١م، في معركة مكسر الحصان حيث فَقَدَ معظم من كان معه واستطاع هو النجاة بنفسه، وتمَّ القضاء على ثورته.

لم تكن تطلّعات هنانو السياسية ملائمة للشريف عبد الله ولم يتمّ اللقاء بينهما، فأكمل هنانو طريقه إلى القدس حيث قبض عليه الإنجليز في ١٣ أغسطس ١٩٢١م وسلّموه إلى الفرنسيين.

- محاكمة هنانو

وبعد القبض على هنانو قُدِّمَ إلى محكمة الجنايات العسكرية الفرنسية بتهمة الإخلال بالأمن والقيام بأعمال إجرامية، وعقدت المحاكمة أوّل جلساتها في (١٦ رجب١٣٤٠هـ/١٥ مارس ١٩٢٢م) في ظلّ إجراءات أمن مشدّدة، وترافع فتح الله الصقّال أبرز محاميي حلب للدفاع عن هنانو، حيث أظهر أنَّ التهمة باطلة لكون هنانو خصمًا سياسيًّا وليس مجرمًا بدليل أنَّ الفرنسين قبلوا بالتفاوض معه مرّتين ووقّعوا معه هدنة في٢٥ مارس ١٩٢٢م. طالب النائب العام الفرنسي المحكمة بإعدامه قتلاً قائلاً: "لو أنَّ لهنانو سبعة رؤوس لطلبت قطعها جميعًا". لكنَّ القاضي الفرنسي أطلق سراح هنانو معتبرًا ثورته ثورة سياسية مشروعة، معلنًا استقلالية السلطة القضائية الفرنسية عن السلطة العسكرية.

بعد انتهاء المحاكمة وإطلاق سراح هنانو، حاول الصقّال أن يَدْخل هنانو لشكر رئيس المحكمة على حكم البراءة، فاعتذر الرئيس عن استقبال هنانو في مكتبه قائلاً: "أنا لا أصافح رجلاً تلوّثت يداه بدماء الفرنسيين، عند الحكم كنتُ على منصّة القضاء، أمّا الآن فأنا مواطن فرنسي".

– المرحلة السياسية

كان هنانو أحد أعضاء الكتلة الوطنية، وتولّى زعامة الحركة الوطنية في شمال سوريا. في عام ١٩٢٨ تمَّ تعيينه رئيسًا للجنة الدستور في الجمعية التأسيسية لوضع الدستور السوري، إلاّ أنَّ المفوّض السامي الفرنسي سعى إلى تعطيل الجمعية التأسيسية والدستور، ممّا أدّى إلى خروج مظاهرات تطالب بتنفيذ بنود الدستور. وفي عام ١٩٣٢ وفي مؤتمر الكتلة الوطنية، انتُخب ابراهيم هنانو زعيمًا للكتلة الوطنية. وفي عام ١٩٣٣ لعب دورًا في استقالة حكومة حقّي باشا العظم، بسبب نيّته الموافقة على المعاهدة الفرنسية.

– محاولة اغتياله

في أيلول ١٩٣٣م قام شخص يُدعى نيازي الكوسى، بإطلاق النار على هنانو في أثناء وجوده في قريته إلاّ أنَّ الرصاص أصاب قدمه، وتمَّ القبض على الكوسى في إنطاكية، حُكم بالسجن عشر سنوات، إلاّ أنَّ المفوّض السامي الفرنسي أصدر عفوًا خاصًّا بحقّ الكوسى، ممّا دفع الجميع للاعتقاد بعلاقة الفرنسيين بحادثة الاغتيال.

- وفاته

قصد الزعيم ابراهيم هنانو قريته "السيّدة عاتكة" للإشراف على بعض أعماله الزراعية هناك! قبل الذهاب إلى دمشق، بعد أن استأجر بيتًا للإقامة فيها، خلال فصلَي الشتاء والربيع. كان الزعيم يتمتّع بكامل صحّته، وفي صباح الخميس الثاني عشر من تشرين الثاني ١٩٣٥ تناول قهوته، ثمَّ قصد إلى كرم زيتون ليشرف على العمّال ويتريّض قليلاً، ولكنّه أحسّ بشيء من البرد والألم، فعاد إلى غرفته. وما لبث الألم أن اشتدّ عليه، فأرسل ابنه طارق إلى حلب، ليحضر له سيّارة تنقله إلى حلب. وحين تأخّر طارق في العودة، أمسك الزعيم ساعة، وصار يعدّ نبضه، وحين شعر أنَّ عدد نبضاته يتجاوز المائة، ألقى الساعة من يده، وقال لمن حوله: قولوا لإخوتي: "الوطن بين أيديهم". وتوفّي في يوم ٢١ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٣٥م، وصُلّي عليه في الجامعة الأموية في حلب.



إحسان الجابري

وُلد في مدينة حلب عام ١٨٧٩ في أسرة ذات دين وعلم وجاه. تلقّى إحسان الله دراسته الأولى في مدينة حلب، ثمَّ انتقل إلى الأستانة فدرس العلوم الإدارية والسياسية وعمل مع شباب العرب فيها، وسُجن مرارًا وتخرّج من كلّية الحقوق حاملاً شهادة الدكتوراه. اتّصل بالهيئات السياسية والجمعيات الوطنية العربية. فأدخل السجن عام ١٩٠٢ وقضى فيه ستّة أشهر بتهمة تلقّيه رسائل من عبد الرحمن الكواكبي. مارس المحاماة في إسطنبول من١٩٠٢ــ١٩٠٤.

عاد الى سوريا بدعوة من الملك فيصل حيث عُيِّن رئيسًا لبلدية حلب سنة ١٩١٩، ثمَّ اختير عضوًا في مجلس الشورى، فاشترك في إعلان استقلال سوريا بصفته كبير الأمناء ورئيس ديوان الملك فيصل.

حضر الجابري معركة ميسلون عام ١٩٢٠ فخرج مع الملك فيصل من سوريا وحكم عليه الفرنسيون بالإعدام وحجزوا أملاكه، فأقام في أوروبا يعمل لاستقلال بلاده. دعاه الجنرال غورو بكتاب رسمي مؤرّخ ١٩٢٠/١١/٢٠ للمفاوضة معه، لكن لم يتمّ الوصول بينهما إلى اتّفاق، فاضطرّ لمغادرة باريس الى جنيف حيث انتُخب عضوًا دائمًا في المؤتمر (السوري الفلسطيني) للدفاع عن القضية، وقد اشترك في هذا المؤتمر حزب الاستقلال والوفد الفلسطيني وممثّلو أميركا الشمالية والجنوبية من العرب في المهاجر الأميركية، وتألّف المؤتمر من إحسان الجابري

وشكيب أرسلان، وسليمان كنعان وبعد وفاته انتُدب رياض الصلح، وبقي الوفد يعمل بكلّ ما أوتي من قوّة حتّى كانون الأوّل عام ١٩٢٣ أي بعد أن حضر مؤتمر لوزان.

سافر إحسان عام ١٩٢٣ بدعوة من الشريف حسين إلى عمّان حيث حضر المؤتمر العربي فيها، وتمكّن من دخول سوريا، وهناك أسّس جمعيّة حقوق الإنسان فأقبل الألوف من الشبّان في المدن السورية على الانخراط في عضويّتها، ومنها انبثق حزب الشعب وبعده الكتلة الوطنية. وعلى أثر هذا النشاط حاولت السلطة الفرنسية إلقاء القبض عليه، إلاّ أنّه تمكّن من الهرب إلى تركيا، فحكمته السلطة الفرنسية للمرّة الثانية بالإعدام، وغادر تركيا إلى سويسرا ومكث هناك حتّى عام ١٩٢٦، حيث دُعي إلى باريس مع لطف الله وشكيب أرسلان لعقد معاهدة، وفعلاً تمَّ الاتّفاق ووقّع بالأحرف الأولى، ولكن مجيء بوانكاريه إلى الحكم سبّب تأخير الأمر، فعاد إلى سويسرا وأصدر في جنيف مع الأمير شكيب أرسلان مجلّة باللغة الفرنسية بعنوان (الشعب العربي) للدفاع عن حقوق العرب والدفاع عن سوريا.

بعد عقد معاهدة ١٩٣٦ بين الحكومة السورية وفرنسا، وصدور العفو العام، عاد إحسان إلى سوريا، وبعد شهرين أجبرته الحكومة على قبول محافظة اللاذقية، وبقي هناك ما يقرب السنتين يعمل في صراع مع الانتداب الفرنسي. وفي نهاية العهد الوطني اعتُقل وحدّدت إقامته في عينطورة في لبنان مدّة أربع سنوات.

ثمَّ عاد إلى حلب، وبعد وفاة أخيه سعد الله الجابري، انتُخب نائباً عن حلب وترأس قائمة الوطنيين، كما انتُخب رئيسًا للجنة الشؤون الخارجية فبقي فيها طيلة نيابته، وأعيد انتخابه عام ١٩٥٤، وترأس التجمّع القومي إلى أن تمّت الوحدة بين مصر وسوريا فترأس اتّحاد الدول العربية.

وبعد اعتزاله السياسة أقام في القاهرة حيث توفّاه الله ونُقل جثمانه بالطائرة إلى عمّان في ١٩٨٠/٣/١١، ومنها جوًّا إلى حلب حيث دُفن هناك.



صالح العلي



هو أحد الثوّار السوريين ضدّ الاستعمار الفرنسي، وُلد عام ١٨٨٣م، والده الشيخ علي سلمان من قرية المريقب، إحدى قرى منطقة الشيخ بدر حاليًا، في جبال الساحل السوري. وهو شيخ ورجل دين من مشايخ الطائفة العلوية المعروفين وشاعر. والدته حبّابة ابنة الشيخ علي عيد من قرية بشراغي القريبة من مدينة جبلة، وهي سيّدة متمكّنة من اللغة والشعر ومشهود لها بحسن التدبير.

- بداياته

- الحرب ضدّ الأتراك: قام صالح العلي بالثورة ضدّ العثمانيين ومن أشهر معاركه في تلك الفترة معركتين شهيرتين هما معركة كاف الجاع ومعركة النيحا وحصل في سبيل ذلك تنسيق بينه وبين الشريف حسين.

- الحرب ضدّ الفرنسيين.

دخلت القوّات العربية بقيادة الأمير فيصل الأوّل دمشق بعد دحر العثمانيين عنها أواخر شهر أيلول. ودخلتها قوّات الحلفاء بقيادة المارشال البريطاني (اللنبي) في ١٩١٨/١٠/١م. وقامت القوّات الفرنسية بعد أسبوع واحد أي في ١٩١٨/١٠/٨م باحتلال الساحل السوري (السوري الحالي واللبناني ولواء إسكندرون حتّى مدينة مرسين) وأنزلت العلم الوطني عن

مباني الحكومة في الساحل السوري، أمّا فيما يخصّ "نقض اتّفاق حسين ـ مكماهون" أي (مؤتمر الشيخ بدر) فقد دعا الشيخ صالح العلي خلال شهر وسبعة أيّام من احتلال الساحل السوري وإنزال العلم السوري عن مباني الحكومة، إلى المؤتمر لمواجهة الوضع الجديد فلبّى رسائل الدعوة عدد من فعاليّات الجبل والساحل المتنوّعة وانعقد مؤتمر الشيخ بدر الشهير في مدينة الشيخ بدر، مسقط رأس الشيخ صالح العلي، وذلك بتاريخ ١٩١٨/١٢/١٥ الخامس عشر من شهر كانون أوّل ألف وتسعمائة وثمانية عشر للميلاد (أهمّ المراجع التي ذكرت ذلك كتاب عبد اللطيف اليونس "ثورة الشيخ صالح العلي" الصادر قبل وفاة الشيخ صالح العلي) واستمرّ المؤتمر لثلاثة أيّام متوالية بحضور معظم وجهاء ومقدّمي الجبل العلوي والساحل ومن بينهم "المجاهد أسبر زغبيي أبرز قادة ثورة الشيخ صالح العلي لاحقًا، السيِّد أحمد محمود عدرا، السيِّد محمَّد اسماعيل، الشيخ علي أحمد ميهوب، الشيخ معلا أحمد غانم، الشيخ يونس محمَّد رمضان، الشيخ علي عبّاس، السيِّد عبد الكريم الخير، السيِّد علي اسماعيل غانم، السيِّد علي زاهر، السيِّد اسماعيل إحسان، السيِّد محي الدين عذبا وآخرون".

انتهى المؤتمر بقرارات عدّة أهمّها:

- انتخاب الشيخ صالح العلي قائدًا للثورة السورية الأولى.
- المطالبة بضمّ الساحل السوري إلى سوريا الداخلية.

– التنسيق مع الملك فيصل الأوّل، وامتدّت الثورة بقيادته لمدّة ثلاث سنوات ونصف السنة. وهي أوّل وأطول الثورات ضدّ الانتداب المقرّر بموجب معاهدة سايكس – بيكو في الهلال الخصيب.

– الثورة السورية الأولى

المرحلة الأولى: تركّزت الثورة في الفترة الأولى في جنوب الجبال الساحلية ومركزها مدينة الشيخ بدر، حيث دارت رحى معارك عدّة لاحتلال مدينة الشيخ بدر، ومعركة بيدر غنّام، ومعركة وادي ورور، ومعركة وادي جهنم، ومعركة العنّازه (عنازة بحنين) ومعركة برمّانة المشايخ ومعركة قرية الدويلية، جانب الشيخ بدر – قرية أقرباء والد الشيخ صالح – ومعركة عنّازة بانياس، ومعركة كاف الجاع، ومعركة المقرمدة حيث كان لآل حرفوش جهاد مشرّف، ومعركة ضهر مطر، ومعركة عين قضيب، وعدّة معارك في قدموس، ومعركة القمصية ومعركة السودا، ومعركة طرطوس، ومعركة بانياس، ومعركة صافيتا وغيرها من المعارك.

المرحلة الثانية: بعد حرق الشيخ بدر واحتلالها من قِبَل الفرنسيين وهي مقرّ الثورة، انتقلت الثورة إلى شمال الجبل العلوي إلى قرية بشراغي (قرية والدته وأخواله من آل علي عيد). من أشهر معارك الشمال معركة عين فتوح – قرية بشراغي، معركة خرايب سالم ولهذه القرية تاريخ من الجهاد مع الشيخ المجاهد وقد كان الشيخ يقطنها في كثير من الأحيان، معركة جبل رأس ملوخ، معركة الأجرد، معركة البودي، معركة رأس البير

معركة رأس ميسم، معركة الصارم ومعركة رأس العين (جور البقر سابقًا)، معركة قرفيص، معركة السخابة، معركة عين الشرقية، معركة نبع السنّ، معركة قرية المرقب (جانب مدينة بانياس)، معركة متور، ومعركة حرف متور، ومعركة تحرير مدينة جبلة، معركة إيريس معركة، سربيون، معارك جوفين، ومعركة قرية الدالية، وغيرها من المعارك، تعرّض جرّاء الثورة لإصدار حكم الإعدام بحقّه وظلّ متخفّيًا في الجبل عند نهاية الثورة ولمدّة سنة كاملة، إلى أن صدر حكم العفو عنه وسلّم نفسه إلى الحامية الفرنسية في مدينة اللاذقية – المتحف الوطني حاليًّا – بسبب حرق القرى التي كان يلجأ إليها، أو يُظنّ أنّه لجأ إليها، وذلك بتاريخ الثاني من شهر حزيران سنة ١٩٢٢ بعد تفرّق الرجال من حوله (ومن ضمن من أُعدم إضافة لهيئة المحكمة التي عيّنها كلّ من السيِّد كامل بن حمدو الباكير والسيِّد أبو محمّد الخلاعي أُعدما في مدينة حماه بالرصاص). وقد عرض عليه رئيس الحامية الجنرال بيلوت المشاركة في إدارة الجبل بحضور متصرّف جبلة حينها الشيخ أحمد أفندي الحامد فرفض قائلاً "ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسّكم النار" فانتفض الجنرال غاضبًا ثمَّ عاد وبعد هدوء يسأله عن سبب تأخرّه في الاستسلام ليجنّب نفسه وأهالي الجبل الويلات الكثيرة فأجابه بالعبارة الشهيرة: "والله لو بقي معي عشرة رجال مجهزّين بالسلاح والعتاد الكافيَين لمتابعة الثورة، لما تركت ساحة القتال" وهو أمر ذكره الحاضرون ومنهم المترجم بين الشيخ وبين الجنرال الفرنسي من آل بشور صافيتا.

- أسماء بعض القرى التي حُرقت من قِبَل الفرنسيين وعملائهم

من ضمن القرى التي حُرقت: الشيخ بدر، وقرية برمّانة المشايخ، وقرية بحنين، وقرية العنازة (عنازة بحنين)، قرية كاف الجاع وبلدة قدموس، قرية المقرمدة، قرية المرقب، قرية قلعة الخوابي، قرية زمرين، قرية بشراغي، قرية البودي، قرية بيت ياشوط، قرية عين الشرقية، قرية البرجان، قرية تل صارم، قرية قرفيص، قرية زاما، قرية الدالية، قرية رأس العين، قرية متور، قرية بعبدا، قرية دوير بعبدا، قرية بزاق (الروضة)، قرية عنازة بانياس وكثير من القرى والتي بعضها حُرق عدّة مرّات.

- إنشاء دولة علوية

عرض الفرنسيون على الشيخ صالح العلي، بعد صدور حكم الإعدام بحقّه ثمَّ العفو عنه – بسبب الحالة الشعبية – إقامة دولة علوية بالتعاون بينه وبينهم لاستلامها نهائيًّا من قِبَله (في وقت مزامنٍ لفصل جبل لبنان والأقضية الأربعة بعد موافقة البطريرك اللبناني "حويك" ومجموعة من الساسة السوريين الآخرين على الفصل وبنفس الوقت تسليم الجزء الأكبر من جنوب درعا إلى الأمير عبد الله تعويضًا له من قِبَل الإنكليز عن الحجاز التي استولت عليها منه عائلة آل سعود وتسميتها إمارة شرقي الأردن). ولكن عندما رفض الشيخ صالح العلي عرض الفرنسيين إقامة الدولة العلوية أصدر الفرنسيون عليه حكم الإقامة الجبرية.

- مرحلة الكفاح السياسي

بعد انتهاء الثورة السورية الكبرى ١٩٢٥ ـ ١٩٢٧ بدأ الفرنسيون يعدون المواطنين السوريين بالاستقلال وبدأت مرحلة صراع جديد ارتكز فيها السوريون على الإضرابات والعصيان المدني والفرنسيين على التبشير الديني – السياسي ممّا حدا بالشيخ صالح العلي إلى معاودة نشاطه السياسي في بداية الثلاثينات لمقاومة حالة التبشير السياسي – الديني (له مراسلات في صدد ذلك خاصّة مع منير بيك الشريف ذكرها الأخير في مذكّراته) والذي قامت به البعثات التبشيرية الفرنسية خاصّة، والغربية عمومًا في أوساط المسلمين عامّة والعلويين خاصّة وكذلك في أوساط المسيحيين الأرثوذكس والموارنة وحيث قام الفرنسيون بدعم بعض الأفراد والعائلات بالمال وبالنفوذ السياسي مستغلّة الوضع الاقتصادي المزري لهذه الفئات، وخلقت مراكز قوى جديدة وزعامات فئوية جديدة. قام العلي بالإعلان أنّ الجبل جزء من سوريا وتوّج النشاط السياسي للشيخ العلي بالموقف من تأسيس دولة جبل العلويين حيث رفض ذلك، ووقّع مع شخصيّات كثيرة من الجبل الوثيقة الداعية إلى ضمّ الجبل العلوي إلى سوريا الداخلية. وفي الاستقلال في بداية الأربعينات (١٩٤٣) عُرض عليه في أوّل حكومة اختيار الوزارة التي تروقه لاستلامها فرفض، لعدم قناعته بذلك مفضّلاً النشاط السياسي من خارج الحكومة، وبعد جلاء آخر جندي من الحامية الفرنسية الأخيرة من

اللاذقية ألقى خطاب الجلاء في دمشق حيث نزل برفقة صهره الشيخ محمَّد عيسى ابراهيم في فندق الشرق جانب محطّة الحجاز في دمشق.

- مرضه ووفاته

تعرّض الشيخ صالح للمرض فعولج في مستشفى أوتيل ديو في بيروت، ثمَّ في المشفى الأهلي في طرابلس، وكان برفقته زوج ابنته المذكور آنفًا ومن ثمَّ انتقل إلى طرطوس - حيّ المشبكة حيث حضر لعلاجه الدكتور الألماني كارل كورت، بتكليف من رئيس الجمهورية السورية آنذاك. وبعدها بفترة قصيرة توفّي في ١٣ نيسان ١٩٥٠ وبظروف غامضة، قد تكون بسبب السمّ كما هو مشاع.



عبد الرحمن شهبندر

الدكتور عبد الرحمن بن صالح شهبندر (١٨٨٢ ـ ١٩٤٠)، هو سياسي وطبيب وخطيب وكاتب سوري.

ـ النشأة

وُلد عبد الرحمن الشهبندر في دمشق عام ١٨٨٢م، مات والده وعمره ستّ سنوات، فربّته أمّه وتخرّج طبيبًا في الجامعة الأمريكية ببيروت عام ١٩٠٤م.

ـ الحياة السياسية

دخل جمعيّة الاتّحاد والترقّي بعد الدستور العثماني وناوأها عند اتّجاهها إلى التتريك. تشبّع بفكرة الوحدة العربية واستقلال العرب ورأى الطريق إلى ذلك بالتعاون مع الحلفاء. توارى لدى نشوب الحرب العالمية الأولى، منفلتًا إلى العراق فالهند ومنها إلى مصر حيث كان يتردّد لإقناع العرب منهم بالتطوّع في جيش الشريف حسين.

ـ العمل في الحكومة

عاد إلى سوريا عام ١٩١٩م وعُيّن وزيرًا للخارجية عام ١٩٢٠م في وزارة هاشم الأتاسي التي شُكّلت في أواخر عهد الملك فيصل الأوّل. غادر سوريا بعد احتلالها من قِبَل الجيوش الفرنسية إلى مصر حيث أقام

سنة ثمَّ عاد. اعتُقل عام ١٩٢٢م لدى اشتراكه في حفلة للمستر (كرين) الأمريكي عند زيارته لسوريا، والمظاهرات والحفاوة التي رافقت الزيارة وحوكم مع نفر من صحبه ثمَّ رُحّل إلى جزيرة أرواد لمدّة سنتين وبضعة أشهر. عمل الدكتور الشهبندر على إنشاء حزب الشعب في دمشق وتولّى رئاسته. نجا من قِبَل الفرنسيين عند قيام الثورة السورية، والتحق بصفوف الثوّر في معاقلهم في جبل العرب ولم يفارق الجبل إلاّ لفترة قصيرة زار فيها الأردن وعاد.



د. عبد الرحمن شهبندر في فترة سجنه عام ١٩٢٣

في سجن جزيرة أروض

- الثورة السورية

كان الدكتور عبد الرحيم الشهبندر عقل الثورة السورية والمفكّر، وكاتبها في أكثر بياناتها. كان من روّاد النهضة العربية فكان شجاعًا جريئًا لكنّه غادر مسارحها مع سلطان الأطرش عام ١٩٢٧م إلى الأردن. ثمَّ اتّجه إلى مصر حيث أقام وتابع نشاطه السياسي، واختلف فيها مع أكثر العاملين لاستقلال سوريا من أصدقائه الأقدمين، عندما انشقّت لجنة المؤتمر السوري الفلسطيني إلى لجنتين وانحاز فيها إلى جانب الأمير ميشال لطف الله. فتناولت الصحف موقفه وما له وعليه. وانصرف للاشتغال بالطبّ زمنًا ثمَّ أراد الاستقرار في دمشق فعاد إليها عام ١٩٣٧م.

- اغتياله

بينما كان في عيادته قبل ظهر يوم السادس من شهر تمّوز سنة ١٩٤٠م دخل عليه ثلاثة أشخاص فقتلوه، اعتُقلوا وأُعدموا.

* * *

عزّ الدين القسّام

- ولادته ونشأته



وُلد الشيخ عزّ الدين القسّام (٢٠ نوفمبر ١٨٨٢ -١٩٣٥) في بلدة جبلة في محافظة اللاذقية في سوريا. كان منذ صغره يميل إلى العزلة والتفكير. تلقّى دراسته الابتدائية في كتاتيب بلدته جبلة ورحل في شبابه إلى مصر حيث درس في الأزهر، وكان من عداد تلاميذ الشيخ محمَّد عبده والعالم محمَّد أحمد الطوخي. كما تأثّر بقادة الحركة الناشطة التي كانت تقاوم المحتلّ البريطاني في مصر. فكان يصنع الحلويات ويبيعها ليعيل نفسه.

- العودة إلى سوريا

لمّا عاد إلى بلاده سوريا في العام ١٩٠٣، عمل مدرّسًا في جامع السلطان ابراهيم وأقام مدرسة لتعليم القرآن واللغة العربية في مدينة جبلة في سنة ١٩٢٠ عندما اشتعلت الثورة ضدّ الفرنسيين. شارك القسّام في الثورة، فحاولت السلطة العسكرية الفرنسية شراءه وإكرامه بتوليته القضاء، فرفض ذلك وكان جزاؤه أن حكم عليه الديوان السوري العرفي بالإعدام. قاد أوّل مظاهرة تأييدًا لليبيين في مقاومتهم الاحتلال الإيطالي، وكوّن سرّية من ٢٥٠ متطوّعًا، وقام بحملة لجمع التبرّعات، ولكن السلطات العثمانية لم تسمح له بالسفر.

- ثورة جبل صهيون

باع القسّام بيته وترك قريته الساحلية وانتقل إلى قرية الحفّة الجبلية ذات الموقع الحصين ليساعد عمر البيطار في ثورة جبل صهيون (١٩١٩ – ١٩٢٠). وقد حكم عليه الاحتلال الفرنسي بالإعدام غيابيًا. بعد إخفاق الثورة، فرَّ الشيخ القسّام عام ١٩٢١ إلى فلسطين مع بعض رفاقه، واتّخذ مسجد الاستقلال في الحيّ القديم بحيفا مقرًّا له حيث استوطن فقراء الفلاّحين الحيّ بعد أن نزحوا من قراهم.

- رئيس جمعيّة الشبّان المسلمين

التحق القسّام بالمدرسة الإسلامية في حيفا، ثمَّ بجمعيّة الشبّان المسلمين هناك، وأصبح رئيسًا لها عام ١٩٢٦. كان القسّام في تلك الفترة يدعو إلى التحضير والاستعداد للقيام بالجهاد ضدّ الاستعمار البريطاني، ونشط في الدعوة العامّة وسط جموع الفلاّحين في المساجد الواقعة شمالي فلسطين.

- في فلسطين

لجأ القسّام إلى فلسطين في ٥ شباط ١٩٢٢ واستقرّ في قرية الياجور قرب حيفا. ولجأ معه من رفاق الجهاد الشيخ محمّد الحنفي والشيخ علي الحاج عبيد، وحتّى سنة ١٩٣٥ لم يكن سكّان حيفا يعرفون عن عزّ الدين القسّام سوى أنّه واعظ ديني، ومرشد سوري، ورئيس جمعيّة الشبّان المسلمين في مدينة حيفا. وكان بنظرهم شيخًا محمود السيرة في تقواه وصدقه ووطنيّته كما كانت منطقة الشمال تعرفه إمامًا

وخطيبًا بارعًا ومأذونًا شرعيًّا في جامع الاستقلال، وهو الذي سعى في تشييده، وقد جمع المال والسلاح لنجدة المجاهدين في طرابلس الغرب أثناء حملة الإيطاليين عليها. في عام ١٩٢٩ أشيع أنَّ اليهود يريدون أن يحرقوا مسجد الاستقلال بحيفا، فاقترح بعض الوجهاء أن يطلبوا المساعدة من الإنكليز، لكنَّ الشيخ القسّام رفض رفضًا قاطعًا، وقال إنَّ دمنا هو الذي يحمي المسلمين ويحمي مساجد المسلمين وليست دماء المحتلّين.

– ثورة القسّام

كشفت القوّات البريطانية أمر القسّام في ١٥ نوفمبر ١٩٣٥، فتحصّن الشيخ عزّ الدين هو و١٥ فردًا من أتباعه بقرية الشيخ زايد، فلحقت به القوّات البريطانية في ١٩٣٥/١١/١٩ فطوّقتهم وقطعت الاتّصال بينهم وبين القرى المجاورة، وطالبتهم بالاستسلام، لكنّه رفض واشتبك مع تلك القوّات، وأوقع فيها أكثر من ١٥ قتيلاً، ودارت معركة غير متكافئة بين الطرفين، وما جاء يوم العشرين من نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٣٥، حتّى أضحى القسّام علمًا من أعلام الجهاد يتردّد اسمه في بلاد فلسطين كلّها. اتّصل بالملك فيصل في سوريا طلبًا لمؤازرته في ثورته فوعده ولم يثمر وعده أيّ شيء، واتّصل بالحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين الأكبر وطلب منه أن يهيّئ الثورة في منطقته، فأجابه بأنّه يرى أن تُحلّ قضيّة فلسطين بالطرق السلمية عن طريق المفاوضات.

علم الشعب لأوّل مرّة أنَّ الشيخ القسّام كان قد اعتصم مع إخوانه في أحراش قرية يعبد وكانوا مسلّحين ولا يهابون خطر المجابهة مع قوّات الانتداب البريطاني ولا عواقبها، إلاّ أنَّ قوّات الأمن كانت قد أعدّت قوّة هائلة تفوق عدد الثوّار بمئات المرّات وكانت كقطيع كبير من الجيش مصمّمة على القضاء على الشيخ عزّ الدين وأتباعه، فلذلك أحاطت القوّات بالمنطقة منذ الفجر ووضعت الشرطة العربية في الخطوط الهجومية الثلاث الأولى من ثمَّ القوّات البريطانية، وقبل بدء المعركة نادى أحد أفراد الشرطة العربية الثائرين طالبًا منهم الاستسلام، فردّ عليه القسّام صائحًا "إنّنا لن نستسلم، إنّنا في موقف الجهاد في سبيل الله ثمَّ التفت إلى رفاقه وقال: موتوا شهداء في سبيل الله خير لنا من استسلام الكفرة الفجرة". دامت المعركة القصيرة ساعتين كان خلالها الرصاص يصمّ الآذان والطائرات المحلّقة على ارتفاع قليل تكشف للمهاجمين موقع الثوّار وقوّتهم، وفي نهاية الساعتين أسفرت المجابهة عن استشهاد القسّام ورفاقه يوسف عبد الله الزيباري وسعيد عطيه المصري ومحمَّد أبو قاسم خلف وألقى الأمن القبض على الباقين من الجرحى والمصابين.

اكتشفت قوّات الأمن عند نهاية المعركة مع الشيخ ذي اللحية البيضاء، والمجندل على التراب بملابسه الدينية مصحفًا وأربعة عشر جنيهًا ومسدّسًا كبيرًا، وكان الشيخ نمر السعدي ما زال حيًّا جريحًا، حيث استطاع صحفي عربي أن ينقل عن لسانه أولى الحقائق الخفيّة عن عصبة القسّام، فكانت هذه الحقيقة دليلاً على أنَّ المجابهة المسلّحة هذه

كانت بقرار بدء الثورة منهم جميعًا. كانت العناوين البارزة في الصحف (معركة هائلة بين عصبة الثائرين والبوليس) و(حادث مريع هزَّ فلسطين من أقصاها إلى أقصاها) وانطلقت بعدها العديد من الثورات الموازرة لها في العالم العربي.



سلطان الأطرش



الأطرش، سلطان (١٨٩١ – ١٩٨٢) القائد الوطني والمجاهد الثوري السوري الدرزي، القائد العام للثورة السورية الكبرى ١٩٢٥ ضدّ الانتداب الفرنسي، أحد أشهر الشخصيّات الدرزية في العصر الحديث، عُرف بوطنيّته وشجاعته ورفضه لتجزئة سوريا.

– حياة سلطان وتراث العائلة

وُلد سلطان الأطرش في قرية القريّا في محافظة السويداء منطقة صلخد في الجمهورية العربية السورية، لدى عائلة الأطرش الدرزية الشهيرة. والده ذوقان بن مصطفى بن اسماعيل الثاني مؤسّس المشيخة الطرشانية ١٨٦٩، كان مجاهدًا وزعيمًا محليًّا قاد معركة ضارية في نواحي الكَفر عام ١٩١٠، وهي إحدى معارك أبناء الجبل ضدّ سامي الفاروقي، والتي كانت تشنّها السلطنة العثمانية على جبل الدروز لكسر شوكته وإخضاعة لسيطرتها، أعدمه الأتراك شنقًا بسبب تمرّده عام ١٩١١. أمّا والدة سلطان فهي شيخة بنت اسماعيل الثاني.

تزوّج في سنّ التاسعة عشرة من عمره من غازية ابنة عمّه فايز، لكنّها توفّيت بعد فترة قصيرة دون أن يُرزق منها أطفالاً وبعد عودته من الخدمة الإجبارية تزوّج من ابنة الشيخ ابراهيم أبو فخر من بلدة نجران، واسمها تركية ورُزق منها جميع أولاده الذكور: طلال وفواز ويوسف

وجهاد حيث تُوفّوا جميعًا ومنصور وناصر وطلال. أمَّا الإناث: فهنَّ: غازية وبتلاء وزمرد وتركية ونايفة وعائدة ومنتهى.

- الثورة العربية الكبرى



الثوّار الدروز يتحضّرون الذهاب مع سلطان الأطرش في عام ١٩٢٥

أدّى سلطان الأطرش الخدمة العسكرية في رومانيا، ومنذ عودته تابع الاتّصال بالحركات العربية بفضل علاقته الدائمة بدمشق، فصارت القريّا ملجأ ومعقلاً للفارّين من الأتراك وللمناضلين الملتحقين بالثورة العربية في العقبة. وكان سلطان الأطرش أوّل من رفع علم الثورة العربية على أرض سوريا قبل دخول جيش الملك فيصل، حيث رفعه على قلعة

صلخد وعلى داره في القريّا، وكان في طليعة الثوّار الذين دخلوا دمشق سنة ١٩١٨، بعد أن رفع العلم العربي في ساحة المرجة فوق مبنى البلدية بدمشق، منحه الملك (فيصل الأوّل) لشجاعته لقب (أمير) عام ١٩١٦، كما منحه أيضًا رتبة فريق في الجيش العربي، وهو يوازي لقب باشا. وقد اقترح الفرنسيون عليه الاستقلال في حكم الجبل وتأسيس بلد مستقلّة في محافظة السويداء فرفض رفضًا قاطعًا لسعيه الدؤوب لإنشاء دولة عربية مستقلّة بعيدًا عن التجزئة والاستعمار.

- بدايات النضال ضدّ الفرنسيين

في تمّوز ١٩٢٠، جهّز سلطان الأطرش قوّات كبيرة لملاقاة الفرنسيين في ميسلون، لكنّه وصل متأخّرًا بعد انكسار الجيش العربي واستشهاد القائد يوسف العظمة وزير الدفاع. عارض سلطان إنشاء الدولة الدرزية عام ١٩٢١ وقبل ذلك وبعده عارض بشدّة الانتداب الفرنسي.

- الثورة السورية الكبرى

المناوشات الأولى

في ٧ تمّوز ١٩٢٢، بدأت علاقة سلطان تسوء مع الفرنسيين بعد اعتدائهم على التقاليد العربية في حماية الضيف، حين اعتقلوا أدهم خنجر وهو لبناني عاملي اشترك في عمليّة محاولة اغتيال الجنرال غورو واحتمى بدار سلطان الأطرش هربًا من الفرنسيين.

بعد هذه الحادثة جهّز سلطان قوّة من رجاله واشتبك مع الفرنسيين في معركة تل الحديد ١٩٢٢ وكان من نتائجها:

- ذبح فرقة الضبّاط بوكسان
- محاصرة السويداء
- أسر أربعة جنود فرنسيين

لجأت فرنسا إلى المفاوضات ووافقت على إطلاق سراح أدهم خنجر مقابل الجنود الفرنسيين الأربعة ولكنّها سرعان ما أرسلت أدهم إلى الإعدام في بيروت ودمّرت منزل سلطان الأطرش. لجأ سلطان والثوّار إلى الأردن مؤقّتًا حيث عادوا بعد سنتين إلى الجبل وكان قد اكتسب شعبية هائلة.

انطلاق الثورة من جبل الدروز

في عام ١٩٢٥ انطلقت الثورة من جبل الدروز لتشمل سوريا كلّها وجزءًا من لبنان. وقد تولّى سلطان الأطرش قيادتها جميعها، وتُعدّ من أهمّ الثورات ضدّ الاحتلال الفرنسي لأنّها شملت سوريا كلّها، وامتازت بمعارك ضارية بين الثوّار والقوّات الفرنسية. وكان لها العديد من النتائج الملموسة.

الأسباب

كان من الأسباب المباشرة للثورة اعتداء الفرنسيين على التقاليد المحلّية وسوء معاملة الأهالي، أمّا الأسباب غير المباشرة فهي نقمة

أهالي جبل الدروز على فصل الجبل عن سوريا الأم، والأوضاع المعيشية السيّئة في ظلّ الانتداب الفرنسي.

معركة الكفر وبدايات الثورة

بدأ سلطان بالتنقّل بين قرى الجبل يحرّض الأهالي على الثورة ضدّ الفرنسيين ويستثير النخوات وكانت أوّل عمليّات الثورة العسكرية إسقاط الثوّار طائرتين فرنسيتين إحداهما وقعت قرب قرية امتان وأسر طيّارها، تجمّع الثوّار بقيادة سلطان ثمَّ هاجموا صلخد في ٢٠ تمّوز ١٩٢٥، وأحرقوا بمساعدة أهلها دار البعثة الفرنسية فانطلقت في اليوم نفسه حملة فرنسية بقيادة نورمان الذي استخفّ بقدرات الثوّار فاتّجه إلى الكفر وأمر جنوده بالتمركز حول نبعها.

أرسل سلطان إلى نورمان مبعوثًا لينصحه بالانسحاب فأجابه بالرفض وكرّر التهديدات بالقبض على سلطان وأعوانه وأنّه يمكنه أن يقتل ثلاثة آلاف درزي بالرشّاش الذي معه. وقال لهم "اذهبوا إلى سلطان وقولوا له أنّني بانتظاره على أحرّ من الجمر في هذا المكان".

بدأت المعركة ظهرًا ولم تدم أكثر من نصف ساعة. وحالت سرعة الهجوم وهول المفاجأة بين الفرنسيين وأسلحتهم وبدأ القتال بالسلاح الأبيض ودخل الثوّار بين الفرنسيين وقُتل نورمان قائد الحملة وقضى الثوّار على الحملة كلّها تقريبًا. كانت خسائر الدروز في معركة الكفر ٥٤ شهيدًا وتذكر المراجع الفرنسية أنَّ ١٧٢ جنديًّا فرنسيًّا قُتلوا، بينما يذكر من حضروا المعركة أنَّ خسائر الفرنسيين كانت أكثر من ذلك

بكثير وتُقدّر بعدّة آلاف (يذكر الجنرال أندريا أنّه لم ينجُ من الجنود الفرنسيين إلاّ خمسة).

بتاريخ ٢٣ آب عام ١٩٢٥، أعلن سلطان الأطرش الثورة رسميًّا ضدّ الفرنسيين، فانضمّت دمشق وحمص وحماه ونواحيها إلى الثورة، قاد الأطرش العديد من المعارك الظافرة ضدّ الفرنسيين كان من أبرزها: معركة الكفر ومعركة المزرعة في ٢ آب ١٩٢٥، ومعارك الإقليم الكبرى، ومعركة صلخد، والمسيفرة، والسويداء وغيرها.

عرض الفرنسيون على سلطان الأطرش الاستقلال بالجبل وتشكيل دولة مستقلّة يكون هو زعيمها مقابل وقف الثورة لكنّه رفض بشدّة مصرًّا على الوحدة الوطنية السورية.

عاد سلطان الأطرش إلى سوريا في ١٨ أيّار ١٩٣٧ بعد توقيع المعاهدة السورية الفرنسية عام ١٩٣٦ واستُقبل استقبالاً شعبيًّا هائلاً.

نتائج الثورة

– أجبرت الثورة فرنسا على إعادة توحيد سوريا بعد أن قسّمتها إلى أربع دويلات: دمشق، وحلب وجبل العلويين وجبل الدروز.

– اضطُرّت إلى الموافقة على إجراء انتخابات فازت فيها المعارضة الوطنية بقيادة ابراهيم هنانو وهاشم الأتاسي.

– اضطُرّت فرنسا إلى عزل مفوّضيها الساميين وضبّاطها العسكريين في سوريا وتعيين البدائل عنهم، كما حصل مثلاً مع المفوّض

السامي (سرايل) بعد مهاجمة الثوّار لقصر العظم بدمشق، فعيّنت المسيو دي جوفنيل.

– قُصفت دمشق بالطيران لمدّة ٢٤ ساعة متواصلة.

– أرسلت فرنسا أحد أبرز قيادييها الجنرال غاملان بعد تزايد قوّة الثوّار وانتصاراتهم.

من ذاكرة الثورة

يُذكر أنَّ المجاهد سلطان الأطرش كان مع فرقة من الثوّار يعبرون منطقة جبلية وعرة متّجهين إلى الأردن، ويُقال إنّه قد تمَّ نصب كمين لهم من قِبَل الفرنسيين الذين لم يستطيعوا تتبّعهم من دون تغطية لطيرانهم الجوّي، وفي ساعة مبكرة فوجئ الثوّار بقصف جوّي كثيف وعلى حين غرّة، فراح المجاهدون ينجون بأرواحهم مختبئين بين الصخور المتناثرة على جانبي الطريق، ويُذكر أنَّ المجاهد سلطان ظلَّ ممتطيًا جواده غير آبهٍ لقصف الطيران الفرنسي، وحينما انتهى القصف ظنَّ الثوّار أنَّ سلطان قد استُشهد، وإذا به من بين الدخان يتراءى على فرسه من بعيد، وعلى وقع ذات الخطوات رافعًا رأسه حاضنًا بندقيّته وكأنَّ قصفًا لم يكن... وما إن رآه الثوّار حتَّى راحوا يصيحون "روح يا بطل الله يحييك... الله أكبر... الله أكبر".

النضال ما بعد الثورة السورية الكبرى

لم يتوقّف نضال سلطان الأطرش بعد الثورة، بل شارك أيضًا بفعالية في الانتفاضة السورية عام ١٩٤٥، وكان جبل الدروز بتوجيه منه أسبق المقاطعات السورية إلى طرد الفرنسيين، إذ طوّق أبناؤها مراكزهم وأخرجوهم فكان ذلك بداية خروجهم من سوريا، كما دعا في العام ١٩٤٨ إلى تأسيس جيش عربي موحّد لتحرير فلسطين، وبالفعل تطوّع المئات من الشباب واتّجهوا للمشاركة الفعلية في حرب ١٩٤٨.



الأطرش في الصحراء العربية بعد الانتفاضة

وأثناء حكم الشيشكلي، تعرّض سلطان الأطرش لمضايقات كثيرة نتيجة اعتراضه على سياسة الحكم، فغادر الجبل إلى الأردن في كانون الثاني ١٩٥٤، عندما عمَّ الهياج أنحاء سوريا لا سيّما بين الطلبة الذين كانوا في حالة إضراب مستمرّ، واعتُقل العديد بينهم منصور الأطرش

أحد أبناء سلطان الأطرش، فجرت محاولة درزية لإخراجه من السجن أدّت إلى اشتباك مسلّح سرعان ما تحوّلت إلى معركة في جبل الدروز، وعاد الأطرش إلى بلده بعد سقوط الشيشكلي. أيّد سلطان الأطرش الانتفاضة الوطنية التي قادها الزعيم الدرزي كمال جنبلاط في لبنان عام ١٩٥٨، ضدّ سياسة كميل شمعون، كما بارك الوحدة العربية التي قامت بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨، ووقف بعزم وثبات ضدّ عملية الانفصال عام ١٩٦١.

أيّامه الأخيرة

تفرّغ سلطان الأطرش في أواخر حياته للنشاطات الاجتماعية والتنمية في الجبل، وقد رفض الأطرش أيّ مناصب سياسية عُرضت عليه بعد الاستقلال. وكان الرئيس الراحل جمال عبد الناصر قد كرّم سلطان الأطرش في عهد الوحدة فقلّده أعلى وسام في الجمهورية العربية المتحدة، أثناء زيارته لمحافظة السويداء.

وفي عام ١٩٧٠، كرّم الرئيس السوري الراحل حافظ الأسد الأمير سلطان الأطرش لدوره التاريخي في الثورة السورية.

وفاة الأطرش

توفّي سلطان الأطرش عام ١٩٨٢ نتيجة أزمة قلبية، وحضر جنازته أكثر من مليون شخص. أصدر رئيس الجمهورية حافظ الأسد رسالة حداد شخصية تنعي القائد العام للثورة السورية الكبرى، وأطلق اسمه على شوارع وبنايات عدّة في بلاد الشام، وعيّن يوم رحيله يومًا

تأبينيًّا في كلّ سنة. أمّا الرئيس الراحل ياسر عرفات فقد دشّن له نصبًا تذكاريًّا في مدينة رام الله تحيّة وفاء إلى شهداء الحامية الدرزية، التي أرسلها سلطان الأطرش للدفاع عن فلسطين والذين سقطوا قرب نابلس.



زكي الأرسوزي
(١٩٠٠-١٩٦٨)



زكي الأرسوزي بن نجيب بن ابراهيم مناضل من الطائفة العلوية ومفكّر عربي سوري، وُلد في اللاذقية لأب محامٍ نشط في صفوف الحركة العربية، وأمّ من قرية أرسوز الواقعة على خليج إسكندرون شمال غرب أنطاكية.

وقد انتقلت الأسرة من اللاذقية الى أنطاكية وأقامت فيها زمنًا. وفي سنة ١٩١٤ نفت السلطات العثمانية الأبّ وأفراد أسرته إلى قونية (تركية)، وهنا واصل زكي الأرسوزي الدراسة في مدرسة قونية وأتقن اللغَّة التركية. في سنة ١٩١٩ سافر إلى بيروت، ودرس الفرنسيّة في معهد اللاييك، ثمَّ عاد إلى أنطاكية مدرّسًا للرياضيات في المدرسة الثانوية. وفي سنة ١٩٢٤ عُيّن مديرًا لناحية أرسوز، وبعد نحو سنة نُقل وعُيّن أمين سرّ دائرة المعارف في أنطاكية، وفي سنة ١٩٢٧ سافر إلى فرنسا موفدًا لدراسة الفلسفة في السوربون في باريس، وفي سنة ١٩٣٠ عاد إلى أنطاكية مدرّسًا للفلسفة والتاريخ في المدرسة الثانوية. وبعد ثلاث سنوات نُقل إلى حلب بسبب نشاطه القومي، ثم نُقل إلى دير الزور وسُرّح من الوظيفة في سنة ١٩٣٤.

شارك الأرسوزي في المعركة التي احتدمت للمحافظة على عروبة "لواء الإسكندرونة" فأسهم في قيادة المظاهرات وأسّس جريدة العروبة. وعندما استلب الأتراك اللواء في سنة ١٩٣٨ بناء على الاتّفاق غير الشرعي بينهم وبين فرنسا، التي كانت الدولة المنتدبة على سوريا أنذاك، غادر زكي الأرسوزي اللواء إلى دمشق مع من غادره من سكّانه العرب وفيهم الكثير من أصدقائه وتلاميذه. وفي سنة ١٩٤٠ انتقل للعمل مدرّسًا في بغداد ولكنّه سرعان ما سُرّح من الوظيفة لانتقاده المتكرّر للحكم هناك، وعاد إلى دمشق.

وأمضى في دمشق بين عامَي ١٩٤١ و١٩٤٥ سنواتٍ صعبةً ولكن هذه السنوات وفّرت له فرصة التفرّغ لدراسة العربية، وكانت هذه الدراسة منطلقًا في تفكيره الفلسفي والقومي، واهتمامه باللغة العربية.

وابتداءً من سنة ١٩٤٦ عُيّن زكي الأرسوزي مدرّسًا للفلسفة والتاريخ في ثانويات حماه ثمّ حلب ثمّ في دار المعلّمين في دمشق، واستمرّ في هذا العمل الأخير حتّى إحالته على المعاش سنة ١٩٥٩. وقد منحه المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب في الجمهورية العربية السورية جائزته التقديرية سنة ١٩٦٧، أي قبل سنة من وفاته.

نذر زكي الأرسوزي حياته لقضيّة العروبة والدفاع عنها، وكان المعيار الذي يعتمده في الحكم على سلوك كلّ إنسان عربي درجة الأمانة للعروبة. وكان في ذلك صريحًا ونقّادًا، وكان إلى جانب ذلك حريصًا باستمرار على أن تتحقّق العدالة وعلى إلغاء التمييز بين الناس

من أيّ نوع كان. أمّا تدريسه فكان يغلب فيه أن يتمحور حول حقّ العربي في الحرّية والاستقلال والثقافة والتعليم.

وقد اتّجه تفكير زكي الأرسوزي منذ سنة ١٩٤٠ إلى تأليف حزب عربي قومي شعاره بعث الأمّة العربية ورسالتها إلى العالم. وقد انضمّ إليه عدد كبير من الطلاّب الذين آمنوا بما كان يؤمن به. وفي سنة ١٩٤٧ عُقد المؤتمر التأسيسي الأوّل لحزب البعث، ولكن زكي الأرسوزي كان بعيدًا عن المؤتمر وآثر الانصراف إلى التفكير الفلسفي القومي العربي الذي هو في القاعدة من بناء البعث، وكان كتابه الأوّل "العبقرية العربية في لسانها" المعبّر عن المنطلق الذي أخذ به.

كان الأرسوزي محبًّا للناس، وقد عُرف عنه جلوسه طويلاً في مقهى مفضّلٍ لديه (واحد في حلب وآخر في دمشق) يحدّث الأصدقاء والتلاميذ حديثًا يتّصف بعذوبته وجاذبيّته. أمّا الموضوعات المفضّله لديه فكانت موضوعات اللغة العربية والقومية العربية والوحدة العربية والنظر النقدي إلى الواقع العربي والنضال العربي.

ظلّ الأرسوزي موضع عناية بالغة من أصدقائه وتلاميذه في السنوات الأخيرة من حياته. وقد تألّفت في دمشق بعد وفاته لجنة لتخليد ذكراه أقامت حفلاً تأبينيًّا، وعملت من أجل إقامة تمثال له، نُصب فيما بعد في حديقة في حيّ المزرعة في دمشق سُمّيت بإسمه، كما عملت من أجل جمع آثاره ونشرها. وقد نُشرت هذه الآثار ما بين ١٩٧٢ ـ ١٩٧٦ في ستّة مجلّدات، وفي مقدّمة هذه المؤلّفات: "العبقريّة العربية في

لسانها"، و"رسالة الفلسفة والأخلاق"، و"رسالة الفنّ" و"رسائل المدنية والثقافة" و"الأمّة العربية: ماهيتها ـ رسالتها ـ مشاكلها"، و"صوت العروبة في لواء الإسكندرونة" و"متى يكون الحكم ديمقراطيًّا" و"الجمهورية المثلى" و"التربية السياسية المثلى".

وفي استطاعة المدقّق في مؤلّفات الأرسوزي ورسائله وأحاديثه المعروفة في المناسبات القومية أن ينتهي إلى أن للأرسوزي منحاه الخاصّ في رؤيته الفلسفية للكون والمعرفة والمجتمع والأخلاق والفنّ واللغة.

يذكر الأرسوزي في الحديث عن فلسفته العربية: أنَّ مدخلها رحماني، وأنَّ نهجها فنّي، وأنَّ غايتها الذات، وأنّها مستوحاة من الحياة. إنّها فلسفة عربية لأنَّ أصولها قائمة في اللسان العربي – وجلّ عمل الأرسوزي كشف مكونات هذا اللسان – وهي رحمانية المدخل لأنّها قائمة على التجربة الإنسانية التي تبدأ لدى الإنسان مع الرحم، وموقع الإنسان من الوجود هو موقع الجنين من رحم أمّه حين يصير "المعنى صورة" وتحقّق الحياة ذاتها بإبداع العالم الطبيعي. وهو يرى أنَّ هذه الفلسفة ليست قولاً نظريًّا مجرّدًا، بل هي إضافة إلى ذلك، وقبل ذلك، عمل أي أنّها إسهام الإنسان في فعل إنشاء الكون. ثمَّ إنَّ منهج الفلسفة العربية فنّي: ذلك أنَّ الفنّ تجربة رحمانية تقع أصولها في الحياة، وغرضها تأليف صورة شعرية قابلة للنموّ، وفيها يمثّل المستقبل بأسطورة، وتتفاوت دقّة هذه الصورة ومداها بتفاوت مواهب الفنّانين. وشأن الفنّ في

ذلك شأن الفلسفة والأخلاق والحبّ، وشأن الفنّان شأن البطل وشأن من يتخطّى حدود الواقع وحوادثه ليصل إلى الأعلى.

وفي هذه الفلسفة، في رأيه، تكون الذات أعلى مراتب الوجود الإنساني، وتتحقّق عندما يحوّل الإنسان الحقيقة الكامنة أو المضمرة فيه إلى واقع: أي "عندما تتجسّد الحقيقة في البطل ويصير ذاتًا".

وهو يرى أنَّ في الحياة اتّجاهين: السطح والعمق. يبدو السطح في الكائنات الحيّة المنتشرة في الزمان والمكان. أمّا العمق فيتّصل بالمعنى الذي هو مصدر كلّ حياة وكلّ فعل.

والأمم كما يراها المفكّر العربي زكي الأرسوزي، تتفاوت بتفاوت تكوينها. ولكلّ أمّة من مستوى معيّن رسالة تفصح عن حقيقتها تمكّنها من الاشتراك مع بقيّة الأمم في إيجاد عالم إنساني يتقدّم باستمرار على طريق تحقيق إنسانية الإنسان، وتتجلّى هذه الإنسانية، أكثر ما تتجلّى، في الحرّية والمساواة والمعرفة.

والإصلاح الاجتماعي هو القمّة في العمل الاجتماعي السياسي، ويجب أن يكون كلّ شعب سيّد مصيره، والديمقراطيّة هي من مكوّنات الطبع الإنساني، وممارستها حقّ لكلّ إنسان وواجب عليه، ولا يمكن أن تتحقّق الديمقراطية إلاّ في مجتمع يحترم الرأي الآخر، ويفترض ذلك دستوريّة الحرّيات العامّة ووضع المواطن في ظروف تمكّنه من ممارسة حرّية كاملة. إنّ الدولة هي شخصيّة المجتمع الواعية وهي نزعة الحقّ إلى إحقاق ذاته عند الناس، وأولى مهمّاتها حماية حقيقة الأمّة، وأولى

مهمّات الدولة العربية المحافظة على اللغة العربية التي تتجلّى فيها عبقريّة الأمّة، ومن مهمّاتها كذلك تنظيم الثروة العامّة. ومع تطوّر الحياة غدا إشراك جميع الناس في الحكم وتحديد المصير العام ضرورة ملحّة. وإذا كانت الحرّية هي أمنية الحياة، وكانت الوحدة العربية المثل الأعلى الذي تصبو إليه نفوس العرب قاطبة، فإنّ الاشتراكية هي الطريق الأمثل لإعداد المواطن العربي لهذا المصير ولأن يكون من بناة الدولة وواضعي قوانينها.



ميشال عفلق ما رافق
ولادته وحياته من أحداث



ـ ١٩١٠: ولادة ميشال يوسف عفلق في دمشق من عائلة معروفة بنضالها ضدّ الاستعمار التركي، وهو من الطائفة الأثوذكسية.

ـ ١٩١٦: تفتّح عيني الصبي على مرأى الجنود الأتراك يقتحمون المنزل لاعتقال والده بسبب نضاله ضدّهم؛ وكذلك الاستماع إلى أخبار بطولات شهداء السادس من أيّار.

ـ ١٩١٨: استقبال الأمير فيصل أوّل حاكم عربي في دمشق وفي بيت والده يوسف عفلق بالذّات.

ـ ١٩٢٥: قيام أسرة ميشال عفلق بدور رئيسي في الثورة الوطنية الكبرى التي قادها سلطان الأطرش.

ـ ١٩٢٨: مغادرة ميشال عفلق إلى باريس لدراسة التاريخ في جامعة السوربون.

ـ ١٩٣٣: العودة إلى دمشق مع صلاح الدين البيطار وبدء النشاط لتحقيق الهدف.

ـ ١٩٤١: تأسيس "حركة الإحياء العربي".

ـ ١٩٤١: تأسيس "حركة نصرة العراق".

ـ ١٩٤٧: تتويج تلك المرحلة بتأسيس "حزب البعث العربي" مع صلاح الدين البيطار والدكتور مدحت البيطار.

ـ ١٩٤٨: تطوّعه للقتال أثناء حرب فلسطين.

ـ ١٩٥٢: تمّ دمج "حزب البعث العربي" مع "الحزب العربي الاشتراكي" بقيادة أكرم الحوراني، ليصبح حزب البعث العربي الاشتراكي.

ـ ١٩٥٦: دعوته إلى الوحدة بين سوريا ومصر.

ـ ١٩٥٨: قيام الوحدة.

ـ ١٩٦٤ ـ ١٩٦٧: انشقاقات حزبية تلتها انتكاسة حزيران ٦٧ التي أثّرت عليه نفسيًّا ودفعته إلى عطاءات فكرية جديدة عن العمل المستقبلي والإيمان بالنصر.

ـ ١٩٦٨: استيلاء جناح حزب البعث العربي الذي يدعمه ميشال عفلق على السلطة في العراق.

ـ ١٩٧٥: مع انفجار الحرب اللبنانية انتقل من بيروت إلى بغداد مزاولاً مهمّاته كأمين عام مؤسّس للحزب.

ـ ١٩٨٩: توفّي عفلق على أثر عمليّة جراحية أُجريت له في إحدى مستشفيات باريس. فأقامت الحكومة العراقية له تأبينًا مهيبًا لمماته ودفنته في بغداد في قبر مزخرف تحت قببٍ زرقاء في الحديقة الغربية لمقرّ القيادة القومية لحزب البعث في بغداد عند تقاطع شارع الكندي مع طريق القادسية السريع. وادّعت الحكومة العراقية آنذاك اعتناق ميشال

الإسلام قبل مماته إلاّ أنَّ المقرّبين لا يتّفقون كلّهم على صحّة هذا الخبر.

في تشرين الثاني ٢٠٠٣، قامت قوّات الاحتلال في العراق السرية بتدمير قبر ميشال عفلق إثر قرار مجلس الحكم الانتقالي باجتثاث البعث. العديد من الجهّات استنكرت ذلك العمل. وفي آذار ٢٠٠٤، أحبط الأردن محاولة تهريب شاهد القبر الخاصّ به إلى الأردن.



الأمير عادل أرسلان

(أمير السيف والقلم)



الأمير عادل حمود أرسلان (١٨٨٧- ١٩٥٤)، مجاهد من قادة ثورة الاستقلال في سوريا. هو شقيق الأميرين شكيب ونسيب. كان عضوًا في مجلس النوّاب العثماني. التحق بجمعيّة "العربية الفتاة" السرّية وشارك في حكومة الملك فيصل الأول في دمشق. غادر سوريا بعد دخول الفرنسيين إليها وحُكم عليه غيابيًّا بالإعدام. رحل إلى مكّة ومصر. ثمَّ انضمّ سنة ١٩٢٥ إلى الثورة السورية الكبرى بقيادة سلطان الأطرش، ولمّا أُخمدت الثورة ظلَّ منفيًّا عن البلاد عشر سنوات. عاد إلى سوريا سنة ١٩٣٦، لكنّه غادرها مرة أخرى إلى تركيا خلال الحرب العالمية الثانية. رجع إلى الوطن بعد جلاء الفرنسيين عام ١٩٤٦، وتولّى أعمال بعض الوزارات. عُيّن نائبًا لرئيس الحكومة خلال حكم الضابط حسني الزعيم، لكنّه استقال بعد فترة قصيرة. عُيّن سفيرًا في أنقرة ثمّ اعتزل العمل السياسي وكتب مذكّراته المؤلّفة من أربعة مجلّدات.

* * *

أكرم الحوراني

شخصيّة سياسية سورية بارزة، وُلد في مدينة حماه السورية عام ١٩١١م وتوفّي في عمّان عام ١٩٩٦م.

- نشأته ومراحل تعليمه

تعلّم أكرم الحوراني في مدرسة دار العلم والتربية مع أبناء الأسر الإقطاعية، وقد أسّس هذه المدرسة الملك فيصل الأول بن الحسين قرب قصر العظم في حماه. وقد تأثّر أكرم الحوراني بأستاذه عثمان الحوراني الذي كان يدرّسه مادّة التاريخ. كان من المشاركين في ثورة ١٩٢٥، لذا بدأ وعي أكرم الحوراني السياسي يتكوّن على وقع أحداث ثورة سورية الكبرى (١٩٢٥ـ١٩٢٧).

بعد تخرّجه من معهد العلم والتربية في حماه، ذهب إلى دمشق وانتسب إلى مدرسة النخبة الثانوية التابع للدولة (مكتب عنبر) والتي خرّجت عددًا من القادة الوطنيين، ومنها تخرّجَ أكرمِ الحوراني وكان من الأوائل، ثمَّ انتسب إلى الجامعة اليسوعية في بيروت لدراسة الطبّ، لكنّه عاد بعد سنة إلى دمشق (١٩٣١) حيث التحق بجامعتها لدراسة الحقوق، وكان سبب تركه لبيروت هو اشتراكه في التخطيط لاغتيال النائب صبحي بركات. وبعد تخرّجه من كليّة الحقوق عمل الحوراني في المحاماة إلى أن انتُخب عام ١٩٤٣ نائبًا في البرلمان.

- انخراطه في العمل السياسي

كان أوّل اشتراك لأكرم الحوراني في العمل السياسي المنظّم في عام ١٩٣٦ بعد تخرّجه من كليّة الحقوق، عندما انتسب إلى الحزب السوري القومي الاجتماعي منجذبًا إلى المبادئ العلمانية لهذا الحزب (فصل الدين عن الدولة، القضاء على الإقطاع وتنظيم الاقتصاد القومي على أساس مصلحة الأمّة والدولة، تكوين جيش قوي...) وبقي في هذا الحزب كعضو ناشط إلى أن فُصل منه سنة ١٩٣٩.

في عام ١٩٤١، سافر أكرم الحوراني وبعض ضبّاط الجيش السوري ومتطوّعون آخرون من بقيّة الطيف السياسي الوطني إلى بغداد لمؤازرة ثورة رشيد عالي الكيلاني ضدّ البريطانيين، وبعد أن تمكّن البريطانيّون من قمع الثورة، عاد الوطنيّون (الحوراني ومن معه) من العراق إلى سوريا.

قاد الحوراني انتفاضة الفلاّحين في ريف حماه ضدّ الإقطاعيين، فانتُخب نائبًا عن حماه سنة ١٩٤٣، ١٩٤٧، ١٩٤٩، كما ساهم في التحريض على الوجود الفرنسي في مدينة حماه عام ١٩٤٥.

وبعد انتخابه عام ١٩٤٣، عزّز الحوراني صلاته ببعض الضبّاط الشباب الذين تخرّجوا من الكلّية العسكرية في حمص أمثال عدنان المالكي وأديب الشيشكلي. وكان الحوراني ورفاقه عفلق والبيطار ينظرون إلى الجيش دائمًا كأداة للوصول إلى الحكم، وليس كمؤسّسة لحماية البلاد.

ولقد بقيت صلة الحوراني بالجيش الركيزة الأساسية في سياسته والتي أكسبته نفوذًا كبيرًا فقد كان الحوراني ورفاقه من روّاد البعث أكثر السياسيين تحمّلاً لمسؤوليّة تسييس الجيش بعد الاستقلال.

في أوّل أمره تولّى الحوراني وزارة الزراعة وأحدث فيها بعض ما كان يظنّه إصلاحًا. وفي شهر كانون أوّل ١٩٤٩ تولّى أكرم الحوراني وزارة الدفاع في حكومة خالد العظم، ثمّ ما لبث أن استقال منها في شهر نيسان. وكانت سياسته في وزارة الدفاع السيطرة على الجيش، وربط العلاقات الشخصية، لتوظيفها في مشروعه السياسي، وقد استفاد من البعثات التي وزّعها على أصدقائه في توكيد هذه العلاقات. وكان له دور بارز في بناء جهاز مخابرات الجيش لإحكام السيطرة عليه.

وقف الحوراني عندما كان وزيرًا للدفاع إلى جانب الشيوعيين في المجلس البرلماني ضدّ الأحلاف وضدّ الإخوان المسلمين بأسم العلمانية والتحرّر متّهمًا إيّاهم بالعمالة للاستعمار. حصل في تشرين أوّل ١٩٥٠ على ترخيص لتأسيس الحزب العربي الاشتراكي وجعل مدينة حماه مقرّه الرئيسي.

نظّم الحوراني أتباعه من الفلاّحين في الحزب العربي الاشتراكي، واستخدمهم ضدّ الملاّكين الكبار. وبلغت حملة التحريض أوجها في مؤتمر في حلب (أيلول ١٩٥١) الذي حضره ألوف من الفلاّحين، فكان أوّل مؤتمر من هذا النوع (الثوري) في الوطن العربي، واشتدّت الحملة

وتحوّل التحريض إلى أعمال عنيفة، فأحرقت المحاصيل وأطلقت النيران على بيوت الملاّكين.

وعندما سيطر الشيشكلي حليف الحوراني على الحكم وأخذ يكمّم الأفواه ويلقي القبض على معارضيه هرب الحوراني على عادته عبر الجبال إلى لبنان، وهناك انضمّ إليه ميشال عفلق وصلاح البيطار اللذان هربا هما أيضًا من اضطهاد الشيشكلي. هناك في منفاهم عام ١٩٥٢ قرّر الثلاثة دمج حزبَي البعث العربي والعربي الاشتراكي ليصبح حزب البعث الاشتراكي.

- موقفه من الوحدة بين سوريا ومصر

عندما تحقّقت الوحدة بين مصر وسوريا في شهر شباط عام ١٩٥٨، وقف الحوراني موقفين مزدوجين وبالغي التناقض: مرّة كمدافع متحمّس إلى الوحدة مع مصر، وهي التي ما إن تحقّقت حتَّى سُمّي فيها نائبًا لرئيس الجمهورية العربية المتحدة جمال عبد الناصر، ومرّة حين انقلب على الوحدة واستقال من مسؤوليّاتها في ١٩٥٩، فهرب الحوراني منذ ذلك التاريخ إلى لبنان وشرع يشنّ الهجوم تلو الهجوم على مصر، وما كاد انقلاب ٢٨ أيلول عام ١٩٦١ ينهي حكم الوحدة حتَّى انتقل الحوراني إلى دمشق وبات من أركان العهد الانفصالي هو ورفاقه.

وبقيام انقلاب ٨ آذار عام ١٩٦٣ الذي حمل البعث إلى السلطة كان الحوراني أحد المغضوب عليهم الذين بالغوا في الخروج من بيت الحزب الواحد، وإذا بالضبّاط الذين أدخلهم الحوراني إلى الحزب والسياسة

يخرجونه من السياسة ويجرّدونه من حقوقه المدنية فضلاً عن اعتقال دام فترة وجيزة. ثمَّ ما لبث أن لحق به صاحباه عفلق والبيطار في شباط ١٩٦٦.

ومنذ ذلك الوقت وأكرم الحوراني يتجوّل في بلاد الله الواسعة، من بيروت إلى بغداد، ومن بغداد إلى باريس، ومنها إلى عمّان، خائب الأمل.

- وفاته

توفّي أكرم الحوراني في عمّان في شباط عام ١٩٩٦ ودُفن فيها. شارك في جنازته بضعة أشخاص ربما لا يتجاوز عددهم أصابع اليد.



جميل مردم بك



سياسي ووطني ومناضل سوري، وُلد في دمشق عام ١٨٩٣، ناضل ضدّ الاستعمار الفرنسي، هو من الذين صنعوا استقلال سوريا، ناضل بالدم والمال من أجل سوريا.

في عام ١٩١١ أسّس في باريس تجمّعًا سمّاه الجمعية العربية الفتاة وتهدف الجمعية إلى تحرير سوريا والأرض العربية من الهيمنة الأجنبية، وانضمّ جميل مردم بك في دمشق إلى حزب الشعب عام ١٩٢٥ وأسهم وشارك في المعارك ضد الاستعمار الفرنسي وقدّم الكثير للمقاومة السورية ولاحقته السلطات الفرنسية وفي عام ١٩٢٨ انتُخب نائبًا عن مدينة دمشق وبقي ينتخب حتّى عام ١٩٤٨ وتسلّم منصب وزير عام ١٩٣٢ وانسحب واستقال بسبب الخلافات.

شكّل حكومته الأولى عام ١٩٣٦ وحتّى عام ١٩٣٨ وأصبح وزيرًا للخارجية السورية عام ١٩٤٣ حتّى عام ١٩٤٤، ثمّ وزيرًا للدفاع والاقتصاد عام ١٩٤٥ حتّى عام ١٩٤٦ شكّل بعدها حكومته الثانية حتّى عام ١٩٤٨ حتّى قيام حسني الزعيم بانقلابه العسكري حيث هرب إلى القاهرة وفيها قام بأعماله التجارية والخاصّة حتّى وفاته في مصر ونُقل جثمانه إلى دمشق ودُفن فيها.

معروف الدواليبي



الدكتور محمَّد معروف الدواليبي (١٩٠٧م / ٢٠٠٤م)، سياسي سوري من أهالي حلب، لعب دورًا هامًّا في تاريخ سوريا من عام الاستقلال ١٩٤٧ لغاية عام ١٩٦٢، وكان شخصيّة مستقلّة إلى حدّ كبير. توفّي عن عمر يناهز ٩٣ عامًا وذُفن في البقيع في المدينة المنوّرة.

- الوظائف والمهام الإسلامية

- نائب حلب في مجلس النوّاب السوري منذ عام ١٩٤٧ حتّى ١٩٦٣.
- وزير الاقتصاد الوطني السوري عام ١٩٥٠.
- رئيس مجلس النوّاب السوري سنة ١٩٥١.
- رئيس الوزراء ووزير الدفاع السوري في أواخر عام ١٩٥١.
- وزير الدفاع الوطني السوري عام ١٩٥٤.
- رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية السورية عام ١٩٦١-١٩٦٢.
- مستشار في الديوان الملكي السعودي منذ عام ١٩٦٥.
- رئيس مؤتمر العالم الإسلامي.

صلاح البيطار



صلاح الدين البيطار (١٩١٢م - ١٩٨٠م)، سياسي سوري وأحد مؤسّسي حزب البعث مع ميشال عفلق. وُلد عام ١٩١٢ في حيّ الميدان في دمشق.

- **الدراسة**

سافر إلى فرنسا ودرس الفيزياء في جامعة السوربون. تعرّف هناك إلى عفلق وأسّسا معًا اتّحاد الطلبة العرب في فرنسا. رجع إلى سوريا سنة ١٩٣٤م ليزاول التدريس في مدرسة تجهيز العلا.

في عام ١٩٣٤ عاد البيطار إلى دمشق بعد إنهاء دراسته، فعُيّن مع ميشال عفلق في مدرسة التجهيز الكبرى، فدرّس علم الفلك والفيزياء بينما درّس عفلق مادّة التاريخ. منعت الجهّات الحكومية أيّ نشاط لهما وبذلك سُدّت الأبواب في وجهيهما فعمدا إلى تقديم استقالتيهما من التدريس عام ١٩٤٢.

اختارا أن يكون مقرّهما في مقهى الطاحونة الحمراء، القريبة من مدرسة التجهيز ليتسنّى لهما الالتقاء بالطلاّب، كما أسّسا مجلّة أسمياها (الطليعة) لنشر مبادئهما.

- **العمل السياسي**

ساهم في سنة ١٩٣٩م بتأسيس منظّمة الإحياء العربي التي تحوّلت في ما بعد إلى حزب البعث العربي. وفي سنة ١٩٤٥ تمَّ انتخاب

أوّل مكتب سياسي لحزب البعث. وفي سنة ١٩٤٧م، عقد البعث أوّل مؤتمراته حيث انتُخب البيطار فيه أمينًا عامًّا.

اندمج الحزب كما ذكرنا سنة ١٩٥٣م مع الحزب العربي الاشتراكي ليصبح اسمه حزب البعث العربي الاشتراكي وأصدر المؤسّسان صحيفة خاصّة بإسم البعث، وعقد الحزب أوّل مؤتمراته في عام ١٩٤٧، حيث تمّ انتخاب صلاح البيطار عضوًا في القيادة القومية باعتباره المؤسّس الثاني لحزب البعث بعد ميشال عفلق عميد الحزب. وفي عام ١٩٤٨م سُجن صلاح البيطار خارج مدينة دمشق، بسبب معارضته تجديد رئاسة شكري القوتلي للجمهورية السورية. وفي عام ١٩٤٩ اعتقله الرئيس حسني الزعيم مع باقي أعضاء القيادة القومية للحزب، بسبب معارضتهم لبعض سياساته، وفي عام ١٩٥٢م أصدر أديب الشيشكلي أمرًا باعتقال صلاح البيطار مع رفيقه عفلق وأكرم الحوراني بسبب تحريضهم للطلاّب الجامعيين على مناهضة حكمه، لكنّهم استطاعوا مغادرة دمشق سرًّا إلى بيروت ثمّ توجّهوا منها إلى روما.

ساهم سنة ١٩٥٤م بالإطاحة بأديب الشيشكلي. في ١٩٥٦/٦/١٤م في عهد شكري القوتلي، عُيّن صلاح البيطار وزيرًا للخارجية في حكومتَي صبري العسلي الثالثة والرابعة، وبعد قيام الوحدة في ١٩٥٨/٢/٢٢م بين سوريا ومصر عُيّن البيطار نائبًا لرئيس الجمهورية العربية المتحدة جمال عبد الناصر. استقال من منصبه في ديسمبر ١٩٥٩م وكان من الموقّعين على وثيقة الانفصال عام ١٩٦١م مشاركة

منه في الحكم السوري الجديد، لكنّه ما لبث أن تراجع عنها لأنّها ضدّ وحدة النضال في الوطن العربي.

بعد وصول البعث إلى الحكم في ٨ آذار ١٩٦٣، تولّى صلاح البيطار رئاسة الوزراء أربع مرّات، وإثر قيام حركة ١٩٦٦/٢/٢٣ التي قام بها صلاح جديد اعتُقل البيطار لكنّه استطاع الفرار إلى لبنان، فصدر حكم غيابي بإعدامه عام ١٩٦٩.

في كانون الثاني ١٩٧٨ استدعاه حافظ الأسد الذي كان يأمل في أن يستقرّ البيطار في دمشق كثقل مضاد لعفلق المؤسّس الأوّل لحزب البعث والذي استقرّ في بغداد، لكن خمس ساعات من المحادثات فشلت في رأب الصدع بينهما، فعاد البيطار إلى باريس وأنشأ مجلّة دورية أُطلق عليها اسم (الإحياء العربي)، وهو الإسم القديم الذي بدأ به، شنّ في أعمدتها حملات للمطالبة بالحرّيات العامّة والديمقراطية وحقوق الإنسان في سوريا ممّا دفع السلطات الأمنية في سوريا إلى اغتياله بمسدّس كاتم للصوت في باريس في ٢١ تمّوز ١٩٨٠.



عدنان المالكي

هو عدنان محمَّد شمس الدين المالكي، وُلد في دمشق عام ١٩١٩.

- **حياته**

درس عدنان المالكي المرحلة الابتدائية والثانوية في مدارس دمشق، واشتُهر بتفوّقه الدائم وجرأته الأدبية وكان منذ صغره ميّالاً للجندية وشديد الشغف بمطالعة سيرة أبطال التاريخ العسكري وبدراسة تاريخ المعارك الحربية الكبرى. وما كاد يتمّ دراسته الثانوية عام ١٩٣٧ حتّى التحق بالكلّية العسكرية في حمص وتخرّج منها عام ١٩٣٩ برتبة مرشّح ضابط، ورُفع عام ١٩٤٠ إلى رتبة ملازم ثان، وخدم في الجيش في قطاعات مختلفة حيث كانت تُسند إليه مهام تدريب الجنود والرقباء، كما عُيّن مدرّبًا في الكلّية العسكرية.

- **في فترة الاحتلال الفرنسي**

ولم يكن يفتأ المالكي خلال خدمته في الجيش تحت إمرة القيادة الفرنسية من نشر الروح الوطنية بين مرؤوسيه من ضبّاط ونقباء وجنود مذكّرًا إيّاهم دومًا أنَّ الجيش للوطن، وكان نشاطه الوطني يقلق القادة الفرنسيين وكانت له مواقف مشهورة معهم، فوُضع تحت الرقابة الشديدة إلى أن تفاقمت الحوادث بين السوريين والقوّات الفرنسية، فالتحق بالقوّات

السورية ومن ثمَّ عُيِّن عضوًا في لجان تسليم قوّات ومعدّات الجيش الخاصّ من قِبَل الفرنسيين إلى الحكومة السورية.

- بعد الاستقلال

كان المالكي في عام ١٩٤٨ حين نشبت حرب فلسطين آمرًا لدورةٍ في الكلّية العسكرية فاختصرها والتحق مع عناصر الكلّية في الجبهة العسكرية حيث تسلّم قيادة سرّية مشاة مؤلّفة من عناصر احتياطية، فخاض غمار الحرب بشجاعة، وقام خلال معركة (مشمار هايردين) بإمكانيّات محدودة باحتلال التلّ المشرف على تلك المستعمرة اليهودية والذي سُمّي بعد السيطرة عليه (التلّ المالكي) وقد أصيب بجرح بليغ في رأسه لم يكد يبرأ منه حتّى أسندت له قيادة الفوج الثامن الذي قام هو بتشكيله وتدريبه وساهم بفكّ الحصار عن جيش الإنقاذ في الجبهة اللبنانية. وعاد إلى قيادته ليلتقي ثناءها وتشجيعها.

اجتاز عدنان المالكي بتفوّق دورة المدرسة الحربية العليا في فرنسا والتي أهّلته شهادتها لحمل لقب ضابط (ركن مجاز)، وبعد الجلاء ساهم مساهمة فعّالة في تأسيس الجيش السوري حيث أسّس مدرسة صفّ الضبّاط وخرّج أولى دوراتها وكان مديرًا لدورات عدّة في الكلّية العسكرية. اشترك في تنفيذ انقلاب حسني الزعيم في ٣٠ آذار ١٩٤٩. كما حاول في عهد أديب الشيشكلي أن يقود حركة تمرّد، أدّت إلى اعتقاله وبقائه في السجن ما يزيد على سبعة أشهر.

وبعد عودة الحكم الوطني للبلاد برئاسة هاشم الأتاسي كما عاد عدنان المالكي إلى الجيش وتسلّم منصب معاون رئيس الأركان العامّة، وكان يعمل على توظيف الجيش لمصلحة حزب البعث الذي كان يتحالف معه تحالفًا قويًا.

- اغتياله

تمَّ اغتيال العقيد المالكي في الملعب البلدي بدمشق يوم ٢٢ أبريل ١٩٥٥ خلال مباراة لكرة القدم كان يرعاها بين منتخبَي سوريا ومصر. وارتكب جريمة القتل رقيب في الجيش السوري يُدعى يونس عبد الرحيم، كان مُكلّفًا بحراسة المنصّة الرئيسية، وقد تمَّ إطلاق الرصاص على القاتل فورًا من قِبَل أحد مساعدي الشرطة العسكرية فأرداه قتيلاً. تمَّ تحميل الحزب القومي السوري مسؤوليّة الاغتيال فتمّت ملاحقة أعضائه وتصفيتهم.



سعد الله الجابري



سعد الله الجابري (١٨٩٤ ـ ١٩٤٨) وُلد في حلب لعائلة عريقة مشهورة بالوطنية والثراء. صحا على اجتماعات واتّصالات تقوم بها عائلته مع رجالات البلد، حيث كان القوم يجتمعون في منزل الشيخ عبد الحميد الجابري للتداول في أمور البلاد وما آلت إليه.

ـ بداياته

أنهى سعد الله دراسته الثانوية في حلب، وذهب إلى اسطنبول لمتابعة دراسته في الكلّية الملكية السلطانية، فاتّصل هناك بالشباب العربي في الأستانة وأسّسوا جمعيّة العربية الفتاة وأقسموا اليمين للعمل على استقلال البلاد العربية.

ذهب سعد الله إلى ألمانيا حيث درس سنتين وعاد إلى اسطنبول بمناسبة إعلان الحرب العالمية الأولى، فجُنّد في الجيش العثماني (كجك ضابط) وقضى مدّة الحرب هناك.

عندما انتهت الحرب عاد سعد الله إلى حلب، ودخل في حركة حقوق الإنسان، ولمّا قامت الثورات عام ١٩١٩ على أثر نيّة الحلفاء تقسيم البلاد العربية ودخول الفرنسيين سوريا؛ كان سعد الله الجابري على اتّصال بزعيم الثورة في الشمال ابراهيم هنانو يؤيّد ثورته ويدعمه، كما اتّصل بشكري القوتلي وغيره من العناصر الوطنية.

- مواجهته للاحتلال الفرنسي

ونظرًا لجرأة الجابري في مواجهة الفرنسيين، فقد اعتُقل في سجن أرواد مدّة من الزمن مع هاشم الأتاسي وجماعة من الوطنيين. وحين أعلنت السلطة الفرنسية استعدادها لإقامة حكم دستوري في البلاد، كان الوطنيّون قد قرّروا في مؤتمرهم الدخول في الانتخابات، ولمّا انتُخب ابراهيم هنانو والجابري لأوّل مجلس تأسيسي رأى الفرنسيون أنَّ هذا المجلس لا يمكن أن يخدم مصالحهم، لذا عمدوا إلى إلغائه، فعاد الوطنيون إلى النضال وقامت المظاهرات والاحتجاجات واعتُقل الجابري. وبعدما أُفرج عنه تنادى الوطنيون لوضع ميثاق الكتلة الوطنية ونظامها الأساسي فكان هاشم الأتاسي رئيسًا وابراهيم هنانو والجابري نائبين للرئيس.

لمّا رفضت الكتلة الوطنية معاهدة عام ١٩٣٣، قامت المظاهرات في جميع أنحاء سوريا وجرت اعتقالات للوطنيين وكان من بينهم سعد الله الجابري حيث صدر عليه حكم بالسجن ثمانية أشهر.

شغل الجابري وزارتي الداخلية ثمّ الخارجية في وزارة جميل مردم بك، في أوّل حكومة وطنية كان فيها هاشم الأتاسي رئيسًا للجمهورية. لكنَّ الفرنسيين أثاروا الفتن والنعرات الطائفية ممّا أدّى إلى تعطيل الدستور وإنهاء الحكومة، فاستقال رئيس الجمهورية وكانت نهاية العهد الوطني.

- ما بعد الاستقلال

عندما انتُخب شكري القوتلي لرئاسة الجمهورية في ١٩٤٣/٨/١٧، تولّى الجابري رئاسة وزارته. هذه الوزارة التي أدّى عنادها الوطني إلى قيام الفرنسيين بعدوانهم على سوريا عام ١٩٤٥، وفي عهد وزارته أيضًا تمَّ جلاء القوّات الفرنسية عن البلاد.

كان سعد الجابري رئيس الوفد السوري في توقيع بروتوكول الإسكندرية، ورئيس وفدها في اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي العام، كما حضر إعلان إنشاء لتأسيس الجامعة العربية.

مرض سعد الله الجابري في آخر زيارة له إلى مصر، حيث كان هناك لحضور مجلس الجامعة العربية عام ١٩٤٧، فبقي في الإسكندرية للتداوي، إلاّ أنَّ رئيس الجمهورية شكري القوتلي طلب منه الاستقالة من رئاسة الوزارة فاستقال.

رجع الجابري إلى حلب وقضى فيها بضعة أشهر، وما لبث أن وافاه الأجل في حزيران عام ١٩٤٧.



حسن الأطرش

أمير درزي، كان محافظاً لمدينة السويداء السورية، أحبّ الفنّانة أسمهان وتزوّجها وأنجب منها ابنته "كاميليا" لكن زواجهما لم يستمرّ سوى ستّ سنوات. كان الأمير حسن أوّل البادئين بالحركة الثورية في جبل الدروز، حيث حصل انقلاب أبيض بقيادة الأمير حسن أطرش الذي اعتقل جميع الضبّاط الأفرنسيين ووضعهم تحت الحراسة في دار المحافظة. وهجم أهالي السويداء على ثكنات الجيش واستولوا على الأسلحة ثمّ قصدوا دار المحافظة يطالبون برؤوس الضبّاط. لكنَّ الأمير حسن أطلّ من على شرفة المحافظة قائلاً للجمهور الهائج: "متى كان الدروز يقابلون أخصامهم وهم مجرّدون من السلاح؟ إنَّ الضبّاط أصبحوا أسرى بين أيدينا، وللأسير حرمته. فإذا شئتم قتل أسراكم فتفضّلوا واقحموا المحافظة. وإذا أردتم أن تحافظوا على شهامة الدروز وعاداتهم النبيلة فعليكم أن تعودوا إلى بيوتكم".

كانت هذه الكلمة كافية لإعادة الهدوء والسكينة إلى السويداء، إنّما أصرّ الأمير بأن تُرفعِ الأعلامِ السورية على جميعِ ثكنات الجبل.

***

عبد الحميد السراج



السراج، عبد الحميد: سياسي وضابط سوري، وُلد في حماه عام ١٩٢٥. تخرّج من الكلّية الحربية في حمص وواصل دراسته في كليّة أركان الحرب في باريس وتخرّج منها عام ١٩٤٧. تطوّع للقتال في فلسطين عام ١٩٤٨. أصبح في مارس (آذار) ١٩٥٥ رئيسًا لمكتب المخابرات. شغل في عهد الوحدة منصب وزير الداخلية ورئيس المكتب التنفيذي للإقليم الشمالي. نظّم جهاز الشرطة والأمن في سوريا وفرض على البلاد حكمًا صارمًا. كان واحدًا من الأسباب التي أدّت إلى انهيار الوحدة لاحقًا. عيّنه عبد الناصر نائبًا له بهدف تقليص نفوذه، فاستقال من هذا المنصب في ٢٦ أيلول ١٩٦١. لجأ إلى مصر بعد الانفصال، وعُيّن هناك في عدد من المناصب الإدارية.



فؤاد سليم

وُلد فؤاد سليم في بلدة بعقلين الشوف (لبنان) في ١١ تشرين الثاني من العام ١٨٩٤، وقرية عائلته هي جباع الشوف، تلقّى علومه في عدّة مدارس وذلك بسبب تعدّد الانتقال من مكان إلى آخر، المرتبط بمهنة والده الذي كان طبيبًا رسميًّا لقضاء الشوف، كما التحق بالجامعة الأميركية في بيروت. مضت عليه سنتان متنقّلاً بين معلّم ومطالع ودارس، وبعد ذلك طلبه الشيخ أحمد عبّاس الأزهري (مدير الكلّية العثمانية في بيروت) ليكون معلّمًا عنده، فمكث يعلّم في "العثمانية" سنتين، وكانت خلالها بيروت تغلي "بالحركة الإصلاحية" (أي حزب اللامركزية)، ولكن فؤاد سليم لم يتعرّض لهذه الحركة إلاّ من خلال ما ورد في إحدى الرسائل التي وجّهها إلى صديقه ملحم عجاج غرز الدين من بعورته إذ يقول: "أحوال بيروت حسن الآن، ولا نعلم ما ستفعل "الجمعية الإصلاحية" في المستقبل، عساها تبرهن عن حياة في هذه المرّة"، وتاريخ هذه الرسالة يعود إلى ١٨ أيّار ١٩١٢.

عندما وقعت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ كان فؤاد سليم يعمل مديرًا لمدرسة بسكنتا. وعندما أعلن الشريف حسين بن علي الثورة العربية ضدّ الأتراك في حزيران ١٩١٦، صمّم على الالتحاق بالثورة وتمكّن من إقناع والده بمساعدة شقيقته الكبرى التي كانت تشاركه روحه النضالية الوثابة. أمّا والدته الجركسية الأصل وابنة علي غالب باشا من

كبار موظّفي الدولة العثمانية فقد تفهّمت دوافع ابنها في الانضمام إلى الثورة وشاركته الرأي في ضرورة الانتفاض على الظلم. وحقّق رغبته بالالتحاق في الثورة بعد أن دخلت جيوش "فيصل بن الحسين" مدينة العقبة في تمّوز ١٩١٧، فانطلق من جبل لبنان إلى جبل العرب حيث ساعده أقرباؤه من قرية (المجيمر) في الوصول إلى شرقي الأردن، وقدّم نفسه للأمير "فيصل" الذي عهد إليه بالإشراف على جريدة عسكرية خاصّة بالجيش العربي. ولكن فؤاد... لم يقبل أن يبقى بعيدًا عن المعارك، فطلب الانتقال إلى قطعات الجيش المقاتلة، والتحق بمفارز التدمير وعُيّن ضابطًا في مفرزة التخريب التي استهدفت خطّ سكّة حديد الحجاز لمنع الأتراك من استخدامها.

وتابع فؤاد نضاله ضدّ الفرنسيين، فقاد فصائل الثوّار في البقاع ووادي التيم (راشيا وحاصبيا ومرجعيون) ضدّ القوّات الفرنسية، وورد اسم فؤاد سليم في بنود (إنذار غورو) الشهير، والموجّه إلى الحكومة العربية في دمشق، بأن تقوم تلك الحكومة بوقف نشاط هؤلاء الثوّار.

وفي معركة ميسلون ٢٤ تمّوز ١٩٢٠ كان فؤاد في طليعة الضبّاط البواسل الذين صمدوا وسط لهيب القتال.

وبعد أن قضى الفرنسيون على الدولة الناشئة في دمشق، نزح قادة ثوّار العرب إلى شرقي الأردن، فتابع عمله في "الجيش العربي" وتولّى رئاسة أركان ذلك الجيش وكان برتبة عقيد وتزعّم الضبّاط المنتمين إلى حزب الاستقلال الذي عمل على تنظيم الصفوف لمحاربة المستعمرين.

وعندما علم فؤاد باندلاع الثورة السورية الكبرى في صيف ١٩٢٥، سارع للالتحاق بها، وحاول الإنكليز منعه من السفر، فما كان منه إلاّ أن خرج بوسائله الخاصّة، واجتاز صحراء سيناء على ظهر جمل، ووصل إلى فلسطين واجتاز نهر الأردن سباحة، ودخل الأردن خلسة، ومن عمّان اصطحب شقيقه نصري وغادرا إلى جبل العرب حيث التحق بقيادة الثورة، وشارك في معركة المسيفرة وكان من أركان الثورة.

بعد الانتصارات العديدة التي حقّقها الثوّار، جهّزت الجيوش الفرنسية حملة لاحتلال مجدل شمس – قاعدة الثوّار – وانطلقت الحملة الفرنسية من القنيطرة باتجاه مجدل شمس واحتلت قرى بقعاثا ومسعدة ودمّرتها رغم المقاومة البطولية للثوّار، واقتربت من مجدل شمس، فتحصّن الثوّار أمامها، وأشرف فؤاد سليم على تنظيم دفاعات الثوّار حول القرية، وبدأت الاشتباكات في ١٩٢٥/١٢/١ وحصلت مواجهات بطولية حاسمة استبسل فيها الثوّار.

وفي اليوم الثالث من هذه المعركة كان فؤاد يقود الثوّار في الجناح الشرقي لجبهة الدفاع عن مجدل شمس غربي قرية سحيتا، فأصيب بشظيّة مدفع على رأسه، وتلقّاه قائد الحملة زيد الأطرش ولفظ أنفاسه الأخيرة بين يديه... وكان ذلك يوم الخميس ٣ كانون الأوّل ١٩٢٥.

وإذا كانت أسلحة الفرنسيين قد قتلته... وجاءت جرّافات الصهاينة ودمّرت قبره فإنّ فؤاد سليم قد أصبح جزءًا من تراب الجولان، ودخل كلّ

ذرّة من تراب الوطن مؤكّدًا باستشهاده وحدة المعركة القومية ضدّ الغزاة ومغذّيًا أزاهير الوطن الحمراء... وصمود المناضلين الأبطال الشرفاء.



مراجع الكتاب

- بيهم، الأستاذ محمَّد جميل، عهد المخضرم في سوريا ولبنان من عام ١٩٢٠ ـ ١٩٢٢.
- الأطرش، الأستاذ فؤاد، كتاب الدروز.
- عمران، اللواء محمَّد، تجربتي في الثورة.
- تاريخ الثورة السورية الكبرى.



فهرست المحتويات

* * *

فهرست المحتويات



إذا قُيِّض لبعضهم أن يكونوا شاهدي عيان لما كان يجري من تغيرات على أرض البلد الشقيق سوريا العربي ما بين عامي ١٩١٨ و ١٩٧٠، فقد قُيِّضَ لنا، نحن الذين لم نشهد تلك الآونة، أن نكون أمناء على هذه الشهادات والسِّيَر، نضعها للتاريخ رصيداً حُراً، يعتمده أبناؤنا أو يعتبروا من عِبَره.

ولأنَّ مصائر الشعوب وعامة الناس، أولئك الذين ارتضوا هذه الأرض العربية وطناً، مرهونَةٌ بهبوب ريح المطامع لا المطامح وحبّ التسلّط والاستئثار، لا الاستنارة والاعتبار، فهذه الأرض بعينها لم تكن في نظر أهلها أو غيرهم من حُماتها مجرّد مسكنٍ مؤقّتٍ أو ملجأٍ دائمٍ، بل كانت أكثر من ذلك، لأن الأصالة العربيّة تفرض شعور الانتماء والرسوخ.

المؤلف